



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

التساؤلات التي أوردها الإمام البغوي (ت ٥١٦ هـ)
في تفسيره وأجاب عنها
(جمعا ودراسة)

رسالة مقدمة لإكمال متطلبات درجة الماجستير
في تخصص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

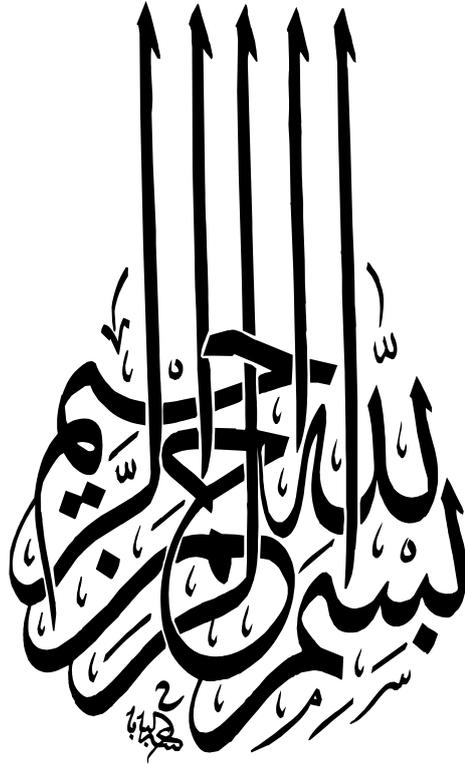
صالح بن مطلق بن مناقش العتيبي

الرقم الجامعي: ٤٣٥٨٨١٦٤

إشراف فضيلة الشيخ:

الدكتور / علي الأمين عوض الله محمد

١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م



ملخص الرسالة

موضوع الرسالة: التساؤلات التي أوردها البغوي في تفسيره وأجاب عنها - جمعاً ودراسة -

وهي مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

تضمنت الرسالة عدة أمور:

- ١ - استعمال العلماء لأسلوب السؤال والجواب في مؤلفاتهم على اختلاف علومهم.
- ٢ - استعمال المفسرين لهذا الأسلوب في كتبهم، وقد ذكره بعضهم في تفسيره بكثرة.
- ٣ - استعمال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ أسلوب السؤال والجواب في تفسيره.
- ٤ - التزام البغوي بصيغة واحدة في طرح السؤال، وهي صيغة "فإن قيل" ما عدا موضع واحد.
- ٥ - جمع الأجوبة التي ذكرها البغوي، مع ذكر ما ذكره غيره من الأئمة من الأجوبة، وأوردت ما وقفت عليه من الأدلة على كل جواب، وذكرت ما يظهر من الأجوبة مما يوافق الدليل أو التعليل.
- ٦ - توصلت بعد ما جمعت التساؤلات التي ذكرها البغوي في تفسيره، وعددها أربعة وعشرون ومائة تساؤل إلى نتائج عدة، منها:
 - أ- أن البغوي كان يطرح السؤال باختصار، ويذكر الأجوبة باختصار.
 - ب- أنه لم يكن يستغرق في ذكر كل الأجوبة كثيراً، فربما ذكر إجابة واحدة في مسألة رغم وجود أجوبة أخرى.
 - ج- أنه لم يكن يرجح كثيراً بين الأجوبة التي يطرحها.
 - د- أنه لم يكثر من ذكر الأدلة على الأجوبة التي يطرحها.
 - هـ- أن الأدلة التي أوردها في ذكر الأجوبة متنوعة، وكانت على منهج مدرسة التفسير بالمأثور.
 - و- تنوعت مواضيع الأسئلة التي طرحها البغوي فمنها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالتفسير، ومنها ما يتعلق باللغة.

Abstract

Topic of the research: the questions mentioned by Al-Baghawi in his interpretation and answered them – collection and study – which is presented to obtain the Master's Degree in Interpretation and sciences of the Holy Quran.

The research included several matters:

1. The use of question and answer style by jurists in their writings according to their different sciences.
2. The use of the same style by interpreters in their books and used a lot by most of them.
3. The use of the same style by Imam Al-Baghawi in his interpretation.
4. Imam Al-Baghawi, may Allah have mercy on him, was committed to one form in asking the question which is "if it is said that" except for in one position.
5. Collecting the answers, mentioned by Imam Al-Baghawi with mentioning answers that were mentioned by other Imams. I also mentioned evidences that I had preferred of each answer. I also mentioned answers that seem to go along with evidences or explanation.
6. After collecting questions asked by Imam Al-Baghawi, I deduced some results which are as follows:
 - A) That Imam Al-Baghawi used to ask the questions in brief and answer it in brief.
 - B) He did not use to take much in the answers. He may mentioned only one answer in spite of the presence of other.
 - C) He did not use to prefer between the mentioned answers much.
 - D) Evidences that he used when mentioning the answers were variable. They also followed the style of using aphorisms.
 - E) Subjects of questions, asked by him, varied much. Whereas, he asked questions in faith, interpretation, and language.

Researcher

SALEH MOTLEQ BIN MENQASH ALOTAIBI

Supervisor

Dr. ALI ALAMIN AWADALLAH MOHAMMED

المقدمة

المقدمة

إن القرآن العظيم هو آية الله تعالى الخالدة الذي تحدى الله به الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقد أنزله بلسان عربي مبين كما قال ﷺ: ﴿بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. وقام علماء المسلمين بالعبارة بتفسير كتاب الله تعالى، وتنوعت طرقهم في ذلك، فكان بعضهم يعمد إلى طرح السؤال والإجابة عنه؛ لينشط ذهن القارئ، ويقرب إليه معنى الآية. وطرح السؤال بطريقة من طرق التعليم، استعملها جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ ليتعلم الصحابة دينهم، وذلك عندما جاء يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان كما جاء في الصحيحين، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي آخر الحديث قال النبي ﷺ "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" (١).

وكان يستعملها النبي ﷺ أحيانا مع أصحابه، فقد بوب البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليعلم ما عندهم من العلم، وأورد فيه حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم حدثوني ما هي؟". قال: فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله فوقع في نفسي أنها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: "هي النخلة" (٢)، قال ابن حجر (٣):

(١) صحيح البخاري (٢٧/١) كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة رقم الحديث (٥٠)، وصحيح مسلم (٢٩/١) كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم الحديث (١)

(٢) صحيح البخاري (٣٤/١)، كتاب العلم باب طرح العالم المسألة على أصحابه، برقم (٦٢)

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. مولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره. توفي سنة (٨٥٢هـ). انظر حسن المحاضرة للسيوطي (٣٦٣/١) والأعلام للزركلي (١٧٨/١)

" وفيه امتحان العالم أذهان الطلبة بما قد يخفى من بيانه لهم إن لم يفهموها"^(١).

وطريقة إثارة السؤال طريقة من طرق التعليم القديمة، وقد قيل: إن الفيلسوف اليوناني سقراط^(٢) أول من استخدمها كطريقة تدريس؛ حيث كان السؤال والجواب وسيلته الرئيسة لإكساب تلاميذه المعارف، فيحاول سقراط من خلال الأسئلة إثارة تفكير تلاميذه في الاتجاه الذي يريده، ويوجههم لمعرفة جوانب الضعف والقصور في معارفهم، ويعمل من خلال السؤال والجواب إلى قيادتهم لاكتساب المعارف.^(٣)

ومن قرأ كتب علماء المسلمين في مجالات العلم، وجد أنهم يستخدمون هذه الطريقة، فيصدرون السؤال بقولهم: فإن قيل، أو فإن قال قائل، أو هنا سؤال وهكذا، والهدف من ذلك استشارة ذهن القارئ ليتيحاً لاستقبال المعلومة، أو لتبديد إشكال قد يقبع في ذهنه.

وممن وقفت عليه يستعمل هذه الطريقة الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٣١٦) في تفسيره المسمى "معالم التنزيل"، والإمام البغوي ممن اهتم بالتفسير بالمأثور، وهو من أئمة أهل السنة والجماعة، فوقع اختياري على تفسيره لأجمع المواضيع التي طرح فيها التساؤلات، وأجاب عنها، وأقوم بدراستها.

(١) فتح الباري (١/ ٣١٠)

(٢) هو سقراط ابن سقرونفس ويعرف بسقراط الجبّ، لأنه سكن جباً مدة عمره، أستاذ أفلاطون. ومعنى اسمه المعتصم بالعدل، مات بالسم في حبس ملك اليونان وله مائة وبضع سنين وخلف اثني عشر ألف تلميذ. كان مولده ومنشؤه ووفاته بأثينة. انظر سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (١٣٦/٢)

(٣) طريقة المناقشة والمحادثة - محاضرة لحسين. البياتي - جامعة بابل

❖ مشكلة البحث:

تبلور مشكلة البحث حول الأسئلة التالية:

- ١- ما الآيات التي طرح فيها البغوي التساؤلات؟
 - ٢- كيف أجاب البغوي عن هذه التساؤلات؟
 - ٣- هل هناك إجابات ذكرها العلماء غير ما أجاب به البغوي عن هذه التساؤلات؟
 - ٤- ما الراجح أو الأقرب إلى الصواب من الإجابات عن هذه التساؤلات؟
- فالبحث إجابة عن هذه الأسئلة.

❖ حدود البحث:

ستكون حدود البحث في الآيات التي طرح فيها البغوي تساؤلاته وأجوبته عنها في كتابه "معالم التنزيل"، ومقارنتها بإجابات غيره من العلماء. وقد اعتمدت طبعة دار طيبة لكتاب "معالم التنزيل" بتحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش.

❖ أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

- ١- الاهتمام بالقرآن الكريم، وحل بعض ما قد يطرأ على ذهن القارئ من تساؤلات عقدية، أو لغوية، أو تفسيرية.
- ٢- بيان منهج البغوي رَحِمَهُ اللهُ في الإجابة عن تلك التساؤلات.
- ٣- تكوين ملكة في الإجابة عما قد يستفهم عنه القارئ أثناء قراءة كتب التفسير.
- ٤- لبيان عدم اختلاف القرآن وأثره الإيماني على النفس المؤمنة وزيادة الطمأنينة.
- ٥- تعلق هذا الموضوع بكلام الله تعالى الذي هو حجته الخالدة على العالمين، فختمت الرسل بمحمد ﷺ، وختمت الكتب السماوية بالقرآن العظيم، وبقي حجة على البشر.

- ٦- إظهار جانب من الإعجاز القرآني في بيان إحكام آياته، وعدم تناقضها.
 ٧- بيان جهد علماء الإسلام في تنوع طرائقهم في بيان معاني القرآن الكريم.
 ٨- إثبات وجود أسلوب التساؤلات في كتب العلماء ومنها كتب التفسير.

❖ الدراسات السابقة:

بعد البحث عن الدراسات التي تناولت التساؤلات التي أوردتها البغوي في تفسيره، لم أجد من قام بدراستها، وقد قمت بالبحث عن الدراسات في جامعة الإمام محمد بن سعود، وجامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية، وجامعة الملك عبدالعزيز، وشبكة الانترنت؛ فلم أجد من قام بدراستها. ووجدت أثناء البحث دراستين في منهج الإمام البغوي في التفسير وهما:

١- رسالة ماجستير بعنوان (منهج البغوي في تفسيره) من جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٤٠٠، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، للطالبة عفاف عبدالغفور حميد، ودرست فيها حياة الإمام البغوي، ومنهجه في التفسير، وقيمه العلمية، وأوردت من خلال ذكرها منهجه طريقة إيراد الإشكالات والإجابة عنها؛ حيث قالت: "استخدامه لأسلوب السؤال في حل الإشكالات"^(١) لكنها لم تذكر الآيات التي طرح فيها البغوي التساؤلات، ولم تدرس منهجه في الإجابات، واطلعي على هذه الفقرة من رسالتها هو الذي شجعني على جمع الآيات ودراستها، ودراسة منهج البغوي في إجاباته.

٢- رسالة دكتوراه بعنوان "منهج الإمام البغوي في توجيه القراءات وأثر ذلك في تفسيره" للباحث طلحة بن محمد توفيق بن ملا حسين، من جامعة أم القرى عام ١٤٢٢، وقد درس فيها منهج البغوي في عرض القراءات وتوجيهها وأثرها في التفسير والفقهاء واللغة، ولم يتطرق فيها إلى التساؤلات التي أوردتها البغوي في تفسيره.

(١) منهج البغوي في تفسيره لعفاف عبدالغفور حميد (ص ١٨٦)

🔗 منهج البحث:

سيكون منهج البحث منهجاً وصفياً واستقرائياً وتحليلياً، وذلك بذكر الآيات التي تساءل فيها الإمام البغوي، وإجاباته عنها، وذكر إجابات أخرى أجاب بها العلماء، مع ذكر الأدلة على تلك الإجابات، ثم أذكر أقربها إلى الراجح عن التساؤلات التي طرحها الإمام البغوي.

🔗 إجراءات البحث:

- ١- جمع الآيات التي يطرح البغوي الأسئلة فيها، وعددها أربع وعشرون ومائة آية.
- ٢- إيراد إجابات البغوي عن التساؤلات التي يوردها، مدعماً بما يشهد لذلك، وذكر من يوافقه من العلماء على ما يورده.
- ٣- ذكرت إجابات أخرى لم يذكرها الإمام البغوي وذكرها غيره من العلماء.
- ٤- ألزمت في هذا البحث على ذكر التساؤلات، والإجابات عنها دون التطرق لبقية مسائل الآيات.
- ٥- عزو الآيات إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.
- ٦- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية كالتالي:
 - أ- فإن كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما، فاكتمت بالإحالة إليهما، إلا إن كان عند غيرهما فائدة زائدة فأشرت إليها.
 - ب- أما إن كان في غيرهما، فاجتهدت في تخريجه من المصادر الحديثية المشهورة، وذكرت كلام العلماء فيه.
 - ٧- ترجمت للأعلام غير المشهورين الذين يرد ذكرهم.
 - ٨- عرفت بالفرق التي يرد ذكرها في البحث.
 - ٩- وثقت النقول مع نسبتها لأصحابها.

- ١٠- ألتزمت بعلامات الترقيم في كتابة البحث.
- ١١- وضعت خاتمة للبحث، وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.
- ١٢- وضعت الفهارس في آخر البحث على النحو التالي:
 - أ- فهرس للآيات القرآنية.
 - ب- فهرس للأحاديث النبوية.
 - ج- فهرس للأعلام المترجم لهم.
 - د - فهرس للأبيات الشعرية.
 - هـ- فهرس للمصادر والمراجع.
 - و- فهرس للموضوعات.

خطة البحث

- سيتكون البحث بمشيئة الله تعالى من: مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وفهارس ومصادر ومراجع:
- المقدمة.
 - التمهيد، ويشمل مبحثين:
 - المبحث الأول: ترجمة الإمام البغوي.
 - المبحث الثاني: بيان مكانة كتاب معالم التنزيل للإمام البغوي.
 - اسم الكتاب.
 - علاقته بتفسير الثعلبي.
 - أهمية الكتاب.
 - منهج البغوي في التفسير.

الباب الأول: الدراسة النظرية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف التساؤل ووجوده، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التساؤل لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: استعمال العلماء له في كتبهم، ومنهم المفسرون.

المبحث الثالث: أسباب إيراد التساؤل عند المفسرين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حل الإشكالات العقدية، واللغوية، والتفسيرية.

المطلب الثاني: الجمع بين الآيات التي قد يفهم أن بينها تعارضاً.

المطلب الثالث: دفع الشبه التي قد يوردها المخالفون.

الفصل الثاني: منهج البغوي في إيراد التساؤلات والإجابة عنها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج البغوي في إيراد التساؤلات.

المبحث الثاني: منهج البغوي في الإجابة عن التساؤلات.

المبحث الثالث: أنواع التساؤلات التي أوردها البغوي في تفسيره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التساؤلات العقدية.

المطلب الثاني: التساؤلات التفسيرية.

المطلب الثالث: التساؤلات اللغوية.

الباب الثاني: الدراسة التطبيقية، وهي دراسة التساؤلات التي أوردها الإمام

البغوي في تفسيره كاملاً، وعددها أربعة وعشرون ومائة تساؤل.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

الفهارس:

• فهرس الآيات القرآنية.

• فهرس الأحاديث النبوية.

• فهرس الأعلام المترجم لهم.

• فهرس الآيات الشعرية.

• فهرس المصادر والمراجع.

• فهرس الموضوعات.

وفي الختام أشكر الله تعالى على نعمه العظيمة التي لا نحصيها، وعلى أن يسر لي هذا البحث الذي تناول جزءاً من تفسير الإمام البغوي، وإنه لشرف لي أن أخوض في جانب من جوانب هذا الإمام العلامة الزاهد.

ثم الشكر لسيدي الوالدين الكريمين - أمده الله بعمرهما على طاعته وزادهما صحة وعافية - اللذين لهما الفضل العظيم في تربيتي والعناية بي، ورغم ما بلغت من العمر إلا أنني أرى في عيونهما الحنان والعطف، وكأني لم أولد إلا بالأمس، ولطالما كانت أمنيتهما أن يرياني أترقى في العلم، وإني لأرجو أن أكون قد حققت جزءاً من تلك الأمنية، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول لأستاذي المشرف على البحث الدكتور/ علي الأمين عوض الله محمد على توجيهاته، وتصويباته، وعلى تحمله تقصيري وتأخري، ولم أر منه إلا كل ترحاب وحرص وتحفيز، وكنت أتردد عليه في أيام إجازاته وفي بيته، فلم أشعر منه بتذمر أو ثقاقل، فجزاه الله كل خير.

كما أشكر الصرح العلمي المجيد جامعة أم القرى أن كنت أحد طلابها، وأشكر مشايخي الذين استفدت منهم أثناء دراستي المنهجية، وأخص منهم الدكتور يوسف بن عبدالله الباحث الذي درسني في السنة المنهجية، وكان مرشدي في إعداد خطة الرسالة فجزاه الله خيراً.

كما لا يفوتني أن أشكر زوجتي الكريمتين (أم عمر شاهه الحمادي) و(أم معاذ وفاء الحبيب) على توفيرهما الجو الملائم للبحث، وتحملهما تقصيري في حقهما أثناء الدراسة وإعداد الرسالة.

والشكر يمتد لكل من عاونني وأفادني في البحث، وأذكر منهم الشيخ / نايف الزبيدي، وهو طالب دكتوراه، فمن حقه علي أن أسدي له شكري، على ما أفادني به.

وهذا البحث جهد بشري، حاولت فيه أن أكون فيه قريباً من السادة العلماء، لعلي أكتسب فيه أجراً، ألقاه يوم لقاء ربي، وأن يحشرنني ربي معهم في زمرة النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين. وهذا الجهد البشري يعتريه النقص، ويفوته شيء مما يجب أن يكون فيه، كما هي طبيعة البشر، والله المستعان، ونستغفره من الخطأ والزلل.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد

وفيه مبحثان:

✿ المبحث الأول: ترجمة الإمام البغوي.

✿ المبحث الثاني: بيان مكانة كتاب "معالم التنزيل" للإمام البغوي.

المبحث الأول

ترجمة الإمام البغوي

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء البغوي، محي الدين وركن السنة. والفراء: نسبة إلى عمل الفراء وبيعها؛ حيث كان أبوه يعمل الفراء وبييعها، والبغوي نسبة إلى (بغا)^(١) قرية من قرى خراسان^(٢)، بين هراة^(٣) ومرو^(٤).^(٥)

(١) وقيل اسم البلدة (بغ) و(بغشور) ذكره الحموي في معجم البلدان (١/٤٦٧) وقال: بليدة بين هراة ومرو الروذ، شربهم من آبار عذبة، وزروعهم ومباطخهم أعداء، وهم في برية ليس عندهم شجرة واحدة، ويقال لها بغ أيضاً.

(٢) قال الحموي: خراسان بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أذوار قصبه جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبته، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. معجم البلدان (٢/٣٥٠) وفي الجغرافيا الحديثة تمتد خراسان من شمال غرب أفغانستان إلى أجزاء من تركمانستان، ويشمل إقليم خراسان في إيران.

(٣) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء، وقد أصابها عين الزمان ونكبتها طوارق الحدثان وجاءها الكفار من التتر فخربوها، وذلك في سنة ٦١٨. معجم البلدان (٥/٣٩٦) وتقع الآن في تركمانستان.

(٤) أشهر مدن خراسان وقصبته. معجم البلدان (٥/١١٢) وتقع الآن في تركمانستان.

(٥) انظر ترجمة الإمام في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٤٣٩-٤٤١)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/١٣٦)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧/٧٥)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٤٩)،
⇐ =

مولده:

ولد الإمام البغوي في قرية (بغا) عام ٤٣٣هـ^(١)، وقيل: ٤٣٦هـ^(٢).

عقيدته:

كان الإمام البغوي على عقيدة السلف، فقد قال الذهبي^(٣) في ترجمته: "على منهاج السلف حالا وعقدا"^(٤). ويتضح ذلك جلياً في كتابه "شرح السنة" فقد ضمنه ذكر أصول السنة والرد على المبتدعة؛ حيث بوب في بيان أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، والرد على المرجئة^(٥).

ورد على القدرية^(٦) والجبرية^(٧) بعد أن ذكر الأدلة الدالة على الإيمان بالقدر حيث

= البداية والنهاية لابن كثير (٢٦٢ / ١٦)، إكمال الإكمال لابن نقطة (٤٢٠ / ١)، معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٦٨ / ١)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري بردي (٢٢٤ / ٥)، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (٣٠ / ٤)، الأعلام للزركلي (٢٥٩ / ٢).

(١) انظر معجم البلدان للحموي (٤٦٨ / ١)

(٢) انظر الأعلام للزركلي (٢٥٩ / ٢)

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركماني الأصل، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١هـ، تصانيفه كثيرة كثيرة تقارب المئة توفي (٧٤٨هـ). انظر الأعلام للزركلي (٣٢٦ / ٥)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٣٣٦ / ٣)

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٤١ / ١٩)

(٥) شرح السنة للبغوي (٣٣ / ١)

(٦) القدرية: هم الذين ينفون قدر الله تعالى، ويقولون: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، ويجعلون العبد خالق فعل نفسه، ويقولون: إن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه. انظر الفرق بين الفرق (ص: ١٨)، ومجموع الفتاوى (١٠٤ / ٣)

(٧) الجبرية: هم من يقول بعقيدة الجبر في القدر، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. ⇐ =

قال: "لا يقدر أحد أن يسقط الأصل الذي هو القدر، ولا أن يبطل الكسب الذي هو السبب، ومن فعل واحداً منهما، خرج عن المقصد إلى أحد الطرفين إلى مذهب القدر، أو الجبر".^(١)

وقال في باب الرد على الجهمية: "وعلى العبد أن يعتقد أن الله ﷻ عظيم له عظمة، كبير له كبرياء، عزيز له عزة، حي له حياة، باق له بقاء، عالم وله علم، ومتكلم وله كلام، قوي له قوة، وقادر وله قدرة، وسميع وله سمع، بصير له بصر"^(٢). وقال كذلك: "ويجب أن يعتقد أن الله عز اسمه قديم بجميع أسمائه وصفاته، لا يجوز له اسم حادث، ولا صفة حادثه"^(٣). وقال في الرد على من قال بخلق القرآن: "وفي هذا الحديث وفي أمثاله مما جاء فيه الاستعانة بكلمات الله دليل على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن النبي ﷺ استعاض به، كما استعاض بالله"^(٤). وقال في تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: "وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى، بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً، وعلاه الرخصاء^(٥)، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، ثم أمر

= فالإنسان مجبر على ما يفعله، محكوم به عليه، ولا إرادة له ولا اختيار. انظر الملل والنحل (١/ ٨٥).

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ١٢٧)

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٧٧)

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٧٩)

(٤) المصدر نفسه (١/ ١٨٥)

(٥) الرخصاء هو عرق يغسل الجلد لكثرتة، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى والمرض. انظر مقاييس

اللغة لابن فارس (٢/ ٤٩٦)، ولسان العرب (٧/ ١٥٤)

به فأخرج^(١).

وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أمرها كما جاءت بلا كيف"^(٢). وقال كذلك في "شرح السنة": "والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عزَّجَلَّ، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله ﷻ؛ كالنفس، والوجه والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح"^(٣).

وقال في مرتكب الكبيرة رداً على الخوارج^(٤) والمعتزلة^(٥): "اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إياحتها، وإذا عمل شيئاً منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته"^(٦).

(١) رواه عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠١ / ٨)

(٢) معالم التنزيل (٣ / ٢٣٥ - ٢٣٦)

(٣) شرح السنة للبغوي (١ / ١٦٨)

(٤) الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، ويسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان. ومن عقائدهم تكفير مرتكب الكبيرة، والقول بخلوده في النار إن مات بغير توبة. انظر الملل والنحل (١ / ١١٤) والفرق بين الفرق (ص: ٥٤)

(٥) المعتزلة: فرقة حدثت في زمن الحسن البصري، رأوا أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل في منزلة بين منزلتين، وأنه مخلد في النار يوم القيامة، ثم تطورت بدعهم في القدر والخروج على الحاكم، وتقديم العقل. بدأ بدعة الاعتزال واصل بن عطاء ثم انضم إليه عمرو بن عبيد في البصرة. انظر الفرق بين الفرق (ص: ١٥) والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١ / ٢٦)

(٦) شرح السنة للبغوي (١ / ١٠٣)

وقال في باب رد البدع والأهواء: "واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه"^(١).

فهذه النصوص وغيرها دالة على أن الإمام البغوي كان على ما كان عليه السلف من الاعتقاد.

مذهبه الفقهي:

الإمام البغوي كان شافعي المذهب بل إماماً من أئمته، وهذا ظاهر في تصانيفه الفقهية، واستفادة كبار الشافعية منها، إلا أنه لم يكن متعصباً للمذهب، بل كان متبعاً للدليل، وهذا يتضح في مؤلفاته رَحْمَةُ اللَّهِ، كما سيأتي ذكرها.

حياته العلمية:

كان رَحْمَةُ اللَّهِ إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الفقه، تتلمذ على يدي كثير من العلماء، منهم:

١- القاضي حسين بن محمد المرورودي (ت: ٤٦٢هـ)، قال السبكي: وهو أخص تلامذته به^(٢)، وهو قاض، من كبار فقهاء الشافعية^(٣).

٢- أبو عمر عبد الواحد المليحي. (ت: ٤٦٣هـ)، محدث هراة في وقته ومسندها^(٤).

٣- أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي. (ت: ٤٦٧هـ)، كان إماماً

(١) المصدر نفسه (١/٢١٦)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧/٧٦)

(٣) انظر الأعلام للزركلي (٢/٢٥٤)، وانظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/٣٥٦)

(٤) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/١٩٤)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (٢/٣١١)، وانظر الأعلام للزركلي (٤/١٧٤)،

فقيهاً مسنداً.^(١)

- ٤- أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي. (ت: ٤٦٦هـ) شيخ، ثقة، مسند^(٢).
- ٥- أبو الحسن علي بن يوسف الجويني. (ت: ٤٦٣هـ) عم أبي المعالي الجويني، ويُعرف بشيخ الحجاز^(٣).
- ٦- أحمد بن أبي نصر الكوفاني^(٤). له سماع من ابن النحاس بمصر. (ت: ٤٦٧هـ).
- ٧- حسّان المنيعي (ت: ٤٦٣هـ). وهو من ذرية الصحابي خالد بن الوليد. قال السبكي: أما المنيعي فنسبة إلى جده منيع بن خالد، وأما الحاجي فلغة العجم في النسبة إلى من حج يقولون للحاج إلى بيت الله الحرام حاجي، وأبو عليّ هذا هو واقف الجامع المنيعي بنيسابور الذي كان إمام الحرمين، خطيبه، وقبله أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام^(٥).
- ٨- أبو بكر محمد بن أبي الهيثم الترابي^(٦). (ت: ٤٦٣هـ).
- ٩- أبو عمرو محمد بن عبدالرحمن بن أحمد النسوي. (ت: ٤٧٨هـ) قاض، فقيه، له كتب في (الفقه) و(التفسير) وله شعر، ومعرفة بالأدب^(٧).
-
- (١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/٢٤٩)، وسلم الوصول لحاجي خليفة (٢/٢٦٦)،
- (٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/٢٤٠)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٢٤٥)
- (٣) انظر تاريخ الإسلام (١٠/١٩٤)، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للحسني المكي (٥/٣٢٠)
- (٤) انظر تاريخ الإسلام (١٠/٢٤٢)
- (٥) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/٢٩٩)، وانظر كذلك تاريخ الإسلام (١٠/١٩٠)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٢٦٥)
- (٦) انظر تاريخ الإسلام (١٠/١٩٨)
- (٧) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/١٧٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٠٨)، والأعلام للزركلي (٦/١٩١)

تلاميذه:

تلمذ عليه بعض العلماء، ومنهم:

- ١- أبو منصور محمد بن أسعد العطارى المعروف بحفدة. (ت: ٥٧١هـ)
كان فقيهاً واعظاً أصولياً فاضلاً.^(١)
- ٢- أبو الفتوح محمد بن محمد الطائي. (ت: ٥٥٥هـ) كان واعظاً، عالماً بالحديث.^(٢)
- ٣- أبو المكارم فضل الله بن محمد النوقاني. (ت: ٦٠٠هـ) كان بارعاً في مذهبه، مفتياً، مهيباً، مدرّساً.^(٣)
- ٤- أسعد بن أحمد بن يوسف، أبو الغنائم البامنجي الخطيب. (ت: ٥٤٨هـ) كان فقيهاً، فاضلاً، مناظراً.^(٤)
- ٥- الحسن بن مسعود البغوي، وهو أخو الإمام. (ت: ٥٢٨هـ) إمام فاضل.^(٥)
- ٦- عبد الرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي الموفقي. (ت: ٥٤٢هـ) كان فقيهاً فاضلاً، عارفاً بالمذهب مناظراً، ورعاً كثير التلاوة والصلاة.^(٦)

(١) انظر تاريخ الإسلام (٥٠٢/١٢)

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٣٦٠/٢٠)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٨٨/٦)

(٣) انظر تاريخ الإسلام (١٢٢٤/١٢)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٤٨/٨)

(٤) انظر المنتخب من معجم شيوخ السمعاني لعبدالكريم السمعاني (ص: ٤٣٨)، وتاريخ الإسلام (٩٢٤/١١)

(٥) انظر تاريخ الإسلام (٤٧٤/١١)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦٨/٧)

(٦) انظر المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ص: ١٠٠٤)، وتاريخ الإسلام (٨٠٨/١١)

٧- عبدالرحمن بن محمد، أبو القاسم السرخسي. (ت: ٥٥٥هـ) فقيه ورع، قانع، خيّر^(١).

٨- عمر بن الحسين الرازي، والد الفخر الرازي. كان فصيح اللسان، قوي الجنان، فقيهاً أصولياً متكلماً.^(٢)

٩- محمد بن الحسين الزاغولي. (ت: ٥٥٩هـ) كان فقيهاً صالحاً، حسن السيرة، خشن العيش، تاركاً للتكلف، قانعاً باليسير، عارفاً بالحديث وطرقه.^(٣) وغيرهم.^(٤)

رحلاته في طلب العلم:

لم تذكر كتب التراجم للبغوي رحلات كثيرة في طلب العلم؛ إذ لم يتجاوز رَحْمَةُ اللَّهِ مَدَن خراسان، ويظهر من ترجمته أنه كان متقللاً من الدنيا، ولم يكن كثير الأسفار، حتى إن الذهبي ذكر أن الإمام البغوي لم يحج!^(٥) وكان غالب طلبه للعلم في مرو الروذ^(٦)؛ حيث تفقه على شيخ الشافعية القاضي

(١) انظر تاريخ الإسلام (٩٣/١٢)

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٤٢/٧)

(٣) تاريخ الإسلام (١٦٢-١٦١/١٢)، وانظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩٩/٦)

(٤) ينظر في شيوخه وتلامذته سير أعلام النبلاء (٤٤٠/١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧٦/٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٤٩)، والمدخل إلى شرح السنة لعلي بادحدح (٧٢-٤٤).

(٥) انظر سير أعلام النبلاء (٤٤١/١٩)

(٦) مَرُو الرُّوذ: المرو: الحجارة البيض تقتدح بها النار، ولا يكون أسود ولا أحمر ولا تقتدح بالحجر الأحمر، ولا يسمّى مرواً، والروذ، بالذال المعجمة: هو بالفارسية النهر، فكأنه مرو النهر، وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام، وهي على نهر عظيم فلهذا سميت بذلك، وهي صغيرة بالنسبة إلى مرو الأخرى. معجم البلدان (١١٢/٥). وتقع الآن في تركمانستان.

حسين بن محمد المرورودي. وقد ذكر البغوي في شرح السنة شيئاً من رحلاته، حيث كان يسند الحديث ويذكر مكان سماعه فيه، فمن تلك الأماكن:

١- بوشنج^(١).

٢- هراة^(٢).

٣- نيسابور^(٣).

٤- طوس^(٤).

٥- دندانقان^(٥).

(١) انظر شرح السنة للبغوي (٢٩٦/١٤)

* بوشنج بفتح الشين، وسكون النون، وجيم: بليدة نزهة خصيبة في واد مشجر من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ. معجم البلدان (٥٠٨/١). وتقع الآن غرب أفغانستان.

(٢) انظر شرح السنة للبغوي (١٥٤/١٠). وتقدم التعريف بهراة.

(٣) انظر شرح السنة للبغوي (٤٦٠/٥)

* نيسابور قال عنها ياقوت الحموي: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم أر فيما طوّفت من البلاد مدينة كانت مثلها. معجم البلدان (٣٣١/٥). وتقع الآن شمال شرق إيران.

(٤) انظر شرح السنة للبغوي (١٤/١)

* طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، تشتمل على بلدين يقال لإحدهما الطابران وللأخرى نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية فتحت في أيام عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. معجم البلدان (٤٩/٤). وتسمى اليوم مشهد، وتقع في إيران. والفرسخ ثلاثة أميال. الصحاح للجوهري (١٨٢٣/٥) والميل يعادل ١٦٠٠ متر تقريباً بالمقاييس العصرية، فيكون الفرسخ قرابة الخمسة كيلو مترات.

(٥) انظر شرح السنة للبغوي (٣٢٤/٧)

دندانقان: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ودال آخرى، ونون مفتوحة، وقاف، وآخره نون أيضاً: بلدة من نواحي مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها في الرمل، وهي الآن خراب لم يبق منها إلا رباط ومنارة،
⇐ =

٦ - بنج ديه.

فقد ذكر ياقوت الحموي^(١) في معجم البلدان أن الإمام البغوي كان في مرو الروذ، وبنج ديه.^(٢)

وقال السبكي^(٣): "ولم يدخل بغداد ولو دخلها لاتسعت ترجمته"^(٤). وقد ذكر المترجمون له بأن عامة سماعته كانت في حدود الستين وأربع مائة^(٥). ورغم قلة ما وردنا

= وهي بين سرخس ومرو. معجم البلدان (٤٧٧/٢)

(١) هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر من بلاده صغيراً، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه سنة ٥٩٦هـ وأبعده. فعاش من نسخ الكتب بالأجرة. وعطف عليه مولاه بعد ذلك، فأعطاه شيئاً من المال واستخدمه في تجارته فاستمر إلى أن توفي مولاه، فاستقل بعلمه، ورحل رحلة واسعة انتهى بها إلى مرو (بخراسان) وأقام يتجر، ثم انتقل إلى خوارزم. وبينما هو فيها خرج التتر (سنة ٦١٦) فانهزم بنفسه، تاركاً ما يملك، ونزل الموصل وقد أعوزه القوت، ثم رحل إلى حلب، وأقام في خان بظاهاها إلى أن توفي سنة (٦٢٦هـ). انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (١٢٧/٦)، والأعلام للزركلي (١٣١/٨).

(٢) معجم البلدان (٤٦٨/١) وبنج ديه: بسكون النون: معناه بالفارسية الخمس قرى، وهي كذلك خمس قرى متقاربة من نواحي مرو الروذ ثم من نواحي خراسان، عمّرت حتى اتصلت العمارة بالخمس قرى وصارت كالمحال بعد أن كانت كلّ واحدة مفردة. معجم البلدان (٤٩٨/١)

(٣) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وكان طلق اللسان، قوي الحجّة، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلّ شرب الخمر، وأتوا به مقيداً مغلولاً من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفي بالطاعون سنة (٧٧١هـ). انظر الأعلام للزركلي (١٨٤/٤)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣١٧/٢)

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧٦/٧).

(٥) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٠/١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧٥/٧)

من رحلاته في طلب العلم، إلا أنه كان إماماً في علوم الشريعة، فلم يكن ذلك مؤثراً في إمامته.

مؤلفاته:

للإمام البغوي عدة مؤلفات في فنون الشريعة، نذكر منها الآتي:

- ١- تفسيره "معالم التنزيل" وهو الذي قصد البحث دراسة تساؤلاته وإجاباته فيه.
- ٢- شرح السنة. وهو مطبوع متداول. وذكره صاحب كشف الظنون (٣/ ١٠٤٠)
- ٣- الجمع بين الصحيحين. ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)
- ٤- شرح الجامع للترمذي. ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٤٤)
- ٥- مصابيح السنة. ذكره الذهبي في السير (١٩/ ٤٤٠)
- ٦- مشكاة الأنوار في شمائل النبي المختار. ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ١٩٥)
- ٧- معجم الشيوخ. ذكره الحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٧٣٥)
- ٨- المدخل إلى مصابيح السنة. ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٣٥)
- ٩- الكفاية في الفروع، وهو بالأعجمية. ذكره خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٤٩٨)
- ١٠- الكفاية في القراءة. ذكره صاحب كشف الظنون (٢/ ١٤٩٩)
- ١١- التهذيب، وهو في الفقه الشافعي. ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٥١٧)
- ١٢- ترجمة الأحكام، وهو بالفارسية. ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٣٩٧)
- ١٣- الأربعون حديثاً. ذكره الذهبي في السير (١٩/ ٤٣٩)
- ١٤- شرح مختصر المزني. ذكره ابن قاضي شهبه في طبقات الشافعية (١/ ٢٨١)
- ١٥- فتاوى القاضي حسين المرورودي. ذكره الداوودي في طبقات المفسرين (١/ ١٦٢)

١٦ - فتاوى البغوي. ذكره الداوودي في طبقات المفسرين (١٦٢ / ١)

ثناء العلماء عليه:

قد أثنى العلماء على الإمام البغوي، وعلى مؤلفاته، وموافقها للسنة، فقد قال الذهبي: "وكان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيداً إماماً، عالماً علامة، زاهداً قانعاً باليسير"^(١). وقال السبكي: "كان إماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل سالكا سبيل السلف له في الفقه اليد الباسطة"^(٢). ووصفه السيوطي^(٣) بأنه كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الفقه^(٤). وقال ياقوت الحموي في تعريفه به: "الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الفقيه العالم المشهور"^(٥). وقال ابن عبد الهادي: "الإمام، الحافظ، الفقيه، محيي السنة، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، الشافعي، أحد الأعلام"^(٦). وقال ابن كثير^(٧):

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٩ / ١٩)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧٥ / ٧)،

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيماً فقد مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويًا عن أصحابه جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألف أكثر كتبه. فبقي على ذلك حتى توفي سنة (٩١١). انظر الأعلام للزركلي (٣٠١ / ٣)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (٢٤٨ / ٢)

(٤) انظر طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٤٩)

(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٦٨ / ١)

(٦) طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (٣٠ / ٤)

(٧) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه صاحب "تفسير القرآن العظيم" و"البداية والنهاية" وغيرهما. ولد في قرية من أعمال

"وكان علامة زمانه فيها - أي في العلوم - ، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً"^(١). رحمه الله ورحم سائر علماء المسلمين.

وفاته:

أكثر من ترجم للإمام البغوي ذكر أن وفاته كانت في شهر شوال سنة ست عشرة وخمسمائة^(٢)، وذهب الزركلي^(٣) إلى أن وفاة الإمام البغوي كان في سنة عشر وخمسمائة^(٤). وذكره ابن كثير بعد أن ذكر وفاته في سنة ست عشرة وخمسمائة، ولم يرجح^(٥).

وذكر ابن تغري بردي^(٦) في "النجوم الزاهرة" أن الإمام توفي سنة خمس عشرة

= بصري الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. توفي سنة (٧٧٤). انظر الأعلام للزركلي (١/٣٢٠)، والتاج المكلل لصديق حسن خان (ص: ٣٥٧)

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٦/٢٦٢)

(٢) انظر وفيات الأعيان (٢/١٣٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٤٣٩)، البداية والنهاية لابن كثير (١٦/٢٦٢)، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (٤/٣٠)، معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٤٦٨)، إكمال الإكمال لابن نقطة (١/٤٢٠)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٤٩).

(٣) هو خير الدين محمود بن محمد بن علي الزركلي ولد في بيروت عام (١٣١٠هـ) من أبوين دمشقيين، ونشأ في دمشق. مؤرخ، دبلوماسي، شاعر، ترجم لنفسه في آخر جزء من الأعلام؛ حيث ذكر تنقلاته ما بين الدول، ومناصبه التي تولاها، وكتبه التي ألفها، وقد منح الجنسية السعودية وتولى بعض المناصب الدبلوماسية فيها. توفي سنة (١٣٩٦هـ). انظر الأعلام للزركلي (٨/٢٦٧)، وتتمة الأعلام لمحمد خير رمضان (١/١٦٦).

(٤) الأعلام للزركلي (٢/٢٥٩)

(٥) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٦/٢٦٢)

(٦) هو يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين: مؤرخ بحاث. من أهل القاهرة، مولداً ووفاته. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين. تأدب وتفقه

⇐ =

وخمسمائة، لكنه صحح أنه توفي في سنة ست عشرة وخمسمائة^(١). والله أعلم.



= وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية، وامتاز في علم النغم والإيقاع. وتغردي بردي كلمة تترية بمعنى " عطاء الله " توفي سنة (٨٧٤هـ). انظر الأعلام للزركلي (٨/ ٢٢٢)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٤٢٨).

(١) انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري بردي (٥/ ٢٢٤)

المبحث الثاني

بيان مكانة كتاب "معالم التنزيل" للإمام البغوي

١ - اسم الكتاب:

تتفق المصادر على تسمية تفسير البغوي باسم "معالم التنزيل في التفسير"، وقد قال المؤلف في مقدمته: "فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه."^(١) وذكر هذا الاسم الخازن^(٢) في كتابه "لباب التأويل" والذي قد اعتمد فيه على تفسير البغوي حيث قال: "ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الإمام العالم الكامل محيي السنة.."^(٣) وفي كشف الظنون: "معالم التنزيل في التفسير، للإمام، محيي السنة، أبي محمد: حسين بن مسعود الفراء، البغوي، الشافعي."^(٤)

(١) معالم التنزيل (١/٣٤)

(٢) هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، نسبته إلى "شيحة" بالحاء المهملة، من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السمساطية فيها. وتوفي بحلب سنة (٧٤١هـ). انظر الدرر الكامنة لابن حجر (٤/١١٦) وطبقات المفسرين للداوودي (١/٤٢٧)

(٣) لباب التأويل (١/٣)

(٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/١٧٢٦)

٢ - علاقته بتفسير الثعلبي:

قرر ابن تيمية^(١) في أكثر من موضع أن تفسير البغوي هو اختصار لتفسير الثعلبي^(٢)، فقد سئل عن تفسير الزمخشري، وتفسير القرطبي، وتفسير البغوي، فقال: "أما" التفاسير الثلاثة - أي الزمخشري والقرطبي والبغوي - المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة "البغوي" لكنه مختصر من "تفسير الثعلبي"، وحذف منه الأحاديث الموضوعية والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك"^(٣). وقال: "والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة"^(٤). وقال في "منهاج السنة": "وكان تفسيره - أي البغوي - مختصر تفسير الثعلبي، لم يذكر في تفسيره شيئاً من الأحاديث الموضوعية التي يرويها الثعلبي، ولا ذكر تفاسير أهل البدع التي ذكرها الثعلبي مع أن الثعلبي فيه خير ودين لكنه لا خبرة له بالصحيح من الأحاديث، ولا يميز بين

(١) هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقيّ الحنبلي، شيخ الإسلام صاحب التصانيف المشهورة، أحد نوابغ الإسلام، قال الذهبي: فريد العصر علماً ومعرفةً وذكاءً وحفظاً وكرماً وزهداً وفرط شجاعة وكثرة تأليف والله يصلحه ويسدده، فلسنا بحمد الله ممن نغلو فيه ولا نجفو عنه. انتهى. حمل راية الدفاع عن الدين بالبيان والسنان، وسجن بمصر، ثم دمشق وتوفي فيها في سجن القلعة سنة (٥٧٢٨هـ). انظر ترجمته في العقود الدرية لابن عبد الهادي وانظر كذلك معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٥٦/١) والأعلام للزركلي (١/١٤٤)

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النيسابوري الثعلبيّ، (ت: ٤٢٧هـ) المقرئ المفسّر الواعظ الأديب الثقة الحافظ، صاحب "التفسير". كان أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب "العرائس في قصص الأنبياء". قال السمعاني: يقال له الثعلبيّ والثعالبيّ، وهو لقب لا نسب. انظر تاريخ الإسلام (٩/٤٢٢) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٢/٥٠٧) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٧/٤٣٥-٤٣٧)

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٣٨٦)، وانظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبو شهبه (ص: ١٢٧)

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٣١)

السنة والبدعة في كثير من الأقوال".^(١) وقال في موضع آخر: "ولهذا اختصره - أي تفسير الثعلبي - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، وكان أعلم بالحديث والفقهاء منه، والثعلبي أعلم بأقوال المفسرين، ذكر البغوي عنه أقوال المفسرين، والنحاة، وقصص الأنبياء، فهذه الأمور نقلها البغوي من الثعلبي"^(٢). وقد ذكر البغوي في مقدمة تفسيره أن عامة مروياته عن أئمة التفسير كان عن طريق الثعلبي حيث قال: "وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، جبر هذه الأمة، ومن بعده من التابعين، وأئمة السلف، مثل: مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي"^(٣)، وزيد بن أسلم^(٤)، والكلبي^(٥)، والضحاك^(٦)، ومقاتل

(١) منهاج السنة النبوية (٥ / ٧)

(٢) المصدر نفسه (٦٥ / ٧)

(٣) هو محمد بن كعب بن سليم بن عمرو، أبو حمزة، ويقال أبو عبد الله، القرظي: تابعي، من كبار العلماء. ولد في حياة النبي ﷺ، ونزل الكوفة سنة ٤٠ هـ. ثم رجع إلى المدينة. قال عون بن عبد الله: "ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي". قال الذهبي: الإمام العلامة الصادق. أبوه كان من سبي بني قريظة. مات بالمدينة، قيل سنة (١١٠ هـ) وقيل (١١٣ هـ) وقيل (١١٤ هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٥ / ٥) تاريخ الإسلام للذهبي (١٦٠ / ٣) معجم المفسرين لعادل نوويهض (٦٠٨ / ٢)

(٤) هو زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري الإمام، الحجة، القدوة، أبو عبد الله، المدني، فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد بن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا في أمر. كان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. توفي سنة (١٣٦ هـ) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٦ / ٥)، والأعلام للزركلي (٥٧ / ٣).

(٥) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، أبو النضر: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. من أهل الكوفة. مولده ووفاته فيها. وهو من (كلب بن وبرة) من قضاة. وصنف كتابا في (تفسير القرآن)، وهو شيعي متروك الحديث، قال النسائي: حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير. توفي سنة (١٤٦ هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٤٨ / ٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٩٦٠ / ٣)، والأعلام للزركلي (١٣٣ / ٦)

(٦) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الهلالي، أبو القاسم، تابعي مفسر وكان من أوعية العلم. كان يؤدب

بن حيان^(١)، ومقاتل بن سليمان^(٢)، والسدي^(٣)، وغيرهم؛ فأكثرها مما أخبرنا به الشيخ أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي، فيما قرأته عليه عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله^(٤).

= الأطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار. قال الثوري: كان يعلم ولا يأخذ أجراً. واختلف في قبول حديثه. توفي سنة (١٠٥هـ)، وقيل (١٠٢هـ)، وقيل (١٠٦هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٣/٦٤) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٦٠١)، والأعلام للزركلي (٣/٢١٥).

(١) هو مقاتل بن حيان، أبو بسطام البلخي الخراز: أحد الأعلام، مفسر، حافظ للحديث، مؤرخ، كان عالم خراسان في وقته. حدث عن عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم. وثقه يحيى بن معين وأبو داود. وقال الذهبي: كان إماماً صادقاً ناسكاً خيراً كبير القدر صاحب سنة وأتباع. هرب في أيام خروج أبي مسلم الخراساني إلى كابل، ودعا خلقاً إلى الإسلام فأسلموا. وكان معاصراً لمقاتل بن سليمان، وقد خلط كثير من المؤرخين بينهما. توفي في حدود سنة (١٥٥هـ) سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/٣٤٠)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤/١٧١)، ومعجم المفسرين لعادل نوويهض (٢/٦٨٢).

(٢) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفي بالبصرة. كان ضعيف الحديث. قال عبدالله بن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة! قال البخاري: لا شيء البتة. توفي سنة (١٥٠هـ). انظر التاريخ الكبير للبخاري (٨/١٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/٢٠٢)، والأعلام للزركلي (٧/٢٨١).

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة، تابعي، إمام، مفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، السدي، أحد موالى قريش. ويقال السدي الكبير تمييزاً عن السدي محمد بن مروان الكوفي، وهو متروك. قال سلم بن عبد الرحمن - شيخ لشريك - مر إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر، فقال: إنه ليفسر تفسير القوم. وقد اختلف في توثيق حديثه. توفي سنة (١٢٨هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٢٦٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/٣٧٢)، والأعلام للزركلي (١/٣١٧).

(٤) معالم التنزيل (١/٣٤)

٣- أهمية الكتاب:

يعد تفسير البغوي من الكتب التي اهتمت بالتفسير بالمأثور، بل يعد من أحسنها؛ إذ إن الإمام البغوي من الذين جمعوا بين التفسير والحديث، مع سلامة المعتقد، وإن كان لا يخلو من التفسير بالرأي والاجتهاد كما رأى ذلك أبو شهبه^(١). وقد أوضح الإمام البغوي في مقدمة تفسيره أسانيده التي اعتمد عليها في النقل عن السلف. وقال الخازن في مقدمة تفسيره: "ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الإمام العالم الكامل محيي السنة قدوة الأمة وإمام الأئمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - قدس الله روحه ونور ضريحه - من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلامها وأنبليها، وأسناها جامعا للصحيح من الأقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلي بالأحاديث النبوية، مطرزا بالأحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة مرصعا بأحسن الإشارات مخرجا بأوضح العبارات، مفرغا في قلب الجمال بأفصح مقال"^(٢). وتفسير البغوي يعد من التفاسير المتوسطة، قال المؤلف في مقدمة تفسيره:

"فجمعت - بعون الله تعالى وحسن توفيقه - فيما سألوا كتابا وسطا بين الطويل الممل، والقصير المخمل، أرجو أن يكون مفيدا لمن أقبل على تحصيله مريدا"^(٣).

(١) انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ١٢٧).

وأبو شهبه هو الدكتور محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، ولد في مصر عام ١٣٣٢هـ، كان أستاذاً في كلية أصول الدين في الأزهر، وتنقل بين البلدان العربية أستاذاً في جامعاتها كالسعودية، والعراق، والسودان، وكان مدافعا عن الشريعة وأصولها، وكان يكتب في المجالات العربية، وله مجموعة مؤلفات. توفي في مصر عام (١٤٠٣هـ). انظر ذيل الأعلام لأحمد العلاونة (١٩٨)

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٣-٤)

(٣) معالم التنزيل (١/٣٤)

٤- منهج البغوي في التفسير:

تقدم بيان أن تفسير البغوي محدود في جملته من التفسير بالمأثور، كما تقدم أن تفسيره متوسط بين الطول الممل والقصر المخل، كما تميز بقصر العبارة، وسهولتها، وابتعد عن التطويل في الشرح، والتفصيل في المسائل الخلافية. وقد اعتمد في تفسيره على الآتي:

١- تفسير القرآن بالقرآن:

نجد أن البغوي رَحِمَهُ اللهُ إِذَا وَجَدَ تَفْسِيرًا لِلآيَةِ بِآيَةٍ أُخْرَى أوردَها، فقد قال عند قول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٧]: "وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ...﴾ [النساء: ٦٩]"^(١).

٢- تفسير القرآن بالسنة:

يقول البغوي: "وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية، أو بيان حكم؛ فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين - فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث"^(٢). وهذا نراه في تفسيره كذلك، فقد أورد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢] حديث ابن مسعود: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: "ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِي لَكَ دُشْرَكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]"^(٣)^(١). وقد تميز البغوي أنه كثيرا ما يذكر أسانيده

(١) المصدر نفسه (١/ ٥٤)

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٨)

(٣) متفق عليه من حديث ابن مسعود. صحيح البخاري (٦/ ٢٥٤٢) كتاب استتابة المرتدين المعاندين
⇐ =

في إيراد الأحاديث، وهو - كما تقدم - إمام في الحديث، وقد يورد الحديث بلا إسناد. وقد عمل الخازن على تخريج الأحاديث مع حذف الأسانيد، وقد كان جل الأحاديث التي أوردها البغوي صحيحة أو حسنة.^(٢)

٣- اهتمامه بالقراءات:

كان الإمام البغوي عالماً بالقراءات، ولذلك كان يذكرها في تفسيره، لكن دون أن يطنب فيها، يقول الدكتور محمد الذهبي^(٣): "لاحظت أنه يتعرض للقراءات، ولكن بدون إسراف منه في ذلك"^(٤).

وقد أوضح البغوي في مقدمة تفسيره المصدر الذي اعتمد عليه في ذكر القراءات حيث يقول رَحِمَهُ اللهُ: "وقد ذكرت في الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة، واختياراتهم على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المروزي^(٥) رَحِمَهُ اللهُ تلاوة

= وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، برقم (٦٥٣٨). صحيح مسلم (١/ ٨٠)، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، برقم (٢٤٢).

(١) معالم التنزيل (٣/ ١٦٤)

(٢) انظر منهج البغوي في تفسيره لعفاف عبدالغفور (ص: ٨٠)

(٣) هو الدكتور محمد حسين الذهبي، ولد في قرية مطوبس بمحافظة كفر الشيخ سنة ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م. حفظ القرآن الكريم بقرته، ثم درس في دسوق، ثم معهد الإسكندرية الديني، ثم كلية الشريعة. وحصل على العالمية سنة ١٣٥٨هـ، وكان ترتيبه الأول. اشتغل بالتدريس في معاهد الأزهر، ثم حصل على الدكتوراه من كلية أصول الدين سنة ١٣٦٦هـ وعين بها سنة ١٣٧٦هـ. وعين أميناً عاماً مساعداً لمجمع البحوث الإسلامية، ثم عميداً لكلية أصول الدين، ثم أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية، ثم وزيراً للأوقاف. وله العديد من المؤلفات. مات مقتولاً عام (١٣٩٧هـ). انظر تنمة الأعلام لمحمد خير رمضان (٢/ ١٤٥)، (٣/ ٢٤٠)

(٤) التفسير والمفسرون (١/ ١٧٠)

(٥) محمد بن أحمد بن علي بن حامد، أبو نصر الكُرْكَانُجِي المَرْوَزِي، الأستاذ المقرئ، صاحب أبي الحسين الدّهان. قال أبو سعد السمعاني: كان إماماً في علوم القرآن، له مصنفات في ذلك، مثل كتاب "↔ =

ورواية قال: قرأت عليّ أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي^(١) قال: قرأت عليّ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران^(٢) بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية، وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع^(٣)، وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن^(٤) المدنيان، وأبو

= المعول"، وكتاب "التذكرة". طوف الكثير إلى العراق، والحجاز، والشام، والجزيرة، والسواحل في القراءة عليّ الشيوخ، إلي أن صار أوحد عصره. وكان زاهداً ورعاً. توفي سنة (٤٨٤ هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/٥٣٥)، والأعلام للزركلي (٥/٣١٦)

(١) هو طاهر بن علي بن الحسين بن محمد بن عصمة المقرئ المعروف بالصفوف، أبو القاسم المعروف بابن الأخت، من وجوه أصحاب الإمام أبي بكر بن الحسين بن مهران المقرئ، وكبارهم المتفقهين عليه وعليّ أصحابه من القراء وعنده الروايات الكثيرة في القراءات، حدث عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني، وأبي عمرو بن حمدان، والحاكم أبي أحمد الحافظ، وأبي محمد بن المشتغل وطبقتهم. انظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/٣٤١)، والمنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور للصريفيني الحنبلي (ص: ٢٨٥)

(٢) هو أحمد بن الحسين بن مهران، أبو بكر الأصبهاني ثم النيسابوري المقرئ العابد، سكن نيسابور. قال الحاكم: كان إمام عصره في القراءات، وكان أعبد من رأينا من القراء، وكان مجاب الدعوة، انتقلت عليه خمسة أجزاء. توفي سنة (٣٨١ هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٨/٥١٥)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧١/٩٠)، والأعلام للزركلي (١/١١٥)

(٣) هو يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، المدني، أبو جعفر: أحد القراء العشرة من التابعين. وكان إمام أهل المدينة في القراءة وعُرف بالقارئ. تلا القرآن عليّ موله عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وقال جماعة أنه قرأ عليّ أبي هريرة وابن عباس. وكان عابداً زاهداً، وكان من المفتين المجتهدين. توفي في المدينة سنة (١٣٢ هـ) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٢٨٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/٥٦٧)، والأعلام للزركلي (٨/١٨٦)

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القراء السبعة المشهورين. كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة. أصله من أصبهان. اشتهر في المدينة وانتهت إليه رياضة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة. أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبي جعفر القارئ وشيبة بن نصاح ويزيد بن رومان ومسلم بن جندب وصالح بن خوات وغيرهم. مختلف في توثيقه في الحديث، ومتفق عليّ الأخذ عنه في القرآن. وتوفي

↔ =

معبد عبد الله بن كثير الداري المكي^(١)، وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامي^(٢)، وأبو عمرو زيان بن العلاء المازني^(٣)، وأبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصريان^(٤)،

= بالمدينة سنة (١٦٩هـ). انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٢٨١ / ٢٩)، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ / ٣٣٠)، والأعلام للزركلي (٥ / ٨)

(١) هو عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد: الإمام العلم أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة. وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار "داريا" فعرف بالداري. وهو فارسي الأصل. وكان رجلاً مهيباً، طويلاً، أبيض اللحية، جسيماً، أسمر، أشهل العينين، تعلوه سكينه ووقار، وكان فصيحاً، مفوهاً، واعظاً، كبير الشأن، مولده ووفاته بمكة. توفي سنة (١٢٠هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٥ / ٣١٩)، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ / ٤٤٣)، والأعلام للزركلي (٤ / ١١٥)

(٢) هو عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصي الشامي: أحد القراء السبعة. مقرئ أهل الشام قرأ القرآن على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. ولد في البلقاء، في قرية "رحاب"، وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها. قال الذهبي: مقرئ الشاميين، صدوق في رواية الحديث. توفي سنة (١١٨هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٣ / ٢٦٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥ / ٢٩٢)، والأعلام للزركلي (٤ / ٩٥)

(٣) هو زيان بن عمّار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. قرأ القرآن على: سعيد بن جبّير، ومجاهد. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية. له أخبار وكلمات ماثورة. توفي سنة (١٥٤هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٤ / ٢٦٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٤٠٧)، والأعلام للزركلي (٣ / ٤١).

(٤) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق. الإمام أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري. قارئ أهل البصرة بعد أبي عمرو بن العلاء، وأحد الأئمة القراء العشرة. أخذ القرآن عن: أبي المنذر سلام الطويل، وأبي الأشهب العطاردية، ومهدي بن ميمون وغيرهم. قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأينا بالحروف والاختلاف في القرآن، وبعلله ومذاهبه ومذاهب النحو. وقال أحمد بن حنبل: صدوق. توفي سنة (٢٠٥هـ) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٥ / ٢٣١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي

(١٠ / ١٦٩)، والأعلام للزركلي (٨ / ١٩٥)

وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي^(١)، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات^(٢)، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي^(٣)." ^(٤) ويذكر الباحث طلحة حسين ملا أن البغوي أخذ من مصادر أخرى، ودل على ذلك بما يلي:

أ- أن البغوي يذكر قراءات شاذة.

ب- أنه يذكر خلاف المصاحف العثمانية كذكر قراءة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النساء: ١٣]، وهي في مصحف أهل مكة، أثبتها ابن كثير في قراءته.

(١) هو عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر: الإمام المقرئ أحد القراء السبعة. تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة في القراءات، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش، قرأ عليه أبو بكر بن عياش وحماد بن أبي زياد وأبو عمر حفص بن سليمان الأسدي وأبو الوليد سلام بن سليمان الخراساني، صدوقا في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٥٦)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ٢٢٠)، والأعلام للزركلي (٣/ ٢٤٨).

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، الزيات: الإمام القدوة أحد القراء السبعة. كان من موالى التيم فنسب إليهم. وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان (في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل)، ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة. كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول. توفي في حلوان سنة (١٥٦هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٤١)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٧٧).

(٣) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: أحد القراء السبعة، قرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرات، إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قرأها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عاماً. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. قال الجاحظ: كان أثيراً عند الخليفة، حتى أخرجته من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين. أصله من أولاد الفرس. توفي سنة (١٨٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ١٣١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٩٢٧)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٣)

(٤) معالم التنزيل (١/ ٣٧)

ج- أنه يذكر أحياناً خلاف علماء العدد في بعض سور القرآن كالفاتحة، والروم.^(١)

ونلاحظ أن الإمام البغوي لم يذكر من القراءات التي ذكرها ابن مهران قراءتي خلف^(٢) وأبي حاتم السجستاني^(٣)، ويذهب الباحث طلحة حسين ملا إلى أن تركه لقراءة خلف قد يكون لأنها لم تخرج عن قراءة الكوفيين وأما تركه لقراءة السجستاني فلعل ذلك لأن قراءته لم يخالف فيها مشهور السبعة إلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] حيث قرأها بالخطاب.^(٤)

ويذكر الإمام البغوي في تفسيره القراءات المتواترة بقسميها الأصول والفرش؛^(٥) فمن أمثلة ما ذكره مما يخص الأصول؛ ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]. حيث قال: "يؤمنون: يصدقون، ويترك الهمزة أبو عمرو وورش، والآخرون

(١) منهج البغوي في عرض القراءات لطلحة حسين ملا (رسالة دكتوراه) بتصرف (٨٩-٩٠)

(٢) هو خلف بن هشام بن ثعلب، ويقال خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزار، الأسدي، أبو محمد: الإمام الحافظ أحد القراء العشرة. كان عالماً عابداً ثقة تصدر للإقراء والرواية. أصله من فم الصلح (بكسر الصاد) قرب واسط، واشتهر ببغداد وتوفي فيها مختفياً، زمان الجهمية. توفي سنة (٢٢٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٥٧٦)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩/٢٧٠)، والأعلام للزركلي (٢/٣١١)

(٣) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان القاسم السجستاني، سكن البصرة، وكان إماماً في القراءات واللغة والشعر، قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي. وحمل الناس عنه القرآن والحديث والعربية. قرأ "كتاب سيبويه" على الأخفش مرتين. وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، وعنه ابن دُرَيْد وغيره. وكان أعلم الناس بالعروض واستخراج المعنى. وكان يُعَدُّ من الشعراء المتوسطين. وقد أضاف ابن مهران اختياراته إلى القراءات العشر في كتابه الغاية في القراءات العشر. توفي سنة (٢٥٥هـ). سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/٢٦٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦/٩٥)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (٢/١٥٧)، والغاية في القراءات العشر لابن مهران (ص ١٤)

(٤) انظر منهج البغوي في عرض القراءات لطلحة حسين ملا (١٠٥)

(٥) انظرها بالتفصيل في منهج البغوي في عرض القراءات لطلحة حسين ملا (١٠٧-١١٠)

يهمزونه، وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن إلا أحرفاً معدودة" (١). ومن أمثلة الفرش؛ ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايِنِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجمعة: ٦]. حيث قال: "قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: "تؤمنون" بالتاء، على معنى قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء" (٢).

وكان الإمام البغوي كذلك يذكر القراءات الشاذة، فيذكر منها ما يكون له علاقة بالتفسير، ومن أمثلة ذلك؛ ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]. حيث قال: "وقوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه قرأ ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ وأنا كتبتها عليك" (٣).

٤ - الاهتمام بالآثار:

اهتم الإمام البغوي بإيراد الآثار عن السلف من الصحابة والتابعين، وهذا ظاهر في تفسيره. وقد تقدم ذكر ما ذكره في مقدمته من إسناده في رواياته التي رواها عن أئمة السلف، كما أنه ذكر عن بعض الأئمة ممن لم يذكر إسناده لهم.

٥ - قلة ذكر الإسرائيليات في تفسيره:

من المعلوم أن كثيرا من كتب التفسير تعج بذكر الإسرائيليات، والتي يكون فيها نظر من جهة متنها، ومن ذلك تفسير البغوي فإنه لم يخل من ذكر بعض الإسرائيليات عند

(١) معالم التنزيل (١/ ٦٠)

(٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٤١)

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٥٣)، وسيأتي ذكر ذلك في الموضع الرابع من سورة النساء.

بعض الآيات كقصة هاروت وماروت في ذكر مسخ الزهرة كوكبا^(١)، وكذلك ذكر صفات الدابة^(٢). لكن البغوي يعد مقلاً لذكر الإسرائيليات.

٦ - الاهتمام باللغة:

تميز البغوي في التوسط في ذكره المباحث اللغوية بقدر ما يبين المعنى، يقول الدكتور الذهبي عن منهج البغوي: "أنه يتحاشى ما ولع به كثير من المفسرين من مباحث الإعراب، ونكت البلاغة، والاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير، وإن كان في بعض الأحيان يتطرق إلى الصناعة النحوية ضرورة الكشف عن المعنى، ولكنه مقل لا يكثُر".^(٣) وكان الإمام البغوي ينقل عن أئمة اللغة كابن الأنباري^(٤)، وأبي عبيدة^(٥)،

(١) معالم التنزيل (١/ ١٣٠)

(٢) المصدر نفسه (٦/ ١٧٩)

(٣) التفسير والمفسرون (١/ ١٧٠)، وانظر بالتفصيل منهج البغوي في تفسيره لعفاف عبد الحميد (ص: ١٠٤)

(٤) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر ابن الأنباري النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ العلامة. من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار. وُلِدَ سنة إحدى وسبعين ومائتين في الأنبار في العراق. قال الخطيب: كان صدوقاً دَيِّماً من أهل السنة. صنف في القراءات، والغريب والمُشْكَل، والوقف، والابتداء. ولد في الأنبار (على الفرات)، وتوفي ببغداد سنة (٥٣٢٨هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٥٦٤)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤/ ٢٩٩)، والأعلام للزركلي (٦/ ٣٣٤)

(٥) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة: من أئمة العلم بالأدب واللغة. قال الذهبي: الإمام، العلامة، البحر، مولده ووفاته في البصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباضياً، شعوبياً، من حفاظ الحديث. قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتباً. ولما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه. توفي سنة (٢٠٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٤٥)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٤٢٣)، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٧٢)

والأخفش^(١)، والزجاج^(٢)، وغيرهم كما سيأتي.

٧- بيان عقيدة أهل السنة والرد على أهل البدع:

قد تقدم أن الإمام البغوي كان على عقيدة السلف، ومحاربا للبدع، وقد سلم تفسيره منها، وقد ذكر بعض المباحث العقديّة في تفسيره؛ ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٧٨) [الإسراء: ٧٩]. حيث ذكر أن المقصود بالمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمد في الأولون والآخرون^(٣)، وأورد الأدلة من السنة على إثبات الشفاعة، ثم قال: "والأخبار في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد^(٤)

(١) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط: لأن الأخفش الكبير هو عبد الحميد بن عبد المجيد، ويكنى أبا الخطاب. والأوسط أحد الأعلام. أخذ عن الخليل، ولزم سيبويه حتى برع. وكان أسنّ من سيبويه. عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. توفي سنة (٥٢١هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٣٢٣/٥)، وطبقات النحويين واللغويين للإشبيلي (ص: ٧٢)، والأعلام للزركلي (٣/١٠١)

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: نحوي زمانه. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدلّه المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. توفي سنة (٣١١هـ) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٣٦٠)، والأعلام للزركلي (١/٤٠)

(٣) انظر معالم التنزيل (٥/١١٧)

(٤) هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها. كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجا ثم شرطيا للحجاج في البصرة. كان عمرو من الزهاد العباد، وتلمذ أول الأمر على الحسن البصري، ثم انفصل عن أصحاب الحسن مع واصل بن عطاء، وتأثر كثيرا بأراء واصل. قال يحيى بن معين: "كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع". وقال أحمد بن حنبل: "ما كان عمرو بن عبيد بأهل أن يحدث عنه". توفي سنة (١٤٤هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٣/٩٤١)، والأعلام للزركلي (٥/٨١)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (١/٤٠٥)

وهو مبتدع باتفاق أهل السنة^(١). ومن المعلوم أن المعتزلة ينكرون الشفاعة يوم القيامة^(٢). وقال عند قول الله تعالى: ﴿كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]: "لا ينقطع ثمرها ونعيمها، وظلها" أي: ظلها ظليل، لا يزول، وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى^(٣).

٨- إيراد المسائل الفقهية:

تقدم معنا أن الإمام البغوي كان من أئمة الشافعية، وقد ضمن تفسيره بعض الأحكام الفقهية عند كلامه عن الآيات التي تذكر تلك الأحكام، وكان يرجح ما يظهر له. ومن أمثلة ذلك كلامه عن حكم العمرة عند قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فبعد أن ذكر خلاف العلماء في حكم العمرة قال: "والقول الأول أصح"^(٤). ثم قال: "ومعنى قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي ابتدئوهما، فإذا دخلتم فيهما فأتموهما فهو أمر بالابتداء والإتمام، أي أقيموا كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. أي ابتدئوه وأتموه"^(٥).

(١) معالم التنزيل (٥/ ١٢٠)

(٢) انظر قول المعتزلة في الكشف للزمخشري (١/ ١٣٦)

(٣) معالم التنزيل (٤/ ٣٢٢)

(٤) المصدر نفسه (١/ ٢١٨)

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢١٨)

الباب الأول

الدراسة النظرية

وفيه فصلان:

❁ الفصل الأول: تعريف التساؤل ووجوده.

❁ الفصل الثاني: منهج البغوي في إيراد التساؤلات والإجابة عنها.

الفصل الأول

تعريف التساؤل ووجوده

وفيه ثلاثة مباحث :

- ❖ المبحث الأول: تعريف التساؤل لغةً واصطلاحًا.
- ❖ المبحث الثاني: استعمال العلماء له في كتبهم، ومنهم المفسرون.
- ❖ المبحث الثالث: أسباب إيراد التساؤل عند المفسرين.

* * * * *

المبحث الأول

تعريف التساؤل لغةً واصطلاحاً

تعريف التساؤل لغة:

التساؤل هو تفاعل من "سأل"، والسؤال ما يسأله الإنسان، وقرئ ﴿أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ﴾ [طه:٣٦] بالهمز وبغيره، وسأله الشيء وسأله عن الشيء سُؤْلاً وَمَسْأَلَةً، وقوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [الواقعة:١] أي عن عذاب واقع. قال الأخفش: "يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان، وقد تخفف همزته فيقال: سأل يسأل^(١)، والأمر منه سل ومن الأول اسأل ورجل سُؤْلَةٌ بوزن همزة كثير السؤال، وتَسَاءَلُوا سأل بعضهم بعضاً"^(٢). وفي المعجم الوسيط: "سأله عن كذا وبكذا سؤالاً وتَسَاءَلَا ومَسْأَلَةً استخبره عنه"^(٣). قال ابن منظور^(٤): "سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤْلاً وَمَسْأَلَةً وَمَسْأَلَةً، قال أبو ذؤيب^(٥):"

(١) هكذا في المطبوع فلعل الصحيح (سال)

(٢) انظر مختار الصحاح (ص: ٣٢٦)

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٤١١)

(٤) هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب)، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. قال ابن حجر: كان مغرئ باختصار كتب الأدب المطولة. وقال الصفدي: لا أعرف في كتب الأدب شيئاً إلا وقد اختصره. توفي سنة (٥٧١١هـ). انظر بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٢٤٨)، ودرة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي (٢/ ٣١٥)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٠٨)

(٥) هو أبو ذؤيب الهذلي خويلد بن خالد بن محرث، من بني هذيل بن مدركة، من مضر كان أشعر هذيل.

أَسَاءَلَتْ رَسَمَ الدَّارِ، أَمْ لَمْ تُسَائِلِ

عَنِ السَّكَنِ، أَمْ عَنِ عَهْدِهِ بِالْأَوَائِلِ؟^(١)

وسألت أسأل وسلتُ أسألُ، والرجلان يتساءلان ويتسايلان، وجمع المسألة مسائل بالهمز، فإذا حذفوا الهمزة قالوا مسلة. وتساءلوا: سأل بعضهم بعضاً.

سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾^(٣٦) [محمد: ٣٦]. وسألته عن الشيء: استخبرته^(٢). وتساءل القوم: سأل بعضهم بعضهم الآخر، وتساءل: سأل نفسه^(٣). وفي مجمع بحار الأنوار: "يتساءلون" يجوز جريان التساؤل بين العبد والشيطان أو النفس أو إنسان آخر^(٤). وفي القاموس المحيط: "وتساءلوا: سأل بعضهم بعضاً"^(٥). وفي معجم الصواب اللغوي: "استخدام «تفاعل» بمعنى «فعل» أو «أفعل» كثير في لغة العرب، كما في تراءى بمعنى رأى، وتداعى بمعنى دعا. وتساقط بمعنى سقط ويمكن كذلك تصحيح المثال الثاني- أي تساءلت عن كذا- على افتراض وجود طرف ثان هو النفس؛ فيكون معنى: تساءل فلان: سأل نفسه"^(٦).

= مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فقد أسلم في زمن الصديق. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية سنة ٢٦هـ غازياً، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بإفريقية نحو سنة (٢٧هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ١٩٥)، والأعلام للزركلي (٢/ ٣٢٥).

(١) انظر ديوان الهذليين لمحمد محمود الشنقيطي (١/ ١٣٩)

(٢) لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣١٨-٣١٩)

(٣) معجم الرائد لجبران مسعود (٢١٠)

(٤) مجمع بحار الأنوار لمحمد طاهر الكجراتي (٣/ ٥)

(٥) القاموس المحيط (ص: ١٣٠٨)

(٦) معجم الصواب اللغوي لأحمد مختار عمر (١/ ٢٢٦)

من خلال هذه المعاني يتبين لنا أن التساؤل يطلق على إثارة السؤال وتداوله، ويجوز أن يكون بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان وغيره.

تعريف التساؤل اصطلاحاً:

ذكر الشريف الجرجاني^(١) في كتابه التعريفات أن معنى السؤال هو: طلب الأدنى من الأعلى^(٢). وهذا إذا تعدى إلى مفعولين، وأما إذا تعدى إلى المفعول الثاني بعن فهو بمعنى الاستخبار كما تقدم.

ومن خلال المعنى اللغوي يمكن تعريف التساؤل اصطلاحاً بأنه:

هو السؤال المفترض الذي يورده المؤلف ثم يجيب عنه.

فيكون التساؤل من طرفين:

الطرف الأول: سائل يفترضه العالم يعبر عنه بقول: فإن قال قائل، أو فإن قيل، أو فإن سأل سائل.

الطرف الثاني: المجيب وهو العالم نفسه.

(١) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف ومفسر. من كبار العلماء بالعربية، وكان مقرئاً مفتياً. ولد في تاكو (قرب استراباد في إيران)، ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فرّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور سنة ٨٠٧هـ، فأقام إلى أن توفي سنة (٨١٦هـ). انظر الأعلام للزركلي (٧/٥)، والتاج المكلل لصديق حسن خان (ص: ٣٩٦)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (١/ ٣٨١).

(٢) التعريفات (ص: ١٢٣)

المبحث الثاني

استعمال العلماء له في كتبهم، ومنهم المفسرون

أسلوب طرح السؤال المحتمل وروده في ذهن القارئ، ثم الإجابة عنه أسلوب متداول بين العلماء على مختلف تصنيفاتهم، ونورد هنا أمثلة من استعمال العلماء لهذا الأسلوب، فمن ذلك:

- استعماله في علم العقيدة:

استعمل الذهبي في كتابه "العلو" حيث قال: "فإن قيل فأيش معنى قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؟ قيل: علمه والله على عرشه وعلمه محيط بها كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين".^(١) وفي موضع آخر يقول: "فإن قيل ما تقولون في قوله: ﴿ءَأَمْنُم مِّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. قيل له معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش كما قال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]. بِمَعْنَى عَلَى الْأَرْضِ"^(٢). واستعمل الأسلوب كذلك ابن حزم^(٣) كثيرا

(١) العلو للعلي الغفار (ص: ٢٢٨)

(٢) المصدر نفسه (ص: ٢٣٢)

(٣) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم "الحزمية". ولد بقرطبة. وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتديير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة. وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها سنة (٤٥٦هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ١٨٤)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٤ / ١٦٥٠)، والأعلام

في "الفصل"؛ فمن ذلك ما أورده بقوله: "فإن قيل أنتم تصدقون بأن الله تعالى أتاه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وأن الله سخر له الريح والجن والطيور، وعلمه منطلق الطير والنمل وأن الريح كانت تجري بأمره، وأن الجن كانوا يعملون له المحاريب والتمائيل والجفان والقدور؟ قلنا: نعم، ونكفر من لم يؤمن بذلك".^(١)

- استعماله في علم الحديث:

من العلماء الذين استعملوا أسلوب التساؤل ابن حجر العسقلاني، ومن ذلك ما ذكره في كتابه "فتح الباري"؛ فقد قال في شرحه لحديث سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان^(٢): "فإن قيل: فكيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟ أوجب بأنه يحتمل أن يكون ذلك مبالغة في التعمية لأمره، أو ليبين أن ذلك غير واجب، أو سلم فلم ينقله الراوي. قلت: وهذا الثالث هو المعتمد".^(٣) واستعمله ابن رجب^(٤) كذلك في شرحه شرحه للبخاري، فمن ذلك ما أورده بقوله: "إن قيل: فقد صلى النبي ﷺ بجابر عن يمينه، ثم جاء آخر فقام عن يساره، فأخرهما النبي ﷺ. خرجه مسلم في صحيحه^(٥). ولم يدل

= للزركلي (٢٥٤/٤)

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٣٢٤)

(٢) سبق تخريجه

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/٢٤٩)

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: الإمام الأصولي المحدث الفقيه الواعظ الشهير، كان إماماً في العلوم، وله مصنفات كثيرة منها شرحه على البخاري والترمذي وجامع العلوم والحكم. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة (٥٧٩٥هـ). الدرر الكامنة لابن حجر (٢/٣٢١)، والتاج المكلل لصديق حسن خان (ص: ٣١٨)، والأعلام للزركلي (٣/٢٩٥)

(٥) صحيح مسلم (٨/٢٣٢). كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، برقم (٣٠٠٦)

ذَلِكَ عَلَيَّ أَنْ صَلَاةَ الْاِثْنَيْنِ عَنِ جَانِبِي الْإِمَامِ لَا تَصِحُّ. قِيلَ: إِنَّمَا صَحَّ قِيَامُ الْاِثْنَيْنِ عَنِ جَانِبِي الْإِمَامِ؛ لِأَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ فَعَلَهُ، وَرَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَيْسَ فِي الْقِيَامِ عَنِ يَسَارِ الْإِمَامِ نَصٌّ يَدُلُّ عَلَيَّ صِحَّةِ صَلَاةٍ مِنْ أُمَّ صَلَاتِهِ عَنِ يَسَارِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَيْضًا؛ فَالْوَقُوفُ عَنِ جَانِبِي الْإِمَامِ مَشْرُوعٌ فِي حَقِّ الْعِرَاءِ وَحَقِّ النِّسَاءِ، وَأَمَّا الْقِيَامُ عَنِ يَسَارِهِ خَاصَّةٌ، فَلَيْسَ بِمَشْرُوعٍ بِحَالٍ".^(١)

- استعماله في أصول الفقه:

يعد أهل أصول الفقه من أكثر من يورد هذا الأسلوب، إن لم يكونوا أكثرهم، ولعل السبب في ذلك هو ارتباط علم الأصول بعلم الكلام. وممن ذكره بكثرة الزركشي^(٢) في "البحر المحيط"، فمن أمثلة ذلك ما ذكره في النسخ: "فإن قيل: لا نسلم أن الرجم ثبت بهذه الآية، بل إنما ثبت بقوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب الرجم» رواه مسلم^(٣). قلنا: هذا مقرر لحكم تلك الآية، ويعرف أنه لم ينسخ".^(٤) وذكره كذلك الغزالي^(٥) في "المستصفى"، وأكثر منه، فمن ذلك ما قاله: "فإن قيل: ولم كان

(١) فتح الباري لابن رجب (٢٠٦/٦)

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: فقيه شافعي، أصولي، مفسر، أديب، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، سمع بحلب ودمشق، وأخذ عن الإسنوي ومغلطاي وابن كثير والأذري وغيرهم، ودرس وأفتى، وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى في مصر. توفي سنة (٥٧٩٤هـ). انظر حسن المحاضرة للسيوطي (١/٤٣٧)، والأعلام للزركلي (٦/٦٠)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٢/٥٠٥)

(٣) صحيح مسلم (٥/١١٥)، كتاب الحدود والديات باب حد الزنى برقم (١٦٩٠).

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه (٥/٢٥٣)

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: أصولي، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده. لزم إمام الحرمين أبا المعالي حتى تخرَّج عن مدة قريبة، وصار أنظر أهل زمانه، وواحد أقرانه، وأخذ في التصنيف والتعليق. نسبته إلى صناعة الغزل
⇐ =

للمصيب أجران وهما في التكليف وأداء ما كلفا سواء؟ قلنا: لقضاء الله تعالى وقدره وإرادته، فإنه لو جعل للمخطئ أجرين لكان له ذلك، وله أن يضاعف الأجر على أخف العملين؛ لأن ذلك منه تفضل، ثم السبب فيه أنه أدى ما كلف وحكم بالنص إذ بلغه، والآخر حرم الحكم بالنص إذ لم يبلغه^(١). وممن أكثر منه ابن قدامة^(٢) في روضة الناظر، والسرخسي^(٣) في أصوله، وغيرهما.

- استعماله عند النحويين:

من أمثلة استعمال النحويين لأسلوب طرح السؤال والإجابة عنه، ما ذكره النحاس^(٤) في "عمدة الكتاب" حيث قال: "فإن قيل: لم لم يقل: شهر ربيع الثاني، وقيل:

= (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزّالة (من قرئ طوس) لمن قال بالتخفيف. توفي سنة (٥٥٠٥هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١١ / ٦٢)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥ / ٢٠٠)، والأعلام للزركلي (٧ / ٢٢)

(١) المستصفى (ص: ٣٦٠)

(٢) هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقيّ الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين: فقيه، من أكابر الحنابلة، له عدة تصانيف، من أشهرها المغني. ولد في جماعيل (من قرئ نابلس بفلسطين) وتعلم في دمشق، ورحل إلى بغداد سنة ٥٦١هـ فأقام نحو أربع سنين، وعاد إلى دمشق، وفيها وفاته سنة (٥٦٢٠هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٣ / ٦٠١)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣ / ٢٨١)، والأعلام للزركلي (٤ / ٦٧).

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي الحنفي، شمس الأئمة صاحب "المبسوط"، وقد أملاه وهو في السجن. وكان عالمًا، أصوليًا، مناظرًا من أهل سرخس في خراسان. توفي سنة (٥٤٨٣هـ). انظر تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ٢٣٤)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (٣ / ٧٠)، والأعلام للزركلي (٥ / ٣١٥)

(٤) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر ابن النحاس المصريّ النحويّ اللغويّ. رحل إلى الشام، وأخذ عن الزجاج. وكان ينظر بابن الأنباري ونفطوئيه ببلده. له كتاب "إعراب القرآن"، وكتاب "المعاني"، وكتاب "اشتقاق الأسماء الحسني"، وكتاب "تفسير أبيات سيبويه"، و"الكافي" المؤلف في النحو. وفسر عشرة دواوين وأملاها. وروى كثيرًا عن: علي بن سليمان الأخفش الصغير. وكان

⇐ =

الآخر؛ وكذا جمادى الآخرة، ولم يقل: الثانية؛ كما يقال: السنة الأولى والثانية؟
فالجواب: إنه يقال الثاني والثانية لما له ثالث وثالثة، فلما لم يكن لهذين ثالث ولا ثالثة قيل
فيهما: الآخر والآخرة، كما قيل: الدنيا والآخرة^(١). وفي "نتائج الفكر" للسهيلى^(٢): "فإن
قيل لهم: ولم كسرت الكاف من "كلا" وهي في "كل" مضمومة؟ فلهم أن يقولوا:
كسرت إشعاراً وتنبهت على معنى الاثنين، كما يبدأ لفظ الاثنين بالكسر، ألا تراهم كسروا
العين من عشرين إشعاراً بتثنية العشر"^(٣).

– استعماله عند المفسرين:

قد استعمل أسلوب التساؤل والإجابة عنه المفسرون في كتبهم، وبعضهم قد أكثر
منه؛ فممن استعمله شيخ المفسرين ابن جرير^(٤)، فمما ذكره قوله: "فإن قال قائل: أوليس

= حاذقاً، بارعاً، كبير الشأن. سَمِعَ الحديث من: الحسن بن غليب، ونحوه. وقيل: كان شديد التقدير على
نفسه. ربّما وهبوه العمامة، فيقطعها ثلاث عمائم. قال ياقوت الحموي: وأبو جعفر هذا صاحب الفضل
الشائع، والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته عن الإطناب في صفته. توفي سنة (٥٣٣٨هـ). انظر تاريخ
الإسلام للذهبي (٧/٧١٣)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٩/٢١)، ومعجم الأدباء لياقوت
الحموي (١/٤٦٨)

(١) عمدة الكتاب (ص: ١٠٠)

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حُبَيْش الإمام أبو زيد وأبو القاسم السهيلى الخثعمي
الأندلسي المالقي الحافظ. كَانَ عالماً بالعربية واللغة والقراءات، بارعاً في ذلك، جامعاً بين الرواية
والدراية، نحوياً مُتَقَدِّماً، أدبياً، عالماً بالتفسير وصناعة الحديث، حَافِظاً لِلرِّجَالِ وَالْأَنْسَابِ، عَارِفاً بِعِلْمِ
الْكَلَامِ وَالْأُصُولِ، حَافِظاً لِلتَّارِيخِ، وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ، غَزِيرَ الْعِلْمِ، نَبِيهاً ذَكِيًّا، صَاحِبَ اخْتِرَاعَاتٍ
وَاسْتِنْبَاطَاتٍ. تصدر للإقراء والتدريس، وَبَعْدَ صَيْتِهِ. كَفَ بَصْرَهُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَاسْتَدْعَى إِلَيْهِ
مِرَاكِشٌ، وَحَظِي بِهَا، وَدَخَلَ غِرْنَاطَةَ. توفي سنة (٥٥٨١هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/٧٣١)،
وبغية الوعاة للسيوطي (٢/٨١)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/٢٥٤)

(٣) نتائج الفكر في النحو (ص: ٢٢٢)

(٤) هو مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبِ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ الْمُجْتَهِدِ الْمُطَّلِقِ شَيْخِ الْمَفْسَرِينَ أَبُو جَعْفَرٍ
⇐ =

الإيمان في كلام العرب التصديق والإقرار؟ قيل: بلى. فإن قيل: فكيف زادتهم السورة تصديقا وإقرارا؟ قيل: زادتهم إيمانا حين نزلت، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لهم فرض الإقرار بها والعمل بها بعينها إلا في جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند الله فحق؛ فلما أنزل الله السورة لهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه، فكان ذلك هو الزيادة التي زادهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها^(١). وممن استعمله وأكثر منه الإمام القرطبي^(٢)، حيث يقول: "فإن قيل: لم قدمت مساجد أهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين؟ قيل: لأنها أقدم بناء. وقيل لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر؛ كما أصر السابق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢]"^(٣). واستعمله الطاهر ابن عاشور^(٤) في "التحرير والتنوير" إذ يقول:

= الطبري من أهل آمل طبرستان (يقع شمال إيران) أحد أئمة الدنيا علما ودينا، طوف الأقاليم في طلب العلم، كان له مذهب مستقل واندثر. قال لأصحابه يوما: هل تشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة. قالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه. فقال: إنا لله، ماتت الهمة. فأمله في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ولما أراد أن يملي "التفسير" قال لهم كذلك، ثم أملاه بنحو من التاريخ. توفي سنة (٥٣١٠هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٦٢/٧)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥٤٨/٢)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٢٠/٣)

(١) جامع البيان للطبري (٨٨-٨٩/١٢)

(٢) هو مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بكر بن فَرَح، الإمام، العلامة، أبو عَبْدِ اللَّهِ الأنصاري، الحَزْرَجِيّ، القُرْطُبِيّ. إمام متفهم متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله، تُوفِّي في أوائل هذه السنة بمُنية بني خصيب من الصَّعيد الأدنى. وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الرُّكبان؛ وهو كامل في معناه. وله كتاب "الأسنن في الأسماء الحُسنى"، وكتاب "التذكرة"، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه. توفي سنة (٦٧١هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٢٢٩/١٥)، الأعلام للزركلي (٣٢٢/٥)، ومعجم المفسرين (٤٧٩/٢)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢/١٢)

(٤) هو مُحَمَّد الطَّاهِر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور التُّونِسِيّ: رئيس المفتين المالكيين بتونس

⇐ =

"فإن قيل - أي في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ - كيف كتبت في المصحف بالصاد وقرأها بعض القراء بالسين؟ قلت إن الصحابة كتبوها بالصاد تنبيهاً على الأفصح فيها، لأنهم يكتبون بلغة قريش واعتمدوا على علم العرب".^(١)

وممن أكثر منه الرازي^(٢) في "مفاتيح الغيب"، والسمعاني^(٣) في تفسيره.

= وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مفسر، لغوي، نحوي، أديب. انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٥٠، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٥. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخاً للإسلام مالكيًا. له مصنفات مطبوعة. توفي سنة (١٣٩٣هـ). انظر الأعلام للزركلي (١٧٤/٦)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٥٤٢/٢).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩٠/١)

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر صاحب التصانيف.. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. توفي سنة (٦٠٦هـ) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٣٧/١٣)، والأعلام للزركلي (٣١٣/٦)

(٣) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التيمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر: الإمام المفسر، المحدث، الورع، من أهل مرو، مولداً ووفاته. كان مفتي خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو. توفي سنة (٤٨٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٥/١٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦٤٠/١٠)، والأعلام للزركلي (٣٠٣/٧).

المبحث الثالث

أسباب إيراد التساؤل عند المفسرين

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: حل الإشكالات العقدية، واللغوية، والتفسيرية.
- المطلب الثاني: الجمع بين الآيات التي قد يفهم أن بينها تعارضًا.
- المطلب الثالث: دفع الشبه التي قد يوردها المخالفون.

* * * * *

المطلب الأول: حل الإشكالات العقديّة، واللغوية، والتفسيرية

من المعلوم أن العلماء يعنون في تأليفهم بإيصال المعلومة إلى ذهن المتلقي بصورة واضحة، وأنه قد يرد على العلماء إشكالات تحتاج إلى بيان، فيأتون بها على صورة التساؤل، والإجابة عنه، وربما كان الإشكال عقدياً، مثل ما ذكره الشنقيطي^(١) في "أضواء البيان" حيث قال: "فإن قيل: إن هذا القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين، والعرب لا تعرف في لغتها كيفية لليد مثلاً، إلا كيفية المعاني المعروفة عندها كالجارحة، وغيرها من معاني اليد المعروفة في اللغة، فبينوا لنا كيفية لليد ملائمة لما ذكرتم". ثم ذكر الرد من وجهين:

الأول: أن العرب لا تدرك كيفيات صفات الله من لغتها، لشدة منافاة صفة الله لصفة الخلق. فالعرب لا تعرف كيفية للسمع والبصر إلا ما تشاهده في حاسة الأذن والعين، وأما الذي اتصف الله به من ذلك، فلا تعرف له العرب كيفية، ولا حداً لمخالفة صفاته لصفات الخلق، إلا أنهم يعرفون من لغتهم أصل المعنى.

الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد، فكما أن ذاته ﷻ تخالف جميع الذوات فكذلك صفاته تخالف جميع الصفات - جلّ في علاه -^(٢).

ومن أمثلة ما ذكره في حل الإشكالات اللغوية ما ذكره القرطبي عندما ذكر القول بأن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، بأنها دواب الأرض حيث قال:

(١) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. وحج (١٣٦٧هـ) واستقر مدرّساً في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١هـ) وتوفي بمكة سنة (١٣٩٣هـ). انظر الأعلام للزركلي (٤٥/٦)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٤٩٦/٢)

(٢) ينظر أضواء البيان للشنقيطي بتصرف (٢٧٥-٢٧٦)

"فإن قيل: كيف جمع من لا يعقل جمع من يعقل؟ قيل: لأنه أسند إليهم فعل من يعقل، كما قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ولم يقل ساجدات، وقد قال: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]، وقال: ﴿وَتَرْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] ومثله كثير"^(١).

ومن أمثلة ما ذكره فيما يخص التفسير ما ذكره الطبري عند قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] حيث قال: "فإن قال قائل: وأنى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق؟

قيل له: ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد، فمن ذلك قول الشاعر:

لا تحرمني هداك الله مسألتي

ولا أكونن كمن أودى به السفر"^(٢).^(٣)

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨٧/٢)

(٢) لم أجد من نسب البيت. قال محقق تفسير الطبري (طبعة هجر): لم أعرف نسبة البيت، وأخشى أن يكون من أبيات ودقة الأسدي يقولها لمعن بن زائدة. انظر جامع البيان (١٦٦/١)

(٣) جامع البيان (١٦٦/١)

المطلب الثاني: الجمع بين الآيات التي قد يفهم أن بينها تعارضاً

القرآن الكريم يصدق بعضه بعضاً، فلا يمكن بأي حال أن يكون بين آياته تعارض، وإنما قد يرد التعارض لدى أفهام بعض الناس، فيتخذ بعض العلماء من أسلوب السؤال طريقة لطرح ذلك التعارض المتوهم في ذهن المتلقي ثم يجيب عنه؛ ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الشنقيطي عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤] حيث قال: "فإن قيل: ما وجه الجمع بين نفي اعتذارهم المذكور هنا، وبين ما جاء في القرآن من اعتذارهم؟ كقوله تعالى عنهم: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨]، وقوله: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤] ونحو ذلك من الآيات. فالجواب من أوجه:

منها: أنهم يعتذرون حتى إذا قيل لهم: ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]؛ انقطع نطقهم ولم يبق إلا الزفير والشهيق كما قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥].

ومنها: أن نفي اعتذارهم يراد به اعتذار فيه فائدة. أما الاعتذار الذي لا فائدة فيه فهو كالعدم، يصدق عليه في لغة العرب: أنه ليس بشيء، ولذا صرح تعالى بأن المنافقين بكم في قوله: ﴿صُمُّ بُكْمٌ﴾ [البقرة: ١٧١]، مع قوله عنهم: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]؛ أي: لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم. وقال عنهم أيضاً: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، فهذا الذي ذكره جلَّ وَعَلَا من فصاحتهم وحدة ألسنتهم، مع تصريحه بأنهم بكم يدل على أن الكلام الذي لا فائدة فيه كلا شيء، كما هو واضح^(١).

المطلب الثالث: دفع الشبه التي قد يوردها المخالفون

يذكر العلماء الشبه التي قد يتشبه بها المخالفون، ثم يقومون بتفنيدها، ومن أساليب التفنيد عرض الشبهة بطريقة السؤال، ومن أمثلة ذلك ما ذكره السمعاني عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ إِنَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، حيث قال: "فإن قال قائل: ما معنى التوفي، وعيسى في الأحياء على زعمكم؟ قلنا: فيه أقوال، قال الحسن البصري: معناه: إني قابضك من الأرض^(١)، وهو صحيح عند أهل اللغة، فيقال: توفيت حقي من فلان. أي: قبضت. قال الأزهري^(٢): كأنه يقول: إني متوفى عدد آباءك في الأرض، وكل شيء تم فهو متوفى، ومستوفى، وقال الفراء^(٣): فيه تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إلي

(١) رواه ابن جرير في تفسيره، (٥/٤٥٠) وابن المنذر في تفسيره (١/٢٢١)

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي النَّحْوِي اللُّغَوِي الشَّافِعِي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده "الأزهر"، عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبخر في العربية، فرحل في طلبها، وقصد القبائل، وتوسع في أخبارهم. ووقع في إفسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن يتكلمون بطباعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن. وله من التصانيف: التَّهْدِيد فِي اللُّغَةِ، تَفْسِير أَلْفَاظ مُخْتَصِر الْمُزْنِي، التَّقْرِيب فِي التَّفْسِير، شرح شعر أبي تمام، الأدوات، وغير ذلك. توفي سنة (٣٧٠هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٨/٣٢٥)، وبغية الوعاة للسيوطي (١/٢٠)، والأعلام للزركلي (٥/٣١١).

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولد بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوماً في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها. توفي سنة (٥٢٧هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/١١٨)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦/٢٢٤)، والأعلام للزركلي (٨/١٤٥)

ومتوفيك "أي: بعد النزول من السماء. وقد ثبت عن رسول الله أنه قال: "ليهبطن عيسى بن مريم حكماً مقسطاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير"^(١)، وفي رواية: "أنه يقتل الدجال بباب لد"^(٢) من دمشق، وفي الأخبار: أنه يعيش بعد ذلك في الأرض سبع سنين، ويتزوج، ويولد له. ثم يموت، ويصلوا عليه المؤمنون من هذه الأمة. وهذا التقديم والتأخير الذي ذكرنا في الآية محكى عن ابن عباس^(٣)، وله قول آخر: أن الآية على حقيقة الموت، وأن عيسى قد مات، ثم أحياه الله تعالى ورفعته إلى السماء^(٤). قال وهب بن منبه^(٥): أماته الله ثلاث ساعات من النهار، ثم أحياه الله، ورفعته إليه^(٦)، وقال الربيع بن أنس^(٧): التوفي:

- (١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. صحيح البخاري (٢/٧٧٤) كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، برقم (٢١٠٩)، صحيح مسلم (١/٩٣) كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم، برقم (١٥٥)
- (٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان. (٨/١٩٧). كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، برقم (٢٩٣٧)
- (٣) لم أجد له عن ابن عباس، ووجدته عن قتادة عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٦١)
- (٤) رواه عنه ابن المنذر في تفسيره (١/٢٢١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٦١)
- (٥) هو وهب بن منبه الأبنائوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: الإمام المؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. لقي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وأبا هريرة وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك والنعمان بن بشير وأبا سعيد الخدري، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. توفي سنة (٥١٤هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٤٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣/٣٦٦)، والأعلام للزركلي (٨/١٢٥)
- (٦) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/٤٥٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٦١)
- (٧) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي، بصري. وكان من أهل البصرة وقد لقي ابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك. وكان قد هرب من الحجاج، فأتى مرو، فسكن قرية منها يقال لها برز ثم تحول إلى قرية أخرى منها يقال لها سذور. فكان فيها إلى أن مات. وقد كان طلب أيضاً بخراسان حين ظهرت دعوة ولد العباس فتغيب فتخلص إليه عبد الله بن المبارك وهو مختف فسمع منه أربعين حديثاً. وكان عبد الله يقول: ما يسرني بها كذا وكذا لشيء سماه. ومات الربيع بن أنس في خلافة

⇐ =

هو النوم^(١)، وكان عيسى قد نام، فرفعه الله نائمًا إلى السماء، والمعروف: القولان الأولان^(٢).



- = أبي جعفر المنصور سنة (١٣٩هـ). انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٢٦١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦/١٦٩)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (١/١٨٩)
- (١) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/٤٤٨)
- (٢) انظر تفسير السمعاني (١/٣٢٣-٣٢٤)

الفصل الثاني

منهج البغوي في إيراد التساؤلات والإجابة عنها

وفيه ثلاثة مباحث :

- ❖ المبحث الأول: منهج البغوي في إيراد التساؤلات.
- ❖ المبحث الثاني: منهج البغوي في الإجابة عن التساؤلات.
- ❖ المبحث الثالث: أنواع التساؤلات التي أوردها البغوي في تفسيره.

* * * * *

المبحث الأول

منهج البغوي في إيراد التساؤلات

تميز البغوي في إيراد التساؤلات بأمور هي:

الأمر الأول: إيراد التساؤل بعبارة مختصرة، وفي الغالب أنه يورد تساؤلاً واحداً في الآية، ونادراً ما يورد تساؤلين في آية واحدة، فمن أمثلة ذلك:

١- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ حيث قال: "فإن قيل: ما معنى قوله "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم" وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟" ثم بعد ذلك ذكر التساؤل الثاني بقوله: "فإن قيل: كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟" (١)

٢- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، حيث قال: "إن قيل: أليس قد جاء في الحديث: "كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي" (٢)؟ ثم قال بعد ذلك: "فإن قيل: قد قال هاهنا ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾" (٢)

(١) معالم التنزيل (٣/ ٣٠٠)

(٢) الحديث جاء عن ثلاثة من الصحابة:

١- عن عمر بن الخطاب رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٧٥) والحاكم في المستدرک (٣/ ١٥٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وخالفه الذهبي فقال: منقطع.

٢- عن ابن عباس، رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٤٤١)

٣- عن المسور بن مخرمة رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤/ ٤١٧) والحاكم في المستدرک (٣/ ١٧٢) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٠٣): فيه أم بكر بنت
⇐ =

وقال في موضع آخر: ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) ﴿[الصافات: ٢٧]؟﴾^(١)

الأمر الثاني: أنه يورد الاعتراض مع السؤال، ومن أمثلة ذلك:

١- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) ﴿[التوبة: ٥]، حيث قال: "فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحرم والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾؟"﴾^(٢)

٢- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلْهَمْنَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥) ﴿[يونس: ٣٥]، حيث قال: "فإن قيل: "كيف قال: "إلا أن يهدي"، والصنم لا يتصور أن يهدي ولا أن يهدي؟"﴾^(٣)

٣- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) ﴿[هود: ١٣]، حيث قال: "فإن قيل: قد قال في سورة يونس: ﴿فَأْتُوا بِسُوَرٍ مِثْلِهِ﴾؟ [يونس: ٣٨]، وقد عجزوا عنه فكيف قال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهما فيعجز، فيقول: أعطني عشرة؟"﴾^(٤)

الأمر الثالث: التزامه بصيغة واحدة وهي أنه يورد السؤال بصيغة "فإن قيل"، إلا في موضع واحد في كلامه في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٣] فقد أورد

= المسور، ولم يجرها أحد ولم يوثقها، وبقية رجاله وثقوا. والحديث صححه الألباني بمجموع الطرق في السلسلة الصحيحة (٥/٦٤).

(١) معالم التنزيل (٥/٤٢٩)

(٢) المصدر نفسه (٤/١٣)

(٣) المصدر نفسه (٤/١٣٣)

(٤) المصدر نفسه (٤/١٦٥)

التساؤل بصيغة "فإن قال قائل"، بخلاف كثير من المفسرين، فإنهم كانوا ينوعون صيغة إيراد السؤال، فتارة يوردونه بصيغة "فإن قيل"^(١)، وهذه الصيغة هي الأكثر استخداماً، وتارة يوردون السؤال بصيغة "فإن سألت سائل"^(٢)، ولكن استخدامها ليس كثيراً، وتارة يوردون السؤال بصيغة "فإن قال قائل"^(٣).



- (١) انظر مثلاً جامع البيان لابن جرير (٥٤٨/١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٠/٣)، وفتح البيان لصديق حسن خان (١٤٤/١)، والنكت والعيون للماوردي (١٢٤/٢)، وروح المعاني للألوسي (٢١٤/١٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٦٠/١).
- (٢) انظر مثلاً جامع البيان لابن جرير (١٣٠/٢)، ومفاتيح الغيب للرازي (١٤٢/٢٨).
- (٣) انظر مثلاً جامع البيان لابن جرير (٧٣٩/٢)، وتفسير السمعي (١١٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٩/١٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٠٨/٢٩).

المبحث الثاني

منهج البغوي في الإجابة عن التساؤلات

سلك الإمام البغوي في أجوبته عن التساؤلات الآتي:

١ - الاختصار في إيراد الأجوبة:

وهذا ظاهر في غالب الأجوبة التي ذكرها البغوي، بل في بعضها لا يذكر إلا جواباً واحداً، كما ذكر عند قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، حيث قال: "فإن قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين"^(١).

ونادراً ما يستقصي الأجوبة في التساؤل الواحد، ومن أمثلة ما ذكر من الاستقصاء في ذكر الأجوبة الآتي:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، حيث ذكر جوابين، وفرع عن الجواب الثاني باحتمالات، ودعم ما ذكر بالأدلة من السنة - كما سيأتي -^(٢).

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، حيث ذكر جواباً واحداً عن وصف القرآن الكريم كله

(١) معالم التنزيل (١/ ٦٧)

(٢) في الموضع العاشر من سورة البقرة.

بأنه محكم، ووصفه كله بأنه متشابه، ثم أطال في ذكر الخلاف في وصف بعضه بأنه متشابه، وبعضه بأنه محكم والوارد في آية "آل عمران" كما سيأتي - إن شاء الله -.

٢- الاستدلال بالقرآن الكريم على توجيهه:

قد يستدل الإمام البغوي بالقرآن الكريم للتدليل على جوابه الذي يورده، وإن كان ذلك نادراً كما ذكر عند: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، حيث قال: فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظناً فأصاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠] (١). فاستدل بآية سبأ على جوابه الذي أورده. (٢)

٣- الاستدلال بالسنة:

قد يذكر البغوي الأدلة من السنة على أجوبته التي يوردها، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، حيث استدل بحديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال للنبي ﷺ: إنا لسنا نعبدهم، فقال: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟" قال قلت: بلى، قال: "فتلك عبادتهم". (٣) (٤)

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢١٨)

(٢) انظر الموضع الثالث من سورة الأعراف.

(٣) انظر الموضع الخامس من سورة التوبة، والحديث أخرجه الطبراني بهذا اللفظ في المعجم الكبير (٧/ ١٢)، وأخرجه الترمذي مختصراً في سننه (٥/ ١٢٩) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة التوبة، برقم (٣٠٩٥). وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. انتهى. وقد نقل الزيلعي في تخريج الكشاف

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، حيث أورد حديث: "إنما أنا لكم مثل الوالد لولده"^(١) للاستدلال على أن أبوة إبراهيم للمسلمين من حيث وجوب احترامه، وحفظ حقه كما يحترم الأب.^(٢)

= (٦٦/٢) عن الترمذي قوله (حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث...) فقد زاد في كلام الترمذي لفظة (حسن) وهي غير موجودة في نسخ الترمذي التي بين أيدينا، وما في تحفة الأشراف موافق لما في نسخ الترمذي بدون لفظة (حسن) انظر تحفة الأشراف (٢٨٣/٧). قال الذهبي: وقال الدارقطني: ثقة حجة، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة في حديثه لين، وقال ابن معين: ثقة. انتهى من ميزان الاعتدال (٦١٥/٢). قال ابن حجر: ثقة حافظ له مناكير. تقريب التهذيب (ص: ٣٥٥). وأما غطيف بن أعين فلم يخرج له الترمذي غير هذا الحديث. وضعفه الدارقطني. انظر تهذيب التهذيب (٨/ ٢٥١) لابن حجر، وقال عنه في التقريب: ضعيف. تقريب التهذيب (ص: ٤٤٣). والحديث ضعفه الترمذي والدارقطني كما في الأطراف: (٩٣/٢). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٨٦١) بمجموع طرقه فقد ورد من طريق آخر عند ابن مردويه، حيث قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٦٦/٢): ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث عمران القطان حدثنا خالد العبدي عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عدي بن حاتم. انتهى. وعمران القطان ضعفه النسائي وأبو داود وابن معين، وقال أحمد أرجو أن يكون صالح الحديث. انظر تهذيب التهذيب (٨/ ١١٦). وقال ابن حجر في التقريب: صدوق يهم. تقريب التهذيب (ص: ٤٢٩)، وأما خالد العبدي فذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٣٦٠)، وصفوان بن سليم ثقة. تقريب التهذيب (ص: ٢٧٦)، وكذلك عطاء بن يسار. تقريب التهذيب (ص: ٣٩٢).

(١) أخرجه النسائي في سننه (٣٨/١) كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث، برقم (٤٠)، وابن ماجه (٢٠٨/١). كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة، برقم (٣١٣)، والمصنف في شرح السنة: (١/ ٣٥٦) وقال هذا حديث صحيح.

(٢) انظر الموضع الثالث من سورة الحج.

٤ - الاعتضاد بالقراءات الشاذة:

الإمام البغوي كان ملماً بالقراءات المتواترة والشاذة، ولذلك كان يذكر القراءات في تفسيره، ومن ذلك أنه قد يذكر القراءة الشاذة أثناء عرضه للإجابات التي يجيب بها عن السؤال الذي يطرحه، لكن ذلك على نطاق ضيق، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، حيث طرح التساؤل الثاني في الآية، وهو: "كيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة؟ فكان مما أجابه فيه هو إيراد قراءة ابن مسعود فقال: فكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، وكذلك هو في مصحفه".^(١) فعلى قراءة ابن مسعود لا يرد التساؤل الذي طرحه.

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَيُّدَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، حيث أورد السؤال التالي: "كيف قالوا ذلك وهم لا يفقهون؟ فكانت إجابته واحدة وهي أنه كلم عنهم مترجم"، ثم قال: "دليله: قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولاً قال الذين من دونهم يا ذا القرنين".^(٢)

٥ - إيراد الإسرائيليات:

تقدم أن الإمام البغوي مقل من إيراد الإسرائيليات في تفسيره، ومن المواضع التي أورد فيها الإسرائيليات هي مواضع الإجابات عن التساؤلات التي يطرحها، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]، حيث تساءل عن كيفية معرفة السامري لجبريل ورؤيته له من بين سائر الناس؟ فأجاب بقوله: "لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعت في الكهف حذراً عليه، فبعث الله جبريل ليريه

(١) معالم التنزيل (٣/ ١٢٢-١٢٣)، وانظر الموضع السادس من سورة التوبة.

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٢٠١-٢٠٢)، وانظر الموضع السادس من سورة الكهف.

لما قضى على يديه من الفتنة" (١).

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]، حيث إنه طرح سؤالاً وهو: "فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟" وذكر عليه عدة أجوبة منها؛ أن إخوة يوسف لما دخلوا مصر كمنوا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئاً من حروث الناس (٢).

٦- ذكر آثار السلف:

الإمام البغوي يعد تفسيره من التفاسير التي اهتمت بالمأثور، ومن ذلك أنه يورد الآثار التي تدعم الإجابة التي يوردها، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١١٢] حيث إنه لما قال: "فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨]. ومن أهل الإيمان من يدخل النار وقد قال: "إنك من تدخل النار فقد أخزيتة"؟" نقل عن أنس وقتادة وسعيد بن المسيب أنها خاصة بأهل الخلود في النار. (٣)

ب- ما ذكره عند قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الرحمة من ربك إن فضله، كان عليك كبيراً] (٨٧) [الإسراء: ٨٦-٨٧]، حيث قال: "فإن قيل: كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟ فأجاب بقوله قيل: المراد منه: محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور. ثم أورد أثراً عن ابن مسعود رضي الله عنه، وآخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص، في الدلالة على رفع القرآن من الصدور والسطور" (٤).

(١) معالم التنزيل (٥/ ٢٩٢)، وانظر الموضع الثالث من سورة طه.

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٦١)، وانظر الموضع الثاني من سورة يوسف.

(٣) المصدر نفسه (٢/ ١٥٢)

(٤) المصدر نفسه (٥/ ١٢٧)، وانظر الموضع الرابع من سورة الإسراء.

٧- ذكر الأوجه اللغوية، مع إسناد الأقوال لعلماء اللغة:

يتضح من إجابات البغوي عنايته بالمعاني اللغوية، وينقل أحياناً عن علماء العربية، وقد يورد الشواهد اللغوية، ومن ذلك:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦]، حيث قال: "فإن قيل فما وجه دخول أن في هذا الموضع والعرب لا تقول: مالك أن لا تفعل، وإنما يقال: ما لك لا تفعل؟ قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان". واستشهد على الإثبات بقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، وعلى الحذف بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]، ثم أورد أقوال ثلاثة من علماء اللغة، وهم الكسائي، والفراء، والأخفش في توجيه دخول "أن" في الآية^(١).

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، حيث إنه أورد السؤال التالي: "فإن قيل: ما وجه قوله: "ولا في السماء" والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء؟" ثم نقل عن الفراء أنه قال: "معناه ولا من في السماء بمعجز، كقول حسان بن ثابت:

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

أراد: من يمدحه ومن ينصره، فأضمر "من"، يريد: لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء". ثم أورد قول قطرب أن معنى الآية هو: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كقول الرجل: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو كان بها.^(٢)

(١) المصدر نفسه (١/٢٩٦-٢٩٧)، وسيأتي تفصيل ذلك في الموضع الثالث عشر من سورة البقرة.

(٢) المصدر نفسه (٦/٢٣٧)، وانظر الموضع الأول من سورة العنكبوت.

٨- ذكر الأقوال مع قلة الترجيح بينها:

انتهج البغوي في إيراد الإجابات طريقة ذكر الأقوال دون الترجيح بينها إلا فيما قل، ومما لوحظ أن الإمام البغوي ربما يذكر قولاً واحداً في الآية ويترك غيره، ولعل ذلك هو ما ترجح له، لكنه لم يصرح بالترجيح، فمن أمثلة ذكره القول الواحد دون غيره الآتي:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] فإنه لم يذكر إلا القول القائل بأن المقصود بالآية هم المخلدون في النار، وأورد قول أنس بن مالك وقتادة وسعيد بن المسيب، والآية فيها ثلاثة أقوال كما سيأتي. (١)

ب- ما ذكره عند قوله تعالى ﴿وَلَسَلِمْنَ النَّارَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١] حيث قال: "فإن قيل: قد قال في موضع آخر "تجري بأمره رخاء" والرخاء اللين؟". لم يورد فيه إلا جواباً واحداً وهو: أنه كانت الرياح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت (٢). وقد أورد غيره أجوبة أخرى سيأتي بيانها في موضعها - إن شاء الله -.

وقد يصرح بالترجيح بقوله "والصحيح" لكن ذلك قليل كما تقدم، فمن أمثلة ترجيحاته الآتي:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ الْقُرَيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢]، حيث طرح السؤال التالي: "فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه، وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه، وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة؟"، ثم قال: "قيل: قد أكثر الناس فيه، والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله ﷻ، أمره بذلك؛ ليزيد في بلاء يعقوب، فيضاعف له الأجر، ويلحقه

(١) المصدر نفسه (٢/ ١٥٢)، وسيأتي التفصيل في الموضع التاسع من سورة آل عمران.

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٣٥)، وسيأتي تفصيل ذلك في الموضع الثاني من سورة الأنبياء.

في الدرجة بأبائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته؛ لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه. والأول أصح^(١). فنلاحظ هنا أن الإمام البغوي لم يذكر تفصيل الأقوال التي أشار إليها، فذكر الجواب الصحيح، ثم أورد قولاً بعد القول الذي صححه، وعقب بعد أن أورد القول الثاني بقوله: والأول أصح.

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، حيث أورد القول بأن ذلك كان خاطر قلب، وحديث نفس وذلك معفو عنه، لكنه عقب بقوله: "والجواب الصحيح هو أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ وقد ثبته الله ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَا تَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، وقد تفضل فلم يتبعوا"^(٢).

هذا ما تيسر من دراسة منهج الإمام البغوي في إيراد التساؤلات والأجوبة عنها.



(١) المصدر نفسه (٤/ ٢٦٧)، وسيأتي في الموضع الثالث من سورة يوسف.

(٢) المصدر نفسه (٥/ ١١٢)، وسيأتي في الموضع الثاني من سورة الإسراء.

المبحث الثالث

أنواع التساؤلات التي أوردها البغوي في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التساؤلات العقدية.
- المطلب الثاني: التساؤلات التفسيرية.
- المطلب الثالث: التساؤلات اللغوية.

* * * * *

المطلب الأول: التساؤلات العقديّة

من أنواع التساؤلات التي أوردها الإمام البغوي في تفسيره التساؤلات المتعلقة بالعقيدة، وهي قليلة، ومنها:

أ- ما ذكره في سورة الفاتحة فيما يتعلق بالاستطاعة والفعل، فأهل السنة يجعلونها مع الفعل وقبله، والمعتزلة يجعلونها قبل الفعل^(١)؛ فلذلك لما طرح السؤال الخاص بتقديم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ذكر أن هذا الإشكال يرد على من يجعلون الاستطاعة قبل الفعل، ولا يرد على من يجعلها مع الفعل، فقد قال: "ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير"^(٢). ومن يجعلون الاستطاعة قبل الفعل هم المعتزلة والشيعة، وأما أهل السنة فيجعلونها قبل الفعل ومع الفعل، وقد قال الطحاوي في عقيدته: "والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]"^(٣). وقال ابن تيمية: "والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضاً"^(٤).

ب- ما ذكره عند قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧١ / ٨)

(٢) معالم التنزيل (٥٤ / ١)

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٧٤)

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٢ / ٨)

﴿٥٢﴾ [الحج: ٥٢]، فيما يتعلق بعصمة النبي ﷺ، حيث طرح التساؤل الذي قال فيه: "فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين، وقال جل ذكره في القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، يعني إبليس؟". ثم أورد جوابين عن ذلك أحدهما: أن قراءة: "تلك الغرائق العلى.." كانت من الشيطان وليست من النبي ﷺ، والجواب الآخر هو: أن ذلك جرى على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان، ولم يلبث أن نبهه الله عليه.^(١)



(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٩٤)، وانظر الموضوع الثاني من سورة الحج.

المطلب الثاني: التساؤلات التفسيرية

أكثر التساؤلات التي أوردها الإمام البغوي كانت متعلقة بالتفسير، ومن أمثلة ذلك:
 أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، حيث قال البغوي: "وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعاً وقد قال في آية أخرى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، فكيف وجه الجمع؟ فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى هاهنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله عزَّجَلَّ مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع"^(١). فقد ذكر معنى المولى هذه الآية وهو بمعنى الملك، بخلاف معنى المولى الوارد في قوله تعالى: "وأن الكافرين لا مولى لهم".

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]، حيث قال: "فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم هاهنا؟ قيل: لأن السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة"^(٢). فبين هنا مناسبة ختم الآية بقوله تعالى ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

(١) المصدر نفسه (٣/ ١٥٢)، وانظر الموضع الأول من سورة الأنعام.

(٢) المصدر نفسه (٦/ ٤٢٦)، وانظر الموضع الأول من سورة فاطر.

المطلب الثالث: التساؤلات اللغوية

ذكر الإمام البغوي تساؤلات متعلقة باللغة، وأجاب عنها، ونقل كلام أئمة اللغة في عرضه للإجابات، كما كان يذكر الشواهد اللغوية، ومن أمثلة ذلك الآتي:

أ- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، حيث قال: "فإن قيل: ما معنى قوله "أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك؟"^(١) أجاب بذكر خلاف العلماء في محل "أن" في الآية، فذكر القول بأنها في موضع رفع، ثم ذكر القول بأنها في محل نصب، وأعقب ذلك بذكر الخلاف في وجه انتصابه، كما سيأتي التفصيل فيه - إن شاء الله -^(٢).

ب- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، حيث قال: فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟ فطرح السؤال المتعلق بجواب "إن" ثم طرح جوابين: الأول: أن الجواب هو قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي﴾ وأن قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ كلام معترض، ثم طرح الجواب الثاني وهو: أن في الآية إضماراً معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم ثم ذكر الجزاء فقال ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾.^(٣)

(١) المصدر نفسه (٣/٢٠٣)

(٢) انظر الموضع الثاني من سورة الأنعام.

(٣) انظر معالم التنزيل (٥/١٦٩)، والموضع الرابع من سورة الكهف.

الباب الثاني

الدراسة التطبيقية للتساؤلات
التي أوردها الإمام البغوي في تفسيره

سورة الفاتحة

وفيها موضع واحد



الموضع: قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

قال الإمام البغوي: "فإن قيل: لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة، والاستعانة تكون قبل العبادة؟ قيل: هذا يلزم من يجعل الاستعانة قبل الفعل، ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير، ويقال: الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها"^(١).

ذكر الإمام البغوي جوابين عن هذا التساؤل، وهما:

الجواب الأول: أن هذا التساؤل هو إشكال لمن جعل الاستعانة قبل الفعل وهذا قول لبعض الفرق الإسلامية المخالفة لأهل السنة والجماعة^(٢)، فأما أهل السنة فهم يجعلون الاستعانة قبل الفعل ومع الفعل^(٣)، فلا إشكال في التقديم والتأخير، فالواو تفيد المساواة.

الجواب الثاني: وهو أن الاستعانة نوع تعبد فيكون من قبيل عطف الخاص على العام، وهذا مشهور في اللغة.

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى؛ وهي:

الجواب الثالث: ما ذكره الإمام الطبري بأن العبد لا يمكن أن يؤدي العبادة إلا إذا كان معاناً عليها، ولا يمكن أن يكون معاناً عليها إلا وهو لها فاعل، فاستوى التقديم والتأخير، قال رَحِمَهُ اللهُ: "لما كان معلوماً أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جل ثناؤه، وكان محالاً أن يكون العبد عابداً إلا وهو على العبادة معان، وأن يكون معاناً عليها إلا وهو لها فاعل؛ كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه، كما سواء قولك

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٥٤)

(٢) كالمعتزلة والشيعة. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٣٧١)

(٣) سبق الكلام عن ذلك في المطلب الأول (التساؤلات العقدية)

للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها: قضيت حاجتي فأحسنت إلي، فقدمت ذكر قضائه حاجتك. أو قلت: أحسنت إلي فقضيت حاجتي، فقدمت ذكر الإحسان علي ذكر قضاء الحاجة؛ لأنه لا يكون قاضياً حاجتك إلا وهو إليك محسن، ولا محسناً إليك إلا وهو لحاجتك قاض. فكذاك سواء قول القائل: اللهم إنا إياك نعبد فأعنا على عبادتك، وقوله: اللهم أعنا على عبادتك فإننا إياك نعبد".^(١)

الجواب الرابع: وهو أن العبادة لله تعالى هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم هو أن يقدم ما هو الأهم فالأهم^(٢). ويرى ابن عرفة^(٣) بأن ذلك أقرب لمقام التذلل لله سبحانه، فإن العبد إذا أدى العبادة ربما أصابه زهو واعتقاد بأن عبادته قام بها استقلالاً بنفسه، ويغفل عن معونة الله تعالى له، فلما يأتي طلب الاستعانة بعد العبادة يكون ذلك نفيًا للزهو والعجب. ونقل عن بعض العلماء بأن العبادة مقصد باعتبار الحكم الشرعي، والاستعانة مقصد باعتبار نية المكلف في طلبه؛ لأنه أخبر أنه إنما يعبد الله لا غيره، ثم أخبر أنه لا يستعين على تلك العبادة إلا بالله. ونقل ابن عرفة عن بعض العلماء قولهم: بأن ذلك يحتمل أن ترجع العبادة لتوحيد الله، والاستعانة طلب معونته على حوائج الدنيا والآخرة، وأول السورة في توحيد الله تعالى وآخرها للعبد كما في حديث:

(١) جامع البيان لابن جرير (١/١٦٢-١٦٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٣٥).

(٣) هو محمد بن محمد بن عرفة الوريثي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. مولده، ووفاته فيها قرأ بالروايات على ابن سلمة الهواري وغيره، وبرع في الأصول والفروع والعربية والقراءات والحساب. وسمع "الموطأ" من ابن عبد السلام الهواري، وأخذ عنه الفقه والأصول ومن الودياشي "الصحيحين". وكان رأساً في الزهد والورع، ملازماً للشغل. رحل إليه الناس وانتفعوا به، ولم يكن بالغرب من يجري مجراه في التحقيق، وكانت الفتوى تأتي إليه من مسير شهر، وله مؤلفات مفيدة. تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠هـ وقدم لخطابته سنة ٧٧٢هـ وللفتوى سنة ٧٧٣هـ. توفي سنة (٥٨٠٣). انظر سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (٣/٢٦٠) والأعلام للزركلي (٧/٤٣)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٢/٦١٩).

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»^(١)، فقدم العبادة ليكون ما هو لله بإزاء ما هو لله، وما هو للعبد بإزاء ما هو للعبد.^(٢)

✻ الترجيح:ح:

الأقرب أن هذه الأقوال لا يعارض بعضها بعضاً، فلا مانع من أن تحتل الإجابة جميع ما سبق. والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. صحيح مسلم (٩ / ٢) كتاب الصلاة، باب لا صلاة لمن لم يقرأ

بفاتحة الكتاب، برقم (٣٩٥)

(٢) تفسير ابن عرفة بتصرف (١٠١ / ١)

سورة البقرة

وفيها ستة عشر موضعًا



الموضع الأول: قوله تعالى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

قال الإمام البغوي: "فإن قيل ما معنى قوله ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ والمفاعلة للمشاركة وقد جل الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟

قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعاقبت فلانا، وطارقت النعل. وقال الحسن: معناه يخادعون رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، أي أولياء الله، وقيل: ذكر الله هاهنا تحسين، والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى: ﴿فَأَن لَّيْلَهُ حُمُصَةٌ وَالرَّسُولُ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم".^(١)

ذكر الإمام البغوي ثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أنه يصح في اللغة أن تأتي المفاعلة ليست على معنى المشاركة، فإن قول الشخص: عافاك الله ليس معناه مشاركة بين الخالق والمخلوق، بل المعافاة من الله وحده، فتكون كلمة يخادعون أي يخدعون. وضعف هذا القول ابن جرير؛ حيث قال: "قد قال بعض المنسويين إلى العلم بلغات العرب"^(٢): إن ذلك حرف جاء بهذه الصورة، أعني يخادع بصورة يفاعل وهو بمعنى يفعل في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب، نظير قولهم: قاتلك الله، بمعنى قتلك الله. وليس القول في ذلك عندي كالذي قال"^(٣).

الجواب الثاني: ذكره من قول الحسن البصري في أن المقصود أنهم يخادعون رسول الله ﷺ.^(٤)

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/٦٥)

(٢) منهم أبو عبيدة ذكره في كتابه "مجاز القرآن" (ص: ٣١)

(٣) جامع البيان لابن جرير (١/٢٨٢)

(٤) انظر تفسير السمعاني (١/٤٨)

الجواب الثالث: هو أن المقصود بمخادعة المنافقين هنا مخادعتهم للمؤمنين. فذكر الله هاهنا تحسين كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، قال ابن عاشور: فلما كانت مخادعتهم المؤمنين لأجل الدين كان خداعهم راجعاً لشارع ذلك الدين^(١) واختاره ابن قتيبة^(٢).^(٣)

الجواب الرابع: أن مخادعتهم هنا أنهم يفعلون في دين الله تعالى ما يعدونه خداعاً في دينهم.

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الخامس: أن المعنى: يعاملون الله مُعَامَلَةَ المخادعين، ذكره السمعاني^(٤).

الجواب السادس: أن الخادع عند العرب: الفاسد، ومن ذلك ما أنشده سويد بن أبي كاهل^(٥):

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٢٧٥)

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، الإمام العلامة النحوي اللغوي صاحب كتاب "المعارف" و"أدب الكاتب"؛ كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزيادي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة، وروى عنه ابنه أحمد وابن دُرِّ سْتُوَيْه الفارسي. توفي سنة (٥٢٧٦هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٩٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٢)، وسلم الوصول لحاجي خليفة (٢/ ٢٣٣).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٠)

(٤) تفسير السمعاني (١/ ٤٨)

(٥) هو سويد بن أبي كاهل (غظيف، أو شبيب) ابن حارثة بن حسل، الذي ياتي الكناي الشكري، أبو سعد: شاعر، من المخضرمين. عدّه ابن سلام في طبقة عنترة. كان يسكن بادية العراق. وسجن بالكوفة، لمهاجته أحد بني يشكر، فعمل بنو عبس وذبيان على إخراجهم، لمديحه لهم، فأطلق بعد أن حلف على أن لا يعود إلى المهاجاة. أشهر شعره عينية كانت تسمى في الجاهلية (اليتيمة)، وهي من أطول القصائد.

أبيض اللون لذيذ طعمه طيب الريق إذا الريق خدع^(١)

أي: إذا فسد. فيكون المعنى: يفسدون ما يظهرون من الايمان بما يضمرون من الكفر.^(٢)

الجواب السادس: ما ذكره ابن القيم^(٣) من أن المخادعة تأتي على وجهين:

الوجه الأول: مذموم، وهو إذا أتت على وجه الظلم والكذب.

الوجه الثاني: محمود، وهو إذا أتت بحق وعدل، ومجازاة على القبيح، فإن المخادع

إذا خادع بباطل وظلم؛ حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل.^(٤)

❖ الترجيح:

الجواب السادس هو الأقرب، وهو أن المخادعة تأتي بمعنى محمود إذا أتت بحق

وعدل، لأنه أخذ بظاهر الآية، والأخذ بالظاهر هو الأصل ما لم يدل دليل على إرادة غيره.

والأجوبة الأخرى فيها صرف عن ظاهر الآية بلا دليل. وقد رجح ابن جرير هذا الجواب،

فإنه بعد أن رد القول بأن يفاعل تأتي بمعنى يفعل - كما تقدم - قال: "بل ذلك من التفاعل

= توفي سنة (٥٦٠هـ). انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/٢٢٢)، والأعلام للزركلي (٣/١٤٦)

(١) انظر البيت في الأمالي في لغة العرب لإسماعيل بن القاسم القالي (٢/٣٢١)

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١/٣١)

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزرعي، الدمشقي الحنبلي، شمس الدين ابن قيم

الجوزية، العلامة الكبير، المصنف المشهور، المفسر النحوي، الأصولي المتكلم. لازم ابن تيمية،

وأخذ عنه وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما

المنتهى، والحديث، ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله،

وبالعربية. توفي سنة (٥٧٥١هـ). انظر الدرر الكامنة لابن حجر (٣/٤٠٠)، والأعلام للزركلي (٦/٥٦)،

تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة لصالح العثيمين (٢/١١٠٠).

(٤) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة لابن الموصلي (ص: ٣٠٥)

الذي لا يكون إلا من اثنين كسائر ما يعرف من معنى يفاعل ومفاعل في كل كلام العرب،
وذلك أن المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه على ما قد تقدم وصفه، والله -تبارك
اسمه- خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده." (١)



(١) جامع البيان لابن جرير (١/٢٨٢)

الموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَإِذ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣].

قال البغوي: "فإن قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل إنهم كانوا يظهرن هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين".^(١)

في هذا الموضع أجاب الإمام البغوي بجواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن مجاهرتهم بقولهم "أنؤمن كما آمن السفهاء" كان فيما بينهم، وأما أمام المؤمنين فهم يظهرن الإسلام، فكشف الله تعالى أمرهم للنبي ﷺ والمؤمنين.

وقد ذكر بعض العلماء أجوبة أخرى وهي:

الجواب الثاني: أن المنافقين كانوا يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم دون أن ينطقوا به بألسنتهم لكن هتك الله تعالى أستارهم، وأظهر أسرارهم عقوبة على عداوتهم، وهذا كما أظهر ما أضمره أهل الإخلاص من الكلام الحسن وإن لم يتكلموا به بالألسن تحقيقاً لولايتهم قال الله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾ [الإنسان: ٧]، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]، كان هذا في قلوبهم فأظهره الله تعالى تشريفاً لهم وتشهيراً لحالهم.^(٢)

الجواب الثالث: ذكر أبو السعود^(٣) أن مجاهرتهم بذلك لا احتمال مقولتهم إرادة

(١) معالم التنزيل (١/٦٧)

(٢) انظر روح البيان لإسماعيل حقي (١/٥٩)

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود الملقب بخواجه جليبي: مفسر شاعر، من فقهاء الحنفية، وعلماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي، وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢هـ، وكان حاضر الذهن سريع البديهة: كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعاً لما يكتبه السائل. توفي سنة (٩٨٢هـ). انظر سلم الوصول لحاجي خليفة (١/٩٤)، والأعلام للزركلي (٧/٥٩)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٢/٦٢٥).

الخير كما هي محتملة لإرادة الشر، فبين الله عَزَّجَلَّ بأنهم يريدون الشر بتلك المقالة، فقال رَحْمَةُ اللَّهِ: "يُحْمَلُ عَلَى ادِّعَاءِ الْإِيمَانِ كِإِيمَانِ النَّاسِ، وَإِنْكَارِ مَا أُتِّهِمُوا بِهِ مِنَ النِّفَاقِ عَلَى مَعْنَى أَنْ يُؤْمِنَ كَمَا آمَنَ السَّفَهَاءُ وَالْمَجَانِينُ الَّذِينَ لَا اعْتِدَادَ بِإِيمَانِهِمْ لَوْ آمَنُوا وَلَا نُؤْمِنُ كِإِيمَانِ النَّاسِ حَتَّى تَأْمُرُونَا بِذَلِكَ، قَدْ خَاطَبُوا بِهِ النَّاصِحِينَ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ مُرَائِينَ لِإِرَادَةِ الْمَعْنَى الْأَخِيرِ وَهُمْ مَعُولُونَ عَلَى الْأُولِ."^(١)

الجواب الرابع: أن هذا من مقول اليهود. وقال أصحاب هذا القول بأن المراد بالناس عبد الله بن سلام ومن أسلم من بني إسرائيل^(٢). وهو قول ابن عباس^(٣). وعلى هذا فلا إشكال في الآية، فاليهود يجاهرون بعدائهم للنبي ﷺ وأصحابه. ورد هذا القول ابن عطية^(٤) حيث قال: وهذا تخصيص لا دليل عليه^(٥).

❁ الترجيح: ح:

والأظهر - والله أعلم - هو أن الآية في المنافقين، فالسياق في ذكر أوصافهم، وأن الأجوبة التي ذكرها العلماء فيهم كلها محتملة. وأما الجواب بأن الآية في اليهود

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١/ ٤٥)

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٣) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٠٥)

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٠٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٤٦)

(٤) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، الإمام الكبير، قُدوة المفسرين، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي، الغرناطي، القاضي. حدث عن: أبيه، وأبي علي الغساني الحافظ، ومحمد بن الفرّج الطلاعي، وأبي الحسين يحيى بن البياز، وخلق سواهم. وكان فقيهاً، عارفاً بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيراً بلسان العرب، ذا ضبطٍ وتقييد، وتحرر، وتجويد، وذهنٍ سيال، وفكرٍ إلى موارد المُشكل مَيّال. وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتهمين. وكان والده من حفاظ الأندلس، فاعتني به. توفي سنة (٥٤١هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٧٨٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٧٣)، والأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٩٤)

فلا ينافي أنهم يهود قد نافقوا كما قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: ٧٦]، يعني المنافقين من اليهود، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا آمنا. ^(١) وبه قال السدي. ^(٢)



(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤٥ / ٢)

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٤٥ / ٢)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِ وَالصَّٰبِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

قال الإمام البغوي: "فإن قيل: كيف يستقيم قوله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ وقد ذكر في ابتداء الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية، فقال بعضهم: أراد بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين، فقال قوم: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار^(١)، وقس بن ساعدة^(٢)، وزيد بن عمرو بن نفيل^(٣)،

(١) هو حبيب بن مري النجار رجل صالح، قيل: إنه هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ٢٠)، ذكر ذلك ابن جرير عن ابن عباس ووهب بن منه وكعب الأحبار. وورد حديث "الصديقون ثلاثة وذكر منهم حبيب النجار مؤمن آل ياسين" رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٨٦) وحكم عليه ابن تيمية في منهاج السنة بالكذب (٥/ ٢٧)، وكذلك الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٥٣٠)، ويقال إنه من أهل أنطاكية وقبره فيها. انظر جامع البيان لابن جرير (١٩/ ٤١٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٤١١).

(٢) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية. كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكفاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه "أما بعد". وكان يفد على قيصر الروم، زائراً، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النبوة، ورآه في عكاظ. وقيل: هو أول من آمن بالمبعث، وأول من توكفاً على عصا في الخطبة، وأول من قال: أما بعد في [قول]، وأول من كتب من فلان إلى فلان. توفي سنة (٢٣) قبل الهجرة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥/ ٤١٢)، الأعلام للزركلي (٥/ ١٩٦).

(٣) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب ووالد الصحابي سعيد بن زيد. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم. وجاهر بعداء الأوثان، فتألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، فانصرف إلى (حراء) فسلط عليه عمه الخطاب شباناً لا يدعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرا. وكان عدواً للوآد البنات. رآه النبي ﷺ قبل النبوة. توفي سنة (١٧) قبل الهجرة. انظر

↔ =

وورقة بن نوفل^(١)، والبراء السني^(٢)، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبحيرا الراهب^(٣)، ووفد النجاشي^(٤)، فمنهم من أدرك النبي ﷺ وباعه، ومنهم من لم يدركه. وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الذين كانوا على دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يبدلوا، والنصارى، الذين كانوا على

= معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/١١٣٣)، والأعلام للزركلي (٣/٦٠)

(١) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، من قريش: حكيم، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. واختلف في صحبته حيث اختلف في إدراكه عصر الدعوة.. توفي سنة (١٢ قبل الهجرة) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦/٤٧٤)، والأعلام للزركلي (٨/١١٤)

(٢) لعل المقصود هو "رئاب بن البراء الشني أو السني" وهو رئاب بن البراء من عبد القيس، من شن، كان على دين المسيح. وسمعوا قبيل مبعث النبي ﷺ مناديا ينادي: خير أهل الأرض ثلاثة: رئاب الشني، وبحيرى الراهب، وآخر لم يأت -يعنى: النبي ﷺ- وكان لا يموت أحد من ولد «رئاب» فيدفن إلا رأوا طشا -أي مطر- على قبره. انظر المعارف لابن قتيبة (١/٥٨)

(٣) هو بحيرا الراهب الذي حذر على النبي ﷺ من الروم، وردّه من أرض بصرى، وكان على دين المسيح، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. توفي قبل البعث، كان يسكن قرية يقال لها: الكفر، بينها وبين بصرى ستة أميال تعرف اليوم بدير بحيرى؛ وقيل: كان يسكن البلقاء. وله قصة وردت في كتب السيرة مع النبي ﷺ لما كان في تجارة عمه أبي طالب إلى الشام. انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٧١/٣٣٨).

(٤) هو أصحمة بن أبحر النجاشي ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي ﷺ، ولم يهاجر إليه، وكان رداً للمسلمين نافعاً، وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام. ذكر أن أرسل ابنه مع ستين نفساً من الحبشة إلى النبي ﷺ فخرجوا في سفينة في البحر فلما توسطوا البحر غرقوا كلهم. وقد صلى عليه النبي ﷺ على النجاشي صلاة الغائب لما مات. توفي سنة تسع للهجرة، وقيل قبل الفتح. انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/٣٥٤)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٣٤٧)، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٣/١١٠)

دين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يغيروا وماتوا على ذلك، قالوا: وهذان الاسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق، كالإسلام لأمة محمد ﷺ، والصابئون زمن استقامة أمرهم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة، ويجوز أن يكون الواو مضمراً أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة، وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم؛ فقال بعضهم: الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل، والصابئون بعض أصناف الكفار ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذه ^(١) الأصناف بالقلب واللسان ^(٢).

ذكر البغوي جوابين عن هذا التساؤل:

الجواب الأول: أن قوله تعالى: "إن الذين ءامنوا" على حقيقته ثم ذكر الخلاف في المقصود بهم في هذه الآية فقيل: هم المؤمنون قبل البعثة، وهو قول السدي ^(٣)، والذين كانوا يطلبون الدين ولم يخوضوا مع المشركين في شركهم، وقيل: المؤمنون من الأمم السابقة، وقيل: المؤمنون من هذه الأمة، ثم ذكر على هذا المعنى أن يكون المراد باليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا على ديانتهم الصحيحة، وذكر في قوله تعالى بعد ذلك "من ءامن" وجهين:

الوجه الأول: أي مات منهم على الإيمان. قال الطبري: "معنى إيمان المؤمن في هذا الموضوع ثباته على إيمانه وتركه تبديله" ^(٤).

(١) في طبعة إحياء التراث (من هذه الأصناف..) ولعلها الأصح.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (١٠٣/١)

(٣) رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/١)

(٤) انظر جامع البيان للطبري (٣٨/٢)

الوجه الثاني: أنه يجوز أن تكون هنا (واو) مضمرة، فيكون معنى الآية: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة.

وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى: "من آمن" بدل ممن قبله عائد إلى الذين هادوا، والنصارى، والصابئين، وعلى هذا يكون قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" في أول الآية المقصود بهم المؤمنون من هذه الأمة^(١). ويرى ابن عاشور أنه لا إشكال في الآية، فالإيمان هنا على حقيقته؛ حيث إن الجزاء رتب على أمرين، وهما: الإيمان والعمل الصالح، وأن المؤمنين وإن كان قد تحقق فيهم الإيمان؛ فقد بقي لهم العمل الصالح.^(٢)

الجواب الثاني: أن وصف الإيمان في أول الآية أتى على سبيل المجاز ثم ذكر الخلاف في المراد بهم، فقيل: الذين آمنوا بالأنبياء السابقين ولم يؤمنوا بالنبي ﷺ، وقيل: المراد بهم المنافقون حيث آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم. ثم ذكر البغوي أنه على هذا المعنى يكون المراد باليهود والنصارى الذين اعتقدوا ديانتهم بعد التبديل، وأن المراد بالصابئة بعض أصناف الكفار، فيكون معنى الإيمان في قوله تعالى: "من آمن منهم" على الحقيقة أي من آمن بقلبه ولسانه. قال أبو السعود: "قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" أي بألسنتهم فقط وهم المنافقون بقريئة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبّر عنها بالإيمان لا تُجديهم نفعاً أصلاً، ولا تُنقذهم من ورطة الكفر قطعاً"^(٣). وذهب إلى هذا القول كذلك ابن قتيبة^(٤).

الترجيح:

الذي يظهر أن قوله تعالى محمول على حقيقة الإيمان، لأن الأصل في القرآن هو

(١) انظر تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢٢٢/١)

(٢) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٣٩/١) و(٢٦٩/٦)

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٠٨/١)

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٦٤)

حملة على الحقيقة، ولا يجنح إلى التأويل إلا بقريظة تدل عليه، ولذلك الأقرب - والله أعلم - أن المقصود بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المراد به المؤمنون حقيقة، وليس المنافقين، وأن قوله تعالى "من آمن" محمول على الثبات على الإيمان؛ لأن حقيقة الإيمان تكون عند الموافاة، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، أو يكون بدلاً من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيحِينَ﴾ [البقرة: ٦٢]، أو كما قال ابن عاشور أن الجزاء رتب على الإيمان والعمل، فوصفوا بالإيمان، وبقي العمل الصالح.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤) [البقرة: ٧٤].

قال البغوي: "الحجر جماد لا يفهم، فكيف يخشى؟"

قيل: الله يفهمه ويلهمه؛ فيخشى بإلهامه.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَقَتْ كُلُّ قَدْعِلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]، الآية، فيجب على المؤمن الإيمان به، ويكل علمه إلى الله ﷻ. (١) ثم أورد الأحاديث التي تؤيد القول بظاهر الآية، منها:

- حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن" رواه مسلم. (٢)

- حديث أنس أن رسول الله ﷺ طلع على أحد فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه" متفق عليه. (٣)

- حديث أبي هريرة يقول، صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال: "بينما رجل يسوق بقرة إذ عيى فركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا،

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ١١١)

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) كتاب الفضائل، باب تسليم الحجر عليه ﷺ، برقم (٢٢٧٧).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٠٥٨) كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، برقم (٢٧٣٢).

صحيح مسلم (٢/ ٩٩٣) كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمةها، برقم (١٣٦٥)

إنما خلقنا لحراثة الأرض"، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟! فقال رسول الله ﷺ "فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثم" وقال: "بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها، فقال الذئب: فمن لها يوم السبع؟ أي يوم القيامة، يوم لا راعي لها غيري"، فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم؟ فقال "أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم". رواه البخاري^(١)

في هذا الموضوع ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً، وهو:

الجواب الأول: وهو الأخذ بظاهر الآية، وهو ما عليه مذهب أهل السنة.

وذكر بعض العلماء جواباً ثانياً، وهو:

الجواب الثاني: بأن هذا من باب المجاز، ثم ذكروا تأويلات لهذه الآية منها:

التأويل الأول: أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ راجع إلى القلوب المذكورة في أول الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، فذكر تعالى أن من تلك القلوب القاسية ما يقبل الإيمان يوماً ما، فيهبط عن القسوة إلى اللين من خشية الله تعالى.

التأويل الثاني: أن الخشية المذكورة في الآية إنما هي التصرف بحكم الله تعالى وجري أقداره.

التأويل الثالث: أن يكون الله تعالى عنى بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الجبل الذي صار دكاً، إذ تجلى الله تعالى له يوم سأله كليمه عَلَيْهِ السَّلَامُ الرؤية، فذلك الجبل بلا شك من جملة الحجارة، وقد هبط عن مكانه من خشية الله تعالى، وهذه معجزة وآية وإحالة طبيعة في ذلك الجبل خاصة.^(٢)

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٨٠) كتاب الأنبياء، حديث الغار، برقم (٣٢٨٤)

(٢) ذكر الأوجه الثلاثة ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٤)

ورد ابن كثير ذلك وقال: "قد زعم بعضهم أن هذا من باب المجاز؛ وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة كما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧] قال الرازي والقرطبي وغيرهما من الأئمة: ولا حاجة إلى هذا فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية، وقال: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] و﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْا ظِلْمَهُ﴾ [النحل: ٤٨] الآية".^(١) والذي ذكره ابن كثير عن القرطبي قد ذكره في موضعين: الأول في سورة البقرة، فإنه قال لما ذكر الأقوال في المسألة: "كل ما قيل يحتمله اللفظ، والأول صحيح، فإنه لا يمتنع أن يعطى بعض الجمادات المعرفة فيعقل"^(٢)، وقال في موضع آخر في سورة الإسراء رداً على من قال إن تسبيح الجمادات تسبيح دلالة "وعلى التأويل الثاني، لا يحتاج إلى ذلك فإن كل شيء من الجماد وغيره يسبح قلت: ويستدل لهذا التأويل وهذا القول من الكتاب بقوله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [١٧] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٧-١٨]، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] على قول مجاهد وقوله: ﴿وَنَحْرُ الْجِبَالِ هَذَا﴾ [٩٠] ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [٩١] [مریم: ٩٠-٩١]^(٣)، ثم قال: "فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك؛ ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة لأي تخصيص لداود؟! وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح كما ذكرنا، وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء؛ فالقول به أولى. والله أعلم"^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٠٥) وانظر مفاتيح الغيب (١/٥٥٧)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤٦٥)

(٣) المصدر نفسه (١٠/٢٦٧)

(٤) المصدر نفسه (١٠/٢٦٨)

✽ الترجيح — ح:

الأظهر - والله أعلم - ما ذكره البغوي من أن الآية على ظاهرها، وهو أن الله يفهم الحجر ويلهمه فيخشى بإلهامه، ويؤيد ذلك ما ذكره من الأحاديث. وأما الجواب الثاني فهو على خلاف الظاهر، بلا حاجة إلى ذلك.



الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال البغوي: "فإن قيل كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟

قيل: له تأويلان: أحدهما، أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر، ويذكران بطلانه، ويأمران باجتنابه، والتعليم بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتهما، ويتعلم السحر من صنعتهما.

والتأويل الثاني: وهو الأصح: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، فمن شقي يتعلم السحر منهما ويأخذه عنهما، ويعمل به فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً، ففيه ابتلاء للمعلم والمتعلم، والله أن يمتحن عباده بما شاء، فله الأمر والحكم".^(١)

في هذا الموضع ذكر البغوي جوابين عن التساؤل الذي طرحه بشأن تعليم السحر من الملائكة:

الجواب الأول: أن الملكين لم يكونا يتعمدان التعليم، وإنما كانا يعلمان من أتاهما بطلان السحر، ويأمرانه باجتنابه، فالتعليم هنا بمعنى الإعلام.

الجواب الثاني: وهو أن تعليم الملكين الناس السحر من باب الابتلاء والاختبار، فمن أخذ به كفر، ومن تركه بقي على إيمانه، والله جل شأنه له أن يبتلي عباده بما شاء. وقد رجح البغوي رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ هذا القول.

وقد ذكر بعض العلماء أجوبة أخرى إضافة إلى ما ذكره البغوي، منها:

الجواب الثالث: أن "ما" هنا نافية فيكون تقدير الكلام: ولم ينزل على الملكين، واتبعوا الذي تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله

(١) معالم التنزيل (١/١٢٩)

السحر على الملكين ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ببابل هاروت وماروت، فيكون حينئذ قوله: ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] من المؤخر الذي معناه التقديم. قال ابن جرير: "فإن قال لنا قائل: وكيف وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه أن يقال: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. فيكون معنياً بالملكين: جبريل وميكائيل؛ لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود -عليهما السلام-. فأكذبها الله بذلك وأخبر نبيه محمداً ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس ببابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت؛ فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة على الناس وردا عليهم"^(١). وقد روى الطبري هذا القول عن ابن عباس والربيع بن أنس^(٢).

الجواب الرابع: إن الذي أنزل على الملكين هو التفريق بين المرء وزوجه دون السحر^(٣).

الجواب الخامس: إن المراد بالملكين رجلان وقد قرأ ابن عباس وابن أبيزى^(٤)

(١) جامع البيان لابن جرير (٢/ ٣٣١-٣٣٢)

(٢) انظر المصدر نفسه (٣٣١).

(٣) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٨٦)

(٤) هو عبد الرحمن بن أبيزى الخزاعي مولاهم، له صحبة على قول الجمهور، ورواية، وفقه، وعلم. وهو مولى نافع بن عبد الحارث، وقد استنابه على مكة، وولاه علي بن خراسان، ويروى عن عمر بن الخطاب، أنه قال: ابن أبيزى ممن رفعه الله بالقرآن. توفي بعد السبعين للهجرة. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٢٠١)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٧٢٣)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٢٤٠)

والضحاك والحسن على "الملكين" بكسر اللام^(١). قال الحسن البصري: "هما كانا علجين من علوج بابل، ولم يكونا ملكين". وقال ابن أبيزى: "هما داود وسليمان". ورد هذا السمعاني، وقال: "والصحيح أنهما كانا ملكين وهو القراءة المعهودة". وبين أن قراءة الكسر شاذة.^(٢)

❖ الترجيح:

الأظهر - والله أعلم - ما ذكره البغوي رَحِمَهُ اللهُ من أن الإنزال حقيقي، بخلاف من حاول تأويل الآية لينفي عن الملكين نزول السحر عليهما، ويرجح أن تعليمهما السحر من باب الابتلاء والفتنة للخلق، وليس من باب الإعلام بتحريمه. فهو الموافق لسياق لظاهر الآية. قال أبو السعود: "هما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس كما ابتلي قوم طالوت بالنهر، أو تمييزاً بينه وبين المعجزة لتلا يغترَّ به الناس، أو لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبواباً غريبة من السحر، وكانوا يدعون النبوة، فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين، وإظهار أمرهم على الناس".^(٣)

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٢/٢)

(٢) تفسير السمعي (١١٦/١) وانظر مقدمات في علم القراءات (ص: ٧٦)

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٣٨/١)

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال البغوي: "إن قيل: أليس قد قال: "ولقد علموا لمن اشتراه" فما معنى قوله تعالى: "لو كانوا يعلمون" بعدما أخبر أنهم علموا؟

قيل: أراد بقوله "ولقد علموا" يعني الشياطين، وقوله "لو كانوا يعلمون" يعني اليهود وقيل: كلاهما في اليهود يعني: لكنهم لما لم يعلموا^(١) بما علموا فكأنهم لم يعلموا"^(٢).

ذكر البغوي تساؤلاً هنا، وهو أن الله تعالى أثبت للمخاطبين العلم، وفي ختم الآية نفى عنهم العلم، فذكر جوابين:

الجواب الأول: إن المقصودين في الآيتين مختلفان، فمن أثبت لهم العلم هم الشياطين، ومن نفى عنهم هم اليهود، فلا إشكال. وهذا قول قطرب^(٣) والأخفش^(٤)، ورد ابن جرير هذا القول بأنه مخالف لإجماع المفسرين؛ وذلك أنهم مجمعون على أن

(١) في طبعتي تفسير البغوي (إحياء التراث - طيبة) بهذا النص، والعبارة تستقيم لو كانت بهذا النص: "لكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا".

(٢) معالم التنزيل (١/١٣٢)

(٣) هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع (المثلث) في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه (سيبويه) لمباكرته إياه في الأسحار، قال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل. والقطرب دويبة تدب ولا تفتقر؛ فلزمه. وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي. توفي سنة (٥٢٠٦). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٥/١٤٥)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤/٤٨٠)، والأعلام للزركلي (٧/٩٥)

(٤) ذكره عن القرطبي في تفسيره (٢/٥٦)

(٥) انظر معاني القرآن للأخفش (١/١٤٩)

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ [البقرة: ١٠٢] معنى به اليهود دون الشياطين.^(١)

الجواب الثاني: إن المقصود في الموضوعين هم اليهود، فأثبت لهم العلم، ولكنهم لما لم يعملوا بالعلم صار مثلهم مثل الجاهل الذي لا يعلم. ولم يرجح البغوي بين القولين. وقد استشهد ابن جرير لمن نحى إلى هذا القول بقول كعب بن زهير المزني^(٢)، وهو يصف ذئبا وغرابا تبعاه لينا لا من طعامه وزاده:

إذا حضراتي قلت لو تعلمنا به ألم تعلمنا أي من الزاد مرمل^(٣)

فأخبر أنه قال لهما: لو تعلمانه، فنفى عنهما العلم. ثم استخبرهما فقال: ألم تعلمنا^(٤). لكنه رده بأن ذلك خلاف الظاهر المفهوم من الخطاب، ثم قال: "وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب دون الخفي الباطن منه، حتى تأتي دلالة من الوجه الذي يجب التسليم له بمعنى خلاف دليله الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن، أولى"^(٥).

وقد أجاب غيره بأجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: أن العلم المثبت هو أن مكتسب السحر ما له في الآخرة من خلاق،

(١) جامع البيان لابن جرير (٢/٣٦٨)

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبيّ دمه، فجاءه "كعب" مستأمنا، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: "بانة سعاد فقلبي اليوم متبول" فعفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه برده. وهو عن أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة وحفيده العوّام، كلهم شعراء. توفي سنة (٢٦هـ). انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٥/٤٤٣)، والأعلام للزركلي (٥/٢٢٦)

(٣) ديوان كعب بن زهير (ص: ٧٠)، المرمل: الذي نفذ زاده.

(٤) جامع البيان لابن جرير (٢/٣٦٨)

(٥) المصدر نفسه (٢/٣٦٨)

وأن العلم المنفي هو أن السحر شيء مذموم. قال ابن عاشور: "وهذا الأسلوب فيه تجهيل لهم حيث علموا أن صاحبه لا خلاق له، ولم يهتدوا إلى أن الخلاق يستلزم الخسران".^(١)

الجواب الرابع: أن المراد بالعلم المنفي هو التفكير، وأن العلم المثبت هو العلم الغريزي، واستبعده ابن عاشور وذلك لأنه لا يمكن أن يكون علمهم بأن من اكتسب السحر لا خلاق له علماً غريزياً.^(٢)

الجواب الخامس: أن من اشتراه في الآخرة لا خلاق له، لكنهم ظنوا أنهم ينتفعون به في الدنيا، ولهذا اختاروه وتعوضوا به عن بوار الآخرة وشروا به أنفسهم، وجعلوا أنه في الدنيا يضرهم أيضاً ولا ينفعهم، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ذلك، وأنهم إنما باعوا أنفسهم وحظهم من الآخرة بما يضرهم في الدنيا أيضاً ولا ينفعهم، ورجحه ابن رجب، حيث علل ذلك بقوله: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَضرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. أي هو في نفس الأمر يضرهم ولا ينفعهم بحال في الدنيا وفي الآخرة. ولكنهم لم يعلموا ذلك لأنهم لم يُقدِّموا عليه إلا لظنهم أنه ينفعهم في الدنيا".^(٣)

الجواب السادس: إن المراد بقوله تعالى: ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة.... "هم اليهود، والمراد بقوله تعالى: "لو كانوا يعلمون" الذين يتعلمون من الملكين السحر. وهذا القول هو اختيار ابن جرير حيث قال: "فقوله: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ذم من الله تعالى ذكره فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه، وخبر منه جل ثناؤه عنهم أنهم بئس ما شروا به أنفسهم برضاهم بالسحر عوضاً عن دينهم الذي به نجات أنفسهم من الهلكة،

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/٦٤٧)

(٢) انظر المصدر نفسه (١/٦٤٧)

(٣) تفسير ابن رجب (٢/١٣٧)

جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم وخسارة صفقة بيعهم، إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله ولا يعرف حلاله وحرامه وأمره ونهيه. ثم عاد إلى الفريق الذين أخبر الله عنهم أنهم نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وما أنزل على الملكين. فأخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق" (١). وضعف هذا التوجيه ابن رجب بقوله: "فإنَّ الضمير فيهما عائد إلى واحد، وأيضا فإن الملكين يقولان لمن يعلمانه: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فقد أعلماه تحريمه وسوء عاقبته" (٢).

الجواب السابع: أنهم علموا أن من اشتراه فلا خلاق له، أي لا نصيب له في الآخرة من الثواب، لكنهم لم يعلموا أنه يستحق عليه العقاب مع حرمانه الثواب. قال ابن رجب: "وهو ضعيف أيضاً، فإن الضمير إن عاد إلى اليهود، فاليهود لا يخفى عليهم تحريم السحر واستحقاق صاحبه العقوبة، وإن عاد إلى الذين يتعلمون من الملكين فالملكان يقولان لهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] والكفر لا يخفى على أحد أن صاحبه يستحق العقوبة، وإن عاد إليهما، وهو الظاهر، فواضح، وأيضا فإذا علموا أن من اشتراه ما له في الآخرة من خلاق فقد علموا أنه يستحق العقوبة، لأن الخلاق: النصيب من الخير، فإذا علم أنه ليس له نصيب في الخير بالكلية فقد علم أن له نصيباً من الشر، لأن أهل التكليف في الآخرة لا يخلو واحد منهم عن أن يحصل له خير أو شر، ولا يمكن انتقاله عنهما جميعاً البتة" (٣).

(١) جامع البيان لابن جرير (٢/٣٦٨)

(٢) تفسير ابن رجب (٢/١٣٧)

(٣) المصدر نفسه (٢/١٣٧)

الترجيح:

يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الثاني، وهو أن المقصود في الموضوعين هم اليهود، فأثبت لهم العلم، ولكنهم لما لم يعملوا بالعلم صار مثلهم مثل الجاهل الذي لا يعلم، فإن العلم الحقيقي هو الذي يجعل الإنسان يبذل ما يتقي به السوء، ويدعوه إلى العمل، وأما العلم الذي لا يؤدي إلى ذلك فهو بمنزلة الجهل. ويؤيد هذا الاختيار ما ذكره ابن رجب بأن الضمير في الموضوعين عائد إلى واحد، وهذا الذي يظهر من سياق الآيات.

الموضع السابع: عند قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

قال البغوي: "فإن قيل كيف قال ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ والمعدوم لا يخاطب؟ قال ابن الأنباري: "معناه فإنما يقول له أي لأجل تكوينه"، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوما ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب"^(١).

ذكر الإمام البغوي هنا جوابين:

الجواب الأول: أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ﴾ أي لأجل تكوينه فلا يكون الخطاب للمعدوم، ونقله عن ابن الأنباري.

الجواب الثاني: أن المعدوم في قدر الله تعالى إذا أراد إيجاد مستقبلا فهو كائن لا محالة، فصارت مخاطبته كمخاطبة الموجود.

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى وهي:

الجواب الثالث: أن مخاطبة المعدوم هنا باعتبار وجوده المتوقع، كتسمية العصير خمرا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَبُّنِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]؛ نظرا إلى ما يؤول إليه في ثاني حال. ذكره الشنقيطي^(٢)، وهو قريب من الجواب الثاني.

الجواب الرابع: أن الشيء الذي يقول له: كن فيكون هو موجود في علم الله، وإنما يقول له: كن ليخرجه إلى العيان لنا. ومال إلى هذا القول ابن جزى^(٣).^(٤)

(١) معالم التنزيل (١/١٤٢)

(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٣/٣٧٠)

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة. كان رَحِمَهُ اللهُ عَلَى طَرِيقَةِ مَثَلِي مِنَ الْعُكُوفِ عَلَى الْعِلْمِ وَالِاشْتِغَالِ بِالنَّظَرِ
⇐ =

الجواب الخامس: أن قوله: "كن" لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه. ورجح هذا القول ابن جرير الطبري، وقال: "ونظير قوله: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] بأن خروج القوم من قبورهم لا يتقدم دعاء الله، ولا يتأخر عنه".^(١)

الجواب السادس: أن ذلك خطاب لمن كان موجوداً على حالة، فيأمر بأن يكون على حالة أخرى كإحياء الموتى، ومسح الكفار. ورده ابن جزري، وعلل ذلك بأنه تخصيص بلا مخصص^(٢). وذكره ابن جرير ورده كما رد سائر الأقوال التي قيدت عموم الآية بلا دليل، فقد قال رحمه الله: "إن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] هو عام في كل ما قضاه الله ودبره، لأن ظاهر ذلك ظاهر عموم، وغير جائز إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل بغير برهان"^(٣).

الجواب السابع: أن ذلك خبر من الله تعالى عام عن جميع ما يحدث ويكونهن إذا أراد خلقه وإنشائه كان ووجد من غير أن يكون هناك قول يقوله، وإنما هو قضاء يريده، فعبر عنه بالقول وإن لم يكن قولاً^(٤). وقال أصحاب هذا القول: مثل ذلك قال فلان برأسه،

= والتقييد والتدوين فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب حافظاً للتفسير. قتل في معركة طريف في الأندلس طالباً للشهادة سنة (٧٤١هـ). انظر الديباج المذهب لابن فرحون اليعمري (٢/ ٢٧٤) الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٥)

(٤) انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري (١/ ٩٥)

(١) جامع البيان لابن جرير (٢/ ٤٦٧)

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري (١/ ٩٥)

(٣) جامع البيان لابن جرير (٢/ ٤٦٧)

(٤) انظر اللباب لابن عادل (٢/ ٤٢٠).

وقال بيده؛ إذا حرك رأسه أو أوماً بيده ولم يقل شيئاً. واستشهدوا بما قاله أبو النجم^(١):

قَدْ قَالَتْ الْأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ الْحَقِي قَدَمًا، فَأَصَبْتُ كَالْفَنِيْقِ الْمُحْنِقِ^(٢)

لا قول هنالك، وإنما عنى أن الظهر قد لحق بالطن.

وكما قال عمرو بن حممة الدوسي^(٣):

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَع^(٤)

ولا قول هناك، وإنما معناه: إذا رام طيرانا ووقع، وكما قال الآخر:

امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا زَوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي^(٥)

ورد ابن جرير هذا القول، وقال: "فإنهم لا صواب للغة أصابوا، ولا كتاب الله وما دلت على صحته الأدلة اتبعوا. فيقال لقائلي ذلك: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نفسه أنه إذا قضى أمراً قال له: كن، أفتنكرون أن يكون قائلاً ذلك؟ فإن أنكروه كذبوا بالقرآن، وخرجوا من الملة.

وإن قالوا: بل نقر به، ولكننا نزع من أن ذلك نظير قول القائل: قال الحائط فمال

(١) هو الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل: من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشادا للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة. توفي سنة (٥١٣٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي (٣/٢٩٦)، والأعلام للزركلي (٥/١٥١)

(٢) انظر ديوان أبي النجم (٢٨٣) لمحمد أديب، وأساس البلاغة للزمخشري (١/٢١٨). والفنيق المحنق هو البعير الضامر

(٣) هو عمرو بن حممة بن رافع الدوسي، من الأزدي: أحد المعمرين، من حكام العرب في الجاهلية. قيل: أدرك ابن حممة عصر النبوة ووفد على النبي ﷺ وقيل أنه مات قبل الإسلام. انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٥١٥)، والأعلام للزركلي (٥/٧٧)

(٤) انظر نسبة البيت لعمرو الدوسي في جامع البيان للطبري (٢/٤٦٩)

(٥) البيت بلا نسبة في كثير من المراجع. انظر المعجم المفصل في شواهد العربية لإميل بديع (١٢/٢٨٩)

ولا قول هنالك، وإنما ذلك خبر عن ميل الحائط.

قيل لهم: أفتجيزون للمخبر عن الحائط بالميل أن يقول: إنما قول الحائط إذا أراد أن يميل أن يقول هكذا فيميل؟

فإن أجازوا ذلك خرجوا من معروف كلام العرب، وخالفوا منطقتها وما يعرف في لسانها.

وإن قالوا: ذلك غير جائز، قيل لهم: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نفسه أن قوله للشيء إذا أَرَادَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فأعلم عباده قوله الذي يكون به الشيء ووصفه ووكره. وذلك عندكم غير جائز في العبارة عما لا كلام له ولا بيان في مثل قول القائل: قال الحائط فمال. فكيف لم يعلموا بذلك فرق ما بين معنى قول الله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقول القائل: قال الحائط فمال؟!^(١)

❖ الترجيح ————— ح:

والأقرب - والله أعلم - أن الآية عامة، وأن الأمر هنا للمعدوم باعتبار وجوده المتوقع، أو لا يكون متقدماً عن المعدوم ولا متأخراً عنه، وكلاهما قد ورد في القرآن الكريم كما تقدم. وغير جائز إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل بغير برهان.^(٢)

(١) جامع البيان لابن جرير (٢/٤٦٧)

(٢) انظر المصدر نفسه (٢/٤٦٧)

الموضع الثامن: قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال البغوي: "فإن قيل ما معنى قوله: "إلا لنعلم" وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟

قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه ليعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لنعلم؛ أي: لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ فيرتد، وفي الحديث: إن القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه^(١)، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١]. أي فلم قتلتموهم؟!^(٢)

أجاب الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أن المراد بقوله تعالى: "إلا لنعلم" العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب. وهذا لا تعلق له بما هو عالم به في الغيب؛ حيث إن العبد لا يستحق الثواب أو العقاب إلا بعد أن يقع منه العمل. قال السمعاني: "وهو العلم بوجود الاتباع؛ فإن كونه

(١) لم أجده في دوواين السنة، وذكره بعض المفسرين كالحازن في تفسيره (١/ ٨٨) والعلمي في فتح الرحمن في تفسير القرآن (١/ ٢١٤). قال محقق تفسير البغوي (طبعة إحياء التراث) عبدالرزاق المهدي (١/ ١٧٦) لا أصل له بهذا اللفظ.

(٢) معالم التنزيل (١/ ١٦٠)

موجوداً إنما يعلم بعد الوجود".^(١) ورجح هذا الاختيار القرطبي^(٢)، وكذلك ابن عثيمين^(٣) حيث قال: "لأن علم الله الكائن في الأزل لا يترتب عليه الجزاء حتى يُمتحن العبد، ويُنظر؛ أو علم ظهور - أي علم بأن الشيء حصل، فيعلمه أنه حاصل؛ وأما العلم به قبل وقوعه فهو علم بأنه سيحصل؛ وفرق بين العلم بالشيء أنه سيحصل، والعلم بأنه قد حصل"^(٤). وضح هذا الوجه ابن عطية؛ حيث قال: "ووجه آخر: وهو أن الله تعالى قد علم في الأزل من يتبع الرسول واستمر العلم حتى وقع حدوثهم واستمر في حين الاتباع والانقلاب ويستمر بعد ذلك، والله تعالى متصف في كل ذلك بأنه يعلم، فأراد بقوله: "لِنَعْلَمَ" ذكر علمه وقت مواعيتهم الطاعة والمعصية، إذ بذلك الوقت يتعلق الثواب والعقاب، فليس معنى "لِنَعْلَمَ" لنبتدئ العلم، وإنما المعنى لنعلم ذلك موجوداً"^(٥).

الجواب الثاني: أن المراد بقوله تعالى: "إلا لنعلم" أي لنرى ونميز من يتبع الرسول ﷺ في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فيرتد. وقد روى ابن أبي حاتم^(٦) عن ابن عباس

(١) تفسير السمعاني (١/١٤٩)

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/١٥٦)

(٣) هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهبي التميمي، ولد في عنيزة ١٣٤٧هـ، أحد فقهاء العصر، تتلمذ على كثير من العلماء ومن أشهرهم شيوخه ابن سعدي، وابن باز، ومحمد الأمين الشنقيطي. له العديد من المؤلفات في مختلف الفنون. تفرغ للتعليم بعدما عين قاضياً لكنه اعتذر عنه. توفي عام (١٤٢١هـ) انظر ترجمته في مجموع فتاوى ورسائل العثيمين لفهد السليمان (١/٩)، وكتاب علماء ومفكرون معاصرون (محمد الصالح العثيمين) لإبراهيم العلي وإبراهيم عبد المجيد.

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/١١٠)

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٠)

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: الإمام ابن الإمام حافظ الرّيّ وابن حافظها. رحل مع أبيه صغيراً وبنفسه كبيراً. من كبار المحدثين. كان منزله في درب حنظلة بالرّيّ، وإليهما نسبته. من أشهر مصنفاته كتاب التفسير، وكتاب الجرح والتعديل توفي

في قوله تعالى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: "لنميز أهل اليقين من أهل الشك والريبة" (١). ونسب القرطبي هذا القول لعلي بن أبي طالب (٢). وقوى أبو حيان (٣) تفسير العلم بالتمييز؛ حيث قال: "إن العلم لا يتعدى بمن إلا إذا أريد به التمييز، لأن التمييز هو الذي يتعدى بمن" (٤).

ورد ابن جرير تفسير العلم بالرؤية؛ حيث إن العلم لا يأتي بمعنى الرؤية في كلام العرب، ولأن المرء قد يعلم أشياء وهو لم يرها، ولا يراها، ولكن يستحيل أن يرى شيئاً ولا يعلمه. فقد تأتي الرؤية بمعنى العلم، وليس العكس (٥).

الجواب الثالث: ما نقله عن أهل اللغة أن معنى "ليعلم" أي لعلمنا، وذكر أن لفظ الاستقبال قد يأتي بمعنى الماضي، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١] ومن المعلوم أن القتل كان في ماضي بني إسرائيل وليس أمراً مستقبلاً. قال ابن عثيمين: "وهذا القول ضعيف هنا من حيث المعنى؛ إذ لا حكمة من ذلك؛ لأنه يكون معنى الآية: وما جعلنا هذا إلا لأننا قد علمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على

= سنة (٥٣٢٧). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٧/٥٣٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/٣٢٥)، والأعلام للزركلي (٣/٣٢٤)

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٥٠)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/١٥٦)

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النَّفْزِي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره. توفي سنة (٥٧٤٥). انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩/٢٧٦)، وحسن المحاضرة للسيوطي (١/٥٣٤)، والأعلام للزركلي (٧/١٥٢).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٢/١٦)

(٥) انظر جامع البيان (٢/٦٤١)

عقبه؛ وحينئذ يقال: إذا ما الفائدة؟! لأنه لا يناسب أن الله ما جعل هذه القبلة إلا لأنه قد علم من يبقى على دينه، ومن لا يبقى" (١).

وقد ذكر العلماء أجوبة أخرى، منها:

الجواب الرابع: الابتلاء مضمّر فيه، وتقديره: إلا لنبتلي فيظهر المتبع من المنقلب. ذكره السمعاني. وهو قريب من الجواب الثاني (٢).

الجواب الخامس: أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي ليعلم رسولي وأوليائي، إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه. وقد جود هذا القول القرطبي (٣)، ورجحه ابن جرير وقال: "ليعلم رسولي وأوليائي، إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع الرئيس إلى الرئيس، وما فعل بهم إليه نحو قولهم: فتح عمر بن الخطاب سواد العراق، وجبى خراجها، وإنما فعل ذلك أصحابه عن سبب كان منه في ذلك" (٤). وصرح هذا الجواب ابن عطية (٥).

الجواب السادس: أن معنى الآية هو إلاً لنبين لكم أننا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبه، حيث كان الكفار والمنافقون ينكرون أن يكون الله تعالى يعلم الشيء قبل وقوعه، فكانوا ينكرون أنه سيكون هناك من سيرتد إذا حولت القبلة، لما قيل لهم ذلك. فيكون المعنى: ما فعلت إلا لنعلم ما عندكم أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من الأشياء قبل كونه، أي عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد (٦). قال ابن جرير

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/١١٠)

(٢) تفسير السمعاني (١/١٤٩)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/١٥٦)

(٤) جامع البيان لابن جرير (٢/٦٤١)

(٥) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٠)

(٦) انظر جامع البيان لابن جرير (٢/٦٤٥)

بعد إيراده هذا القول: "وهذا، وإن كان وجهها له مخرج، فبعيد من المفهوم"^(١).

الجواب السابع: أن المراد بقوله تعالى: "إِلَّا لِنَعْلَمَ" إِلَّا لَتَعْلَمُوا أَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ جَهَالًا به قبل أن يكون؛ فأضاف العلم إلى نفسه رفقا بخطابهم. إنما قيل: ﴿إِلَّا لَتَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال على وجه الترفق بعباده، واستمالتهم إلى طاعته، كما قال جل ثناؤه: ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وقد علم أنه على هدى وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: إنا على هدى، وأنتم على ضلال. ذكره ابن جرير^(٢).

الترجيح: ح:

الأقرب - والله أعلم - هي الأجوبة التي ذكرها البغوي رَحِمَهُ اللهُ وهي أنه قد يكون المراد بالعلم العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، وقد يكون المعنى أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة، وقد يكون المعنى إلا لعلنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فقد سبق في علمه - سبحانه - أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم. وهي أجوبة متقاربة، وقد قال أبو حيان: "أن المراد من ذلك نفي حدوث العلم وتجده في حق الله تعالى، إذ ذلك عليه مستحيل"^(٣) وأما تفسير إسناد العلم لغير الله تعالى، فهو يخالف ظاهر الآية بلا دليل، وكذلك إضمار (نبلي) أو (نبين)؛ فهو إضمار ليس له حاجة.

(١) المصدر نفسه (٢/٦٤٥)

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير (٢/٦٤١)

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٢/١٦)

الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

قال البغوي: "فإن قيل فقد قال ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والملعون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه؟ قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقيل إنهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه"^(١).

ذكر الإمام البغوي جوابين عن هذا التساؤل:

الجواب الأول: إن الكافر يلعن نفسه يوم القيامة. فيكون هو من جملة الناس. وقد استدل على هذا الجواب بقوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾. قال أبو العالية: "المراد به يوم القيامة يلعنهم قومهم مع جميع الناس"^(٢).

الجواب الثاني: إن الناس يلعنون الظالم والكافر، ومن يلعن الكافر والظالم وهو منهم فقد لعن نفسه. ورجح هذا الجواب ابن جرير حيث قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا قول من قال: عنى الله بذلك جميع الناس بمعنى لعنهم إياهم بقولهم: لعن الله الظالم أو الظالمين، فإن كل أحد من بني آدم لا يمنع من قيل ذلك كائناً من كان، ومن أي أهل ملة كان، فيدخل بذلك في لعنته كل كافر كائناً من كان"^(٣). ورأى أن الجوابين متقاربين، حيث قال: وذلك بمعنى ما قاله أبو العالية^(٤).

وقد أجاب العلماء بأجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: إن المراد بقوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أنهم المؤمنون.

(١) معالم التنزيل (١/١٧٦)

(٢) جامع البيان لابن جرير (٢/٧٤٢)، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/١٩٠)

(٣) جامع البيان لابن جرير (٢/٧٤٢)

(٤) المصدر نفسه (٢/٧٤٢)

ذكره ابن جرير عن قتادة والربيع^(١). فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص^(٢).
ورده ابن جرير حيث قال: فقوّل ظاهرُ التنزيل بخلافه، ولا برهان على حقيقته من خبر ولا
نظر. فإن كان ظن أن المعنيّ به المؤمنون، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا
أولياءهم؛ فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة. ومعلومٌ منهم أنهم يلعنون
الظلمة، وداخلٌ في الظلمة كل كافر بظلمه نفسه، وجحوده نعمة ربه، ومخالفته أمره^(٣).

الجواب الرابع: أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها: لعنة جميع الناس تغليبا لحكم
الأكثر على الأقل. ذكره ابن الجوزي^(٤).

الجواب الخامس: أن يحمل وقوع اللعن على استحقاق اللعن، وحينئذ يعم ذلك.
ذكره الرازي^(٥).

الترجيح:

ويظهر أن أقرب الأقوال إلى الصواب هما القولان اللذان ذكرهما البغوي، فإما أن
يكون أن ذلك يوم القيامة حيث يلعن الكفار بعضهم بعضا فيقع اللعن من جميع الناس، أو

(١) انظر المصدر نفسه (٢/٧٤١)

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١/١٢٨)

(٣) جامع البيان لابن جرير (٢/٧٤١)

(٤) هو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن عبيد الله، الحافظ العلامة جمال الدين، أبو الفرج ابن
الجوزي، القرشي، التميمي البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع
العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ، والطب، وغير ذلك، فله نحو ثلاث
مئة مصنف ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ توفي في بغداد سنة (٥٩٧هـ). انظر تاريخ الإسلام
للذهبي (١٢/١١٠٠-١١٠١)، والأعلام للزركلي (٣/٣١٦)

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (١/١٢٨)

(٦) مفاتيح الغيب للرازي (٢/١٤٣) وانظر كذلك الباب لابن عادل (٣/١١٠)

أن اللعن حاصل على كل كافر وظالم، والناس مؤمنهم وكافرهم لا يزالون يلعنون الكافر والظالم، فيقع اللعن على من اتصف بهذه الصفات، والأقوال الأخرى فيها تخصيص بغير مخصص، وإعمال العموم أولى. والله أعلم.



الموضع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال البغوي: "فإن قيل فما وجه قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقد يدعى كثيراً فلا يجيب؟

قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين قيل: معنى الدعاء ههنا الطاعة، ومعنى الإجابة الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاماً، وتقديرهما: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ إن شئت، كما قال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، أو أجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء، أو: أجيبه إن كانت الإجابة خيراً له، أو أجيبه إن لم يسأل محالاً. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان^(١)، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني^(٢)، أخبرنا حميد بن زنجويه^(٣)،

(١) هو محمد بن محمد بن سمعان، أبو منصور الحيري النيسابوري، نزيل هرة. سمع: أبا العباس السراج، ومحمد بن المسيب الأرميني، ومحمد بن أحمد بن عبد الجبار النسوي الرياني، وغيرهم. روى عنه: الحاكم، وأبو يعقوب القزويني، وجماعة آخروهم موتاً أبو عمر عبد الواحد المليحي. أقام بهرة أربعين سنة. توفي سنة (٥٣٨٢هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٥٣٨)، والروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم لنايف المنصوري (٢/ ١٢٢٤).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أبي عون أبو جعفر الرياني، حدث عن: علي بن حُجر المروزي، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وحميد بن زنجويه النسائي، وغيرهم. وعنه: أبو القاسم الطبراني ببغداد في "معاجمه"، وأبو بكر الإسماعيلي في "معجمه" وسكت عنه، ومحمد بن مخلد، وابن قانع، وإسماعيل الخطيبي، وغيرهم. قال الخطيب: كان ثقة. وقال الحاكم: حدث غير مرة بنيسابور بكتاب "الترغيب" لابن زنجويه. وقال الذهبي: الحافظ المحدث الثقة. توفي سنة (٣١٣هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٤٣٣)، وإرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني لنايف المنصوري (ص: ٥٨٢).

(٣) هو حميد بن زنجويه هو ابن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الأزدي النسائي أبو أحمد الإمام الحافظ زنجويه لقب أبيه مخلد، وهو صاحب كتاب الأموال وكتاب فضائل الأعمال وغير ذلك. روى عن أبي

أخبرنا عبد الله بن صالح^(١)، حدثني معاوية بن صالح^(٢)، أن ربيعة بن زيد^(٣) حدثه

= عاصم النبيل وابن المدني ومحمد بن يوسف الفريابي وعبد الله بن صالح الكاتب، وعنه أبو داود والنسائي وإبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا وأبو زرعة الدمشقي وأبو زرعة الرازي وأبو حاتم وكان رأساً في العلم. قال ابن حبان: كان من سادات أهل بلدته فقهياً وعلماً وهو الذي أظهر السنة بنسأ. توفي سنة (٢٤٧هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/١٩)، وتاريخ بغداد ت بشار (٩/٢٤)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٢٤٨).

(١) هو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنبي مولا لهم أبو صالح المصري، كاتب الليث، الإمام المحدث شيخ المصريين، روى عن الليث وموسى بن علي وطائفة، وعنه ابن معين والذهلي والدارمي وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق. وثقه أبو حاتم وابن معين وضعفه أحمد وصالح جزرة. قال الذهبي: من أوعية العلم، أصابه داء شيخه ابن لهيعة، وتهاون بنفسه حتى ضعف حديثه، ولم يترك بحمد الله، والأحاديث التي نقيها عليه معدودة في سعة ما روى. توفي سنة (٢٢٣). سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٤٠٥)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ١٧٢).

(٢) هو معاوية بن صالح بن حدير الحضرمي الحمصي الفقيه، أبو عمرو، قاضي الأندلس وكان يحضر بعض الغزوات مع عبد الرحمن الداخل. حدث عن: سريج بن عبيد، وأزهر بن سعيد الحرّازي، ومكحول، وربيع بن يزيد، وخلق من الشاميين، وعنه: سفيان، والليث، وفرج بن فضالة، وابن وهب، ومعن بن عيسى، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو صالح، وطائفة لقوه بالموسم أي موسم الحج. قال ابن حجر: صدوق له أوهام توفي سنة (١٥٨). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٤/٢١٩) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/٤٤)، وتقريب التهذيب (ص: ٥٣٨).

(٣) هكذا في طبعة طيبة، والصحيح أنه ربيعة بن يزيد كما في طبعة إحياء التراث (١/٢٢٧)، وهو كذلك في صحيح مسلم وربيعه هذا هو ربيعة بن يزيد أبو شعيب الإيادي الدمشقي الإمام، القدوة، أبو شعيب الإيادي، الدمشقي، القصير. حدث عن: واثلة بن الأسقع، وجبير بن نفير، وأبي إدريس الخولاني، وجماعة. وكان من أبناء ثمانين سنة رَحِمَهُ اللهُ. وقيل: إنه سمع من معاوية. حدث عنه: حيوة بن شريح المصري، والأوزاعي، ومعاوية بن صالح، وفرج بن فضالة، وعدة. قال ابن حجر: ثقة عابد. وقال أبو مسهر: استشهد ربيعة رَحِمَهُ اللهُ بأفريقية سنة (١٢٣هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٢٣٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧٢/١٩٢)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص: ٢٠٨).

عن أبي إدريس^(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال "يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل" قالوا وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: "يقول قد دعوتك يا رب، قد دعوتك يا رب، فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء."^(٢)

وقيل هو عام، ومعنى قوله ﴿أَجِيبُ﴾ أي أسمع، ويقال ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السيد عبده، والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل معنى الآية أنه لا يخيب دعاءه، فإن قدر له ما سأل أعطاه، وإن لم يقدره له ادخر له الثواب في الآخرة، أو كف عنه به سوءاً، والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان^(٣)، عن أبيه^(٤)،

(١) هو عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني العوزي الدمشقي: تابعي ولد عام حنين، فقيه. كان واعظ أهل دمشق، وقاصهم، في خلافة عبد الملك. وولاه عبد الملك القضاء في دمشق. قال فيه الذهبي: عالم أهل الشام. يروي عن: شداد بن أوس، وابن مسعود، والمغيرة بن شعبة، ولم يسمع من معاذ بن جبل شيئاً، روى عنه: الزهري، وأهل الشام. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٢٧٣)، والأعلام للزركلي (٣/٢٣٩).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٣٣٥) باب: يستجاب للعبد ما لم يستعجل برقم (٥٩٨١). ومسلم (٤/٢٠٩٥) باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل برقم (٢٧٣٥) واللفظ الذي أورده البغوي لمسلم.

(٣) هو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي الدمشقي الزاهد العابد سمع أباه، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر، وعمرو بن دينار، وعبد بن أبي لبابة، وعبد الله بن الفضل الهاشمي، وحسان بن عطية، وعمير بن هانئ، ويحيى بن الحارث، وزيد بن أبي أنيسة حدث عنه بقرية بن الوليد، ويحيى بن حمزة الدمشقي، والوليد بن مسلم، ومحمد بن يوسف الفريابي، وعلي بن عياش الحمصي. وقال أبو داود: كان فيه سلامة، وكان مجاب الدعوة قال ابن حجر: صدوق يخطئ ورمي بالقدر. توفي سنة (٥١٦٥). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/٣١٣)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص: ٣٣٧)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/٤٨٦)

(٤) هو ثابت بن ثوبان العنسي الشامي الدمشقي، والد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان. روى عن: خالد بن

← =

عن مكحول^(١)، عن جبير بن نفير^(٢) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا عَلِيٌّ الْأَرْضَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِدَعْوَةِ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةً رَحِمٌ"^(٣) وقيل: إن الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت، ويؤخر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته، ويعجل إعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الإجابة"^(٤).

= معدان، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن الديلمي، وعبد الله بن ضمرة السلولي، والقاسم بن عبد الرحمن الشامي، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومكحول الشامي، روى عنه: إبراهيم بن جدار العذري، وابنه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي. روى له البخاري في "الأدب" وفي "أفعال العباد"، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. قال ابن حجر: ثقة. انظر تهذيب الكمال للحافظ المزي (٤/٣٤٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١١/١١٣)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص: ١٣٢)

(١) هو مكحول الدمشقي أبو عبد الله الفقيه، أحد الأئمة من أواسط التابعين. مفتى أهل دمشق وعالمهم. وثقه غير واحد. روى عن أنس ووائل بن الأسقع وأبي أمامة وثوبان وأبي ثعلبة الحسني، وعنه أبو حنيفة والزهري وحמיד الطويل وابن إسحاق وخلق وسمعه العجلي وغيره. وقال أبو حاتم ما أعلم بالشام أفاقه منه. توفي سنة (١١٢). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/١٥٥)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤/١٧٧)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٤٩)

(٢) هو جبير بن نفير بن مالك بن عامر أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله الحضرمي من كبار التابعين، من أهل حمص. أدرك حياة النبي ﷺ وقدم دمشق وسمع بها. روى عن جمع من الصحابة منهم أبو بكر الصديق، قال النسائي: ليس أحد من كبار التابعين، أحسن رواية عن الصحابة من ثلاثة، قيس ابن أبي حازم، وأبي عثمان النهدي، وجبير بن نفير. توفي سنة (٥٨٠) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٢٣٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٧٦)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٢/٤٧).

(٣) ورواه الترمذي في سننه (٥/٥٣٣) باب: في انتظار الفرج برقم (٣٥٧٣) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه. وله شاهد في مسند أحمد (١٧/٢١٤) عن أبي سعيد الخدري برقم (١١١٣٣)، وجود إسناده الأرئوط في تخريجه للمسنند.

(٤) معالم التنزيل (١/٢٠٥-٢٠٦)

في هذا الموضع أطال الإمام البغوي الجواب عما ذكره من الاستشكال، وقد ذكر جوابين باعتبار معنى الآية، ثم فرع عن المعنى الثاني عدة أجوبة، فقد ذكر أن الدعاء هنا فسر بمعنيين:

المعنى الأول: إن معنى الدعاء هنا الطاعة، وعلى هذا يكون المقصود بالإجابة الثواب، وقد ورد في القرآن الكريم إطلاق الدعاء على العبادة، فقد قال سبحانه: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبأ: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (النحل: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان: ٧٧)، وقال تعالى في الإثابة: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى: ٢٦)؛ فدل ذلك على إجابة الله للدعاء عبارة عن الوفاء بالثواب للمطيع. (١)

المعنى الثاني: إن معنى الدعاء الطلب، وعلى هذا يكون المقصود بالإجابة هنا الإعطاء. وهذا كذلك معنى صحيح. وقد رأى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أن الآية تدل على المعنيين، فقد قال ابن تيمية: "فقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يتناول نوعي الدعاء. وبكل منهما فسرت الآية. قيل: أعطيه إذا سألتني، وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان. وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنيه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه؛ بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً؛ فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع، وقل ما يفتن له. وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعداً، فهي من هذا القليل". (٢) وقال ابن القيم: "والاستجابة أيضاً نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله واستجابة دعاء المثني

(١) انظر الباب لابن عادل (٣/ ٢٩٦)

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ١٥)

بالثواب وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى: ﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].
والصحيح أنه يعم النوعين^(١).

وعلى المعنى الثاني ذكر الإمام البغوي عدة أجوبة:

الجواب الأول: ذكر أن عموم الآية مخصوص، وذكر أن تخصيص الإجابة يحتمل أربعة أمور:

الاحتمال الأول: أن الآية مقيدة بقوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١]. فتكون الإجابة مقيدة بالمشيئة، فالله تعالى يستجيب دعاء الداعي إذا شاء.

الاحتمال الثاني: أن الإجابة تحصل إذا وافقت القضاء.

الاحتمال الثالث: أن الإجابة تحصل إذا كانت خيراً للسائل.

الاحتمال الرابع: أن الإجابة تحصل إن لم يطلب العبد محالاً.

الجواب الثاني: ذكر أن الآية على عمومها، وذكر أربعة احتمالات للمراد بهذا العموم:

الاحتمال الأول: أن قوله تعالى: "أجيب" هنا بمعنى أسمع، ولا يلزم من ذلك إعطاء مطلوب الداعي، وضرب لذلك مثلاً بإجابة الوالد لولده، والسيد لعبده، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة. وقال ابن الأنباري: أجيب هاهنا بمعنى أسمع لأن بين السماع وبين الإجابة نوع ملازمة؛ فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر، فقولنا سمع الله لمن حمده أي أجاب الله؛ فكذا هاهنا قوله: ﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦] أي أسمع تلك الدعوة^(٢). قال النسفي^(٣): "ثم إجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير أن

(١) زاد المعاد لابن القيم (٢١٥ / ١)

(٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢٦٥ / ٢)

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى "نسف" ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات
⇐ =

إجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة، فإجابة الدعوة أن يقول العبد يا رب؛ فيقول الله لبيك عبدي، وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن، وقضاء الحاجة إعطاء المراد، وإذا قد يكون ناجزاً، وقد يكون بعد مدة، وقد يكون في الآخرة، وقد تكون الخيرة له في غيره^(١).

الاحتمال الثاني: أن الإجابة حاصلة بأحد ثلاثة أمور: إما أن يعطيه ما سأل، أو يدخر له الثواب في الآخرة، أو يكف عنه به سوءاً. واستدل بحديث عبادة بن الصامت. ولم يذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية غير هذا القول^(٢).

الاحتمال الثالث: أن الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت، ويؤخر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته، ويعجل إعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته.

الاحتمال الرابع: أن للدعاء آداباً وشروطاً، وهي أسباب الإجابة؛ فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء؛ فلا يستحق الإجابة. وإلى هذا ذهب ابن سعدي^(٣).

وقد زاد الرازي جواباً بناء على معنى آخر للآية، وهو:

الجواب الثالث: أن المراد من الدعاء التوبة عن الذنوب، وذلك لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة، وإجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن قبول التوبة^(٤).

= جليلة، توفي سنة (٧١٠). انظر الأعلام للزركلي (٤ / ٦٧)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي الهندي (ص: ١٠١)

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (١ / ١٦١)

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٥٠٧)

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ص: ٨٧)

(٤) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢ / ٢٦٦)

❖ الترجيح:

مما سبق يتبين أن أقرب الأقوال هو ما ذكره البغوي، فالدعاء يشمل معنى العبادة ومعنى الطلب، ولا يمتنع حمل الآية على المعنيين كما ذكر ابن تيمية وابن القيم، فيكون معنى الإجابة الإثابة على معنى العبادة، والإعطاء على معنى الطلب، وهذا الإعطاء يتحقق بمشيئة الله تعالى، أو أن الله تعالى يبدله خيرا مما طلب، في حال حقق الداعي شرائط الدعاء وتأدب بأدابه. وحمل الآية على جميع ما تحتمله من معنى أولى، والله أعلم.



الموضع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا مَهْرٌ مُؤَمَّنَةً حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف أطلقتم اسم الشرك على من لا ينكر إنبوة محمد ﷺ؟

قال أبو الحسن^(١) بن فارس^(٢): لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره"^(٣).

في هذا الموضع لم يذكر البغوي غير جواب واحد نقلنا عن أبي الحسين بن فارس حيث ذكر أن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك، وهذه مقالة من ينكر نبوة النبي ﷺ، وقد ذكر السمعاني تفصيل هذا القول فقال: قال أبو الحسين بن فارس صاحب المجمل: هو مشرك؛ لأنه يقول: القرآن الذي أتى به محمد كلام غير الله، وهذا القرآن معجز لا يقوله إلا من كان إلهاً، فإذا هو كلام غير الله. وكأنهم أشركوا بالله غير الله^(٤).

وقال الشنقيطي لما ذكر سبب دخول أهل الكتاب في مسمى المشركين: "الشرك الأكبر المقتضي للخروج من الملة أنواع، وأهل الكتاب متصفون ببعضها وغير متصفين ببعض آخر منها، أما البعض الذي هم غير متصفين به فهو ما اتصف به كفار مكة من عبادة الأوثان صريحاً؛ ولذا عطفهم عليهم لاتصاف كفار مكة بما لم يصف به أهل الكتاب

(١) هكذا في طبعتي (طيبة) و(إحياء التراث) والصحيح أنه (أبو الحسين) كما سيأتي.

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، أبو الحسين الرازي، وقيل: القزويني، المعروف بالرازي المالكي اللغوي، نزيل همدان وصاحب "المجمل في اللغة". وُلِدَ بقزوين، ونشأ بهمدان، وكان أكثر مقامه بالرّي. وكان كاملاً في الأدب، فقيهاً، مُنَاطِراً، مالِكياً. وكان يَنَاطِرُ فِي الكَلَامِ، وَيُنَصِرُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ. وطريقته في النحو طريقة الكوفيين. جمع إتقان العلماء، إلى ظُرفِ الكُتَابِ والشعراء. وله مصنفات بدیعة ورسائل مفيدة، وأشعار جيّدة، وتلامذة فيهم كثيرة. توفي سنة (٣٩٥هـ) انظر معجم الأدباء لباقوت الحموي (١/٤١٠) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/١٠٣)

(٣) معالم التنزيل (١/٢٥٥)

(٤) تفسير السمعاني (١/٢٢٢)

من عبادة الأوثان، وهذه المغايرة هي التي سوغت العطف، فلا ينافي أن يكون أهل الكتاب مشركين بنوع آخر من أنواع الشرك الأكبر، وهو طاعة الشيطان والأحبار والرهبان، فإن مطيع الشيطان إذا كان يعتقد أن ذلك صواب؛ فهو عابد الشيطان مشرك بعبادة الشيطان الشرك الأكبر المخلد في النار، كما بينته النصوص القرآنية كقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]، فقوله: "وإن يدعون إلا شيطانا" صح معناه وما يعبدون إلا شيطانا لأن عبادتهم للشيطان طاعتهم له فيما حرمه الله عليهم، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، وقوله تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿يَأْتِبَ لَّا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].^(١)

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١١١)

الموضع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦].

قال البغوي: "فإن قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق؟

قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة، وجاء في الحديث "أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق" (١).

فنفي الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل: معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة، وقيل: لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضاً كانت المرأة أو طاهراً؛ لأنه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها، بخلاف المدخول بها؛ فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض" (٢).

ذكر البغوي رَحِمَهُ اللهُ ثلاثة أجوبة على التساؤل بخصوص نفي الجناح عن المطلق، وهي:

الجواب الأول: أن الطلاق قطع سبب الوصال بين الزوجين، وهو حلال بغيبض، فنفي الجناح إذا كان الفراق أروح من الإمساك؛ حيث يفضل الطلاق حينها.

الجواب الثاني: أن المعنى هو: لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة. فليس بلازم على الرجال في هذه الحالة صداق ولا نفقة. وقد ذكر القرطبي أن نفي المهر هنا المقصد به نفي كامل المهر؛ حيث قد ثبت

(١) رواه أبو داود في الطلاق - باب: في كراهية الطلاق "٩٢/٣". وابن ماجه: في الطلاق - باب رقم (١) برقم (٢٠١٨)، والدارقطني في الطلاق عن معاذ: ٣٥/٤. والحاكم: ١٩٦/٢ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي. ورجح أبو حاتم والدارقطني والبيهقي أن الحديث مرسل وضعفه الألباني في إرواء الغليل ١٠٦/٧

(٢) معالم التنزيل (١/٢٨٤)

نصف المهر لمن فرض لها^(١). وقد رد ابن جرير هذا الجواب قائلاً: "وذلك مذهب لولا ما قد وصفت من أن المعني بالطلاق قبل المسيس في هذه الآية صنفان من النساء: أحدهما المفروض لها، والآخر غير المفروض لها، فإذا كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يقال: لا سبيل لهن عليكم في صداق إذا كان الأمر على ما وصفنا"^(٢). ويرى ابن جرير أن معنى الآية هو: لا جناح عليكم إن طلقتم المفروض لهن من نساءكم الصداق قبل أن تماسوهن، وغير المفروض لهن قبل الفرض^(٣). فالمقصود عنده بقوله تعالى: "ما لم تماسوهن" المطلقة المسمى فرضها ولم يدخل بها.

الجواب الثالث: أن المراد برفع الجناح هنا في إيقاع الطلاق على غير المدخول بها على أي حال كانت، فحكمها يختلف عن حكم المدخول بها فيما يخص الطلاق السني والبدعي. وذهب إلى هذا ابن القيم^(٤) ويرى ابن جرير أن الآية تحتمله^(٥).

❖ الترجيح:

يظهر - والله أعلم - أن الآية تحتمل الأوجه الثلاثة المذكورة، فنفي الجناح يشمل الطلاق في حال كونه أفضل من الإمساك، ويحتمل عدم لزوم المهر لمن طلقت ولم يسم لها مهر وقبل أن يدخل بها، وكذلك هو منفي عما يطلق قبل الدخول فليس في طلاقه حال معين كمن يطلق بعده.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٩٧)

(٢) جامع البيان لابن جرير (٤/٣١٠)

(٣) انظر المصدر نفسه (٤/٢٨٨)

(٤) انظر زاد المعاد لابن القيم (٥/١٩٩)

(٥) انظر جامع البيان لابن جرير (٤/٣١٠)

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ﴾

[البقرة: ٢٤٦].

قال البغوي: "فإن قيل فما وجه دخول أن في هذا الموضع، والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال مالك لا تفعل؟ قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان، فالإثبات كقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، والحذف كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الحديد: ٨]، وقال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا نقاتل؛ فحذف "في"، وقال الفراء: أي وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال الأخفش: "أن" هاهنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله" (١).

ذكر الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ التَّسَاؤُلَ عَنْ دُخُولِ "أَنْ" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَّا نُقَاتِلَ﴾، وقد أجاب عن ذلك بجواب واحد وهو: أن دخول "أن" وحذفها لغتان صحيحتان، واستدل على ذلك بموضعين في القرآن الكريم على إثباتها وحذفها. قال ابن جرير: "وذلك هو الكلام الذي لا حاجة بالمتكلم به إلى الاستشهاد على صحته لفشو ذلك على ألسن العرب" (٢).

ثم ذكر البغوي ثلاثة أقوال في معناها في حال الإثبات، وهي:

القول الأول: قول الكسائي (٣) وهو أن المعنى وما لنا في أن لا نقاتل، فحذفت "في". وجود ذلك النحاس (٤). ورد ذلك ابن جرير فقال: "ولو كان ذلك جائزاً لجاز أن يقال: ما لك أن قمت؟ وما لك أنك قائم؟ وذلك غير جائز؛ لأن المنع إنما يكون للمستقبل من

(١) معالم التنزيل (١/٢٩٦-٢٩٧)

(٢) جامع البيان لابن جرير (٤/٤٤٣)

(٣) نقله الفراء عنه. انظر معاني القرآن للفراء (١/١٦٥)

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس (١/١٢٢) وانظر كذلك فتح القدير للشوكاني (١/٣٠٣)

الأفعال، كما يقال: منعتك أن تقوم، ولا يقال: منعتك أن قمت^(١). ورده كذلك الفراء بنفس ما ذكر ابن جرير.^(٢)

القول الثاني: قول الفراء^(٣)، وهو أن المعنى: وما يمنعا أن لا نقاتل في سبيل الله، واستدل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ورجحه ابن جرير وقال: "كما قال تعالى ذكره: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ثم قال في سورة أخرى في نظيره: ﴿مَا لَكَ آلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، فوضع «ما منعتك» موضع «ما لك»، و«ما لك» موضع «ما منعتك» لاتفاق معنيهما وإن اختلفت ألفاظهما كما تفعل العرب ذلك في نظائره مما تتفق معانيه وتختلف ألفاظه، كما قال الشاعر:

يَقُولُ إِذَا أَقْلَوْلَى عَلَيْهَا وَأَقْرَدَتْ أَلَا هَلْ أَخُو عَيْشٍ لَدِيدٍ بِدَائِمٍ^(٤)

فأدخل في «دائم» الباء مع «هل» وهي استفهام، وإنما تدخل في خبر «ما» التي في معنى الجحد لتقارب معنى الاستفهام والجحد^(٥).

القول الثالث: قول الأخفش وهو "أن" هنا زائدة^(٦)، فيكون المعنى: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله. قال ابن جرير: "وقالوا - أي الذين ردوا القول بأن زائدة - غير جائز أن تجعل «أن» زائدة في الكلام وهو صحيح في المعنى وبالكلام إليه الحاجة، قالوا: والمعنى: ما يمنعا ألا نقاتل؟ فلا وجه لدعوى مدح «أن» زائدة، وله معنى مفهوم صحيح^(٧)."

(١) جامع البيان لابن جرير (٤/٤٤٤)

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (١/١٦٥)

(٣) المصدر نفسه (١/١٦٣)

(٤) البيت للفرزدق. انظر شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة (٣/٨٧٥) وخزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي (٤/١٣٢)

(٥) جامع البيان (٤/٤٤٣-٤٤٤) وانظر كذلك خزانة الأدب (٤/١٣٢)

(٦) انظر معاني القرآن للأخفش (١/١٤٧)

(٧) جامع البيان (٤/٤٤٥)

❖ الترجيح:ح:

الأقرب - والله أعلم - أن الراجح هو المعنى الثاني، وهو أن المعنى وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله، وهو اختيار الفراء، وابن جرير، وذلك لوجود ما يدل على معنى مشابه في القرآن الكريم، وعدم وجود ما يستدعي الإضمار.



الموضع الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قال البغوي: فإن قيل: قال: يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قيل: هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته، فلما بعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار، قالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه إخراج، كما يقول الرجل لأبيه أخرجني من مالك ولم يكن فيه، كما قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ولم يكن قط في ملتهم^(١).

في هذا الموضع ذكر الإمام البغوي جوابين عن التساؤل الذي طرحه، وهو كيف يكون خروج الكفار من النور وهم لم يكونوا فيه أصلاً؟ وكان الجوابان كالتالي:

الجواب الأول: أن المراد بهم اليهود، فقد كانوا مؤمنين بالنبى ﷺ، قبل بعثته ثم لما بعث كفروا به. قال مقاتل: يعني كعب بن الأشرف^(٢) وحيي بن أخطب^(٣).^(٤)

(١) معالم التنزيل (١/ ٣١٥)

(٢) هو كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي. كانت أمه من "بني النضير" فدان باليهودية. وكان سيداً في أخواله. يقيم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياها إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطحام. أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكة بعد وقعة "بدر" فندب قتل قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة. وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ٤٨٧-٤٨٨) والأعلام للزركلي (٥/ ٢٢٥).

(٣) هو حيي بن أخطب اليهودي: جاهلي وهو والد أم المؤمنين صفية، من الأشداء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وأدنى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ١٧٢)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٩٢)

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢١٥)

الجواب الثاني: أن الآية عامة في الكفار، فإن منع الشخص من الدخول في شيء هو إخراج له، ومثل لذلك بقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك، ولم يكن فيه أصلاً، واستشهد لذلك كذلك بقول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧] ولم يكن قط في ملتهم. واختلف من رأى عموم الآية في المراد بالنور، فقيل: النور الفطري الذي جُبل عليه الناس كافة^(١)، وقيل: نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي ﷺ بتنزيل تمكُّنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها^(٢).

وقد أجاب بعض العلماء ببعض الأجوبة غير التي ذكرها البغوي، وهي:

الجواب الثالث: أن الآية في قوم من المرتدين خاصة^(٣)، ويرى ابن جرير أن الآية تحتمل دخول أهل الردة فيها^(٤).

الجواب الرابع: أن المراد بالآية هم النصارى، وهو قول ابن عباس^(٥)، ومجاهد، وعبد بن أبي لبابة^(٦).^(٧) ومال إلى هذا القول ابن جرير الطبري^(٨).

(١) انظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١/ ٢٥١) وتفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٢٧٣)

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (١/ ٣٠٤)

(٣) انظر تفسير السمعاني (١/ ٢٦١)

(٤) انظر جامع البيان (٤/ ٥٦٤)

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٨٢)

(٦) هو عبد بن أبي لبابة، أبو القاسم الأسدي مولى بني غاضرة حي من بني أسد، ويقال مولى قريش. أحد الأئمة. كوفي سكن دمشق، وروى عن ابن عمر وأبي وائل شقيق بن سلمة وزر بن حبيش وسويد بن غفلة ووراد كاتب المغيرة، وجماعة. توفي سنة (٥١٢٧هـ). انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٣٨١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٣٠).

(٧) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٧)، وجامع البيان لابن جرير (٤/ ٥٦٤-٥٦٥)

(٨) انظر جامع البيان (٤/ ٥٦٦)

الترجيح: ❁

الأقرب - والله أعلم - أن الآية عامة، يدخل فيها اليهود والنصارى والكفار الأصليون، والمرتدون، فأعمال العموم أولى من التخصيص. وابن جرير وإن كان مال إلى أنها في النصارى إلا أنه قال باحتمالية دخول المرتدين ومن حيل بينه وبين الإيمان في الآية^(١). قال ابن عطية بعد أن ذكر تخصيص الآية بالنصارى: "ولفظ الآية مستغن عن هذا التخصيص. بل هو مترتب في كل أمة كافرة آمن بعضها كالعرب. ومترتب في الناس جميعاً. وذلك أن من آمن منهم فالله وليه أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ومن كفر بعد وجود الداعي النبي المرسل فشیطانه ومغويه كأنه أخرجه من الإيمان، إذ هو معد وأهل للدخول فيه"^(٢).



(١) انظر المصدر نفسه (٤/٥٦٦)

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٤٥)

الموضع الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب؟ قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه، فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه، أو معجزة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ"^(١).

ذكر الإمام البغوي رَحْمَةُ اللَّهِ جَوَابِينَ عَنِ التَّسْأُولِ الَّذِي طَرَحَهُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُمَا:

الجواب الأول: أن النمرود لم يقل: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب؟ لأنه قد يستجيب الله دعاء إبراهيم؛ فيكون ذلك فضيحة له بكذبه بادعائه الربوبية، وتنقطع حجته.

الجواب الثاني: أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه، أو معجزة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وذكر الجوابين السمعاني كذلك^(٢).

وقد صحح الإمام البغوي الجواب الثاني.

وذكر بعض العلماء أجوبة غير ما ذكره البغوي، ومنها:

الجواب الثالث: أن هذه المحااجة كانت مع إبراهيم بعد إلقائه في النار وخروجه منها سالماً، فعلم أن من قدر على حفظ إبراهيم في تلك النار العظيمة من الاحتراق يقدر على أن يأتي بالشمس من المغرب.^(٣)

(١) معالم التنزيل (١/٣١٧)

(٢) انظر تفسير السمعي (١/٢٦٢)

(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٣/٢٣)

الجواب الرابع: أن النمرود كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره. ذكره النسفي^(١).

❖ الترجيح: ح:

كل الأجوبة محتملة، لكن الجواب الثالث يفتقر إلى إثبات أن المحاجة كانت بعد خروج إبراهيم من النار سالماً، فالأول تظهر وجاهته في أن النمرود خشي أن الله تعالى يستجيب لدعاء إبراهيم، وهو يعلم في قرارة نفسه أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ صادق، فيتبين بذلك للناس كذبه، لذا لم يطلب من إبراهيم ذلك. وأما الجواب الثاني وهو الذي رجحه البغوي فظاهر القوة، فالله عَزَّوَجَلَّ يصرف من يشاء عن إيراد حجته، وأما الجواب الرابع فتظهر وجاهته بأن النمرود لو قال سل ربك؛ لكان ذلك اعترافاً بأن هناك ربا غيره، والله أعلم.

(١) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٢١٣)

الموضع السادس عشر: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال البغوي: "فإن قيل فما رأينا سنبله فيها مائة حبة؛ فكيف ضرب المثل به؟

قيل: ذلك متصور، غير مستحيل، وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد، معناه: ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضاعفاً^(١) إليها، وكذلك تأوله الضحاك فقال: كل سنبله أنبت مائة حبة".^(٢)

ذكر الإمام البغوي جوابين في هذا الموضع:

الجواب الأول: أن ذلك متصور، ومثل ذلك يجوز ضرب المثل به، وإن لم يوجد معناه. وقد استشهد السمعاني بقول امرؤ القيس^(٣):

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ^(٤)

وناب الغول لا يعرف، ولكن لما تصور وجوده بالجملة مثل به.^(٥)

الجواب الثاني: أن معنى الآية أن العدد يشمل ما حدث من البذر الذي كان فيها

(١) هكذا في طبعة طيبة (١/٣٢٥)، وفي طبعة إحياء التراث (١/٣٥٩) (مضافاً) وهو الذي يناسب الجملة.

(٢) معالم التنزيل (١/٣٢٥)

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يمني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، ف قيل حندج، وقيل مليكة، وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. أمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر. توفي نحو سنة (٥٨٠هـ). انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/٢٢٢)، والأعلام للزركلي (١١/٢).

(٤) انظر نفح الطيب للتلمساني (٥/٥١٩) وديوان امرئ القيس (ص: ١٢)

(٥) تفسير السمعاني (١/٢٦٨)

مضافاً إليها. ونقل تأويل ذلك عن الضحاك^(١).

وقد أجاب بعض العلماء بجواب غير ما ذكره البغوي، وهو:

الجواب الثالث: أنه يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب فأكثر، ولكن المثال وقع بهذا القدر^(٢). وهو اختيار ابن جرير؛ حيث قال: "إن يكن ذلك موجوداً فهو ذاك"^(٣). وقال الزمخشري^(٤): "فإن قلت: كيف صحَّ هذا التمثيل والممثل به غير موجود؟ قلت: بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرخت ساق البرة في الأراضى القوية المقللة فيبلغ حبتها هذا المبلغ"^(٥). قال القرطبي: "ثم قيل: المراد سنبل الدخن فهو الذي يكون في السنبل منه هذا العدد. قلت: هذا ليس بشيء فإن سنبل الدخن يجيء في السنبل منه أكثر من هذا العدد بضعفين وأكثر، على ما شاهدناه"^(٦).

❁ الترجيح ————— ح:

أقرب الأقوال إلى الرجحان الجواب الثالث، وهو أن يقال أنه ما دام وجد ما ذكره الله تعالى من المثال، بأن بعض السنابل تنبت مائة حبة، فقد وافق ظاهر الآية، والعمل

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤/٦٥٣)

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٥٥)

(٣) جامع البيان (٤/٦٥٢)

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: مَمَّن برع في علم الأدب، والنَّحْو، واللُّغَة، لقي الكبار، وصنَّف التصانيف في التفسير، والغريب، والنَّحْو، وورد بغداد غير مرَّة، ودخل خراسان عدَّة نُوْب، وما دخل بلدًا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة الأدب، ونسابة العرب. ولد في زمخشر (من قرئ خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرئ خوارزم) فتوفي فيها سنة (٥٨٣هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١١/٦٩٨)، والأعلام للزركلي (٧/١٧٨)

(٥) الكشف للزمخشري (١/٣١٠)

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٠٤)

بالظاهر هو المقدم على غيره. والجواب الأول فيه وجاهة؛ حيث إن ذلك متصور، وغير مستحيل، ومثل ذلك يجوز ضرب المثل به، وإن لم يوجد معناه، والله أعلم.



سورة آل عمران

وفيها تسعة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

قال البغوي: "فإن قيل كيف فرق هاهنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن محكما في مواضع أخرى؟ فقال: ﴿الرَّكِنُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ ثُمَّ قُضِيَ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، وجعله كله متشابها في موضع آخر فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]. قيل: حيث جعل الكل محكما، أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن، وجعل هاهنا بعضه محكما وبعضه متشابها، واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ [الأنعام: ١٥١]، ونظيرها في بني إسرائيل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآيات^(١)، وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور^(٢).

وقال مجاهد^(٣) وعكرمة^(٤): المحكم ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق ويصدق بعضه بعضا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (١١٨/١) وابن جرير في تفسيره (١٩٣/٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٢/٢)

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢١/١)، وذكره ابن هشام بصيغة التمريض حيث قال: فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب. وذلك في قصة اشتباها على اليهود لما أرادوا حساب مدة بقاء هذه الأمة بواسطة حروف التهجي؛ لما أولوها على حساب الجمل. فاشتبهت عليهم فنزلت " وأخر متشابهات". انظر سيرة ابن هشام (١٣٩/٢). وقد ضعفه ابن كثير في تفسيره لأن مداره على محمد بن السائب الكلبى. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦١/١)

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (١٩٦/٥)، وابن المنذر في تفسيره (١١٧/١)

(٤) قال ابن أبي حاتم: روي عن عكرمة أنه قال: المحكم الذي يعمل به (٥٩٢/٢)

وقال قتادة^(١) والضحاك^(٢) والسدي^(٣): المحكم الناسخ الذي يعمل به، والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به، ولا يعمل به.

وروى علي بن أبي طلحة^(٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به^(٥)، وقيل: المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه لا سبيل لأحد إلى علمه، نحو الخبر عن أشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة وفناء الدنيا.

وقال محمد بن جعفر بن الزبير^(٦): المحكم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١٩٤ / ٥)

(٢) المصدر نفسه (١٩٥ / ٥)

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٢ / ٢)

(٤) هو علي بن سالم (أبي طلحة) بن المخارق، الهاشمي بالولاء، أبو الحسن: تابعي، من أهل الحديث، والتفسير، قال البخاري: كان بالشام. وقال الذهبي: قد روى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس نفسه، فذكر تفسيراً في جزء كبير. وقال ابن حجر: أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص. روى عن مجاهد وغيره، وعنه سفيان الثوري والحكم بن عتيبة وجماعة. توفي سنة (٥١٤٣هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٩٣٢ / ٣) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٨٠ / ١٣)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٣٦١ / ١)

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (١٩٣ / ٥) وابن المنذر في تفسيره (١١٧ / ١)

(٦) هو مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ الْأَسَدِيِّ تَابِعِي رَوَى عَنْ: عَمِّهِ عُرْوَةَ، وَابْنِ عَمِّهِ عِبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَنْهُ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، وَابْنُ جَرِيحٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَغَيْرِهِمْ. مِنْ فَهْمَاءِ الْمَدِينَةِ وَقَرَائِهِمْ. وَتَقَى النَّسَائِيَّ، وَتَوَفَّى شَابِغًا، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ طَالِ عَمْرِهِ، وَبَقِيَ إِلَى خِلَافَةِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. تَوَفَّى سَنَةَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشْرٍ. انظر الثقات لابن حبان (ص: ١٦١٦)، وتهذيب الكمال للمزي أسماء الرجال (٥٧٩ / ٢٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٠٧ / ٣)،

واحد والمتشابه ما احتمال أوجهها^(١). وقيل: المحكم ما يعرف معناه وتكون حججها واضحة ودلائلها لائحة لا تشبهه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره^(٢).

في هذا الموضوع ذكر البغوي جواباً واحداً للتساؤل الذي طرحه، وهذا الجواب هو: أن لكل موضع معنى مختلف، فحيث وصف القرآن بأنه كله محكم، أي حق ليس فيه عيب ولا هزل، وحيث وصفه بأنه كله متشابه، أي يشبه بعضه بعضاً في الحق الصدق وفي الحسن. وقد قال ابن تيمية: والقرآن كله محكم بمعنى الإتيان، فقد سماه الله حكيماً بقوله: ﴿الرَّتِّكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]. وأما التشابه الذي يعمله فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وهو الاختلاف المذكور في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [٨] يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ [٩] [الذاريات: ٨-٩]. فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضاً. وهذا التشابه العام لا ينافي الأحكام، بل هو مصدق له. فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضه، ولا يناقض بعضه بعضاً^(٣). وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عن القول بمعنى الأحكام العام، والتشابه العام - "أنه معروف عن عامة العلماء"^(٤).

(١) رواه ابن جرير عنه بلفظ: فيهن حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه، وأخر متشابهت في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاههم في الحلال والحرام، لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق. جامع البيان (١٩٧/٥) ولعل المؤلف ساقه بهذا اللفظ بناء على فهم الطبري، حيث أورد الطبري القول بلفظ: "المحكّمات من أي الكتاب: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد؛ والمتشابه منه: ما احتمال من التأويل أوجهها". ثم أورد أثر محمد بن جعفر بن الزبير.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/٨-٩)

(٣) التدمرية لابن تيمية (ص: ١٠٥)

(٤) بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية (٨/٣٤٠)

ثم ذكر الإمام البغوي الخلاف في كون بعضه محكما وبعضه متشابها، وتدور الأقوال التي وردت فيها معنى ذلك حول خمسة أمور:

- ١- النسخ.
- ٢- الحلال والحرام.
- ٣- احتمال المعاني.
- ٤- القصص والأخبار.
- ٥- حقائق المعاني الغيبية.^(١)

وقال ابن تيمية - بعد كلامه عن الإحكام العام، والتشابه العام -: "بخلاف الإحكام الخاص، فإنه ضد التشابه الخاص، فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك، والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر. وهذا التشابه إنما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما"^(٢).

وعلى هذا لا يكون ثمة تعارض بين الآيات، فالإحكام العام له معنى، والتشابه العام له معنى، والمعنيان عليهما عامة العلماء، وأما آية آل عمران فيختلف معنى الإحكام والتشابه فيها عن معناهما في المراد بهما بالعموم. والله أعلم.

(١) انظر موقع الدرر السنية المسألة الأولى: المراد بالمحكم والمتشابه <https://dorar.net/aqadia>

(٢) التدمرية لابن تيمية (ص: ١٠٥)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال: مثلهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم؟

فإن قيل: كيف قال: مثلهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم؟ قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم؛ يعني إلى مثليه سواه، فيكون ثلاثة دراهم، والتأويل الثاني - وهو الأصح - كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم، قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم. قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. ثم قللهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة^(١). قال بعضهم: الرؤية راجعة إلى المشركين يعني يرى المشركون المسلمين مثلهم؛ قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترئ المشركون عليهم ولا ينصرفوا، فلما أخذوا في القتال كثرهم الله في أعين المشركين ليجنبوا وقللهم في أعين المؤمنين ليجترؤوا؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]."^(٢)

في هذا الموضع أجاب البغوي عن التساؤل الذي طرحه بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أن قول الله تعالى: ﴿مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾ لا إشكال فيه كقول الرجل وعنده درهم: أحتاج إلى مثليه، يعني إضافة إليه، فيكون معه ثلاثة دراهم، فقول الله

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٤٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٦٧)

(٢) معالم التنزيل (٢/ ١٤)

تعالى: ﴿مَثَلِيهِمْ رَأْيَ أَلْعَيْنِ﴾، أي عدد المسلمين ومثليهم، والمسلمون يومئذ كانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، والمشركون كانوا ألف رجل، فيكون عدد المشركين كعدد المسلمين ومثليهم. وهو قول الفراء^(١). قال الزجاج: "وهذا باب الغلط، فيه غلط في جميع المقاييس؛ لأننا إنما نعقل مثل الشيء مساوياً له، ونعقل مثله ما يساويه مرتين، فإذا جهلنا المثل فقد بطل التمييز، وإنما قال هذا لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وكان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً، فالذي قال يبطل في اللفظ، ويبطل في معنى الدلالة على الآية التي تُعْجِزُ؛ لأنهم إذا رأوهم على هَيْئَتِهِمْ فليس هذا آية، فإن زعم أن الآية في هذا غلبة القليل على الكثير؛ فقد أَبْطَلَ أيضاً لأن القليل يغلب الكثير موجود ذلك أبداً.

فهذا الذي قال يبطل في اللغة، وفي المعنى، وإنما الآية في هذا أن المشركين كانوا تسعمائة وخمسين، وكان المسلمون ثلاثمائة وأربعة عشر، فأرى الله -جلّ وعزّ- المشركين أن المسلمين أقل من ثلاثمائة والله قد أعلم المسلمين أن المائة تغلب المائتين، فأراهم المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لِيُقَوِّيَ قلوبهم، وأرى المشركين المسلمين أقل من عدد المسلمين، ثم ألقى مع ذلك في قلوبهم الرعب، فجعلوا يرون عدداً قليلاً مع رعب شديد حتى غلبوا. والدليل على صحة هذا القول قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤]، فهذا هو الذي فيه آية أن يرى الشيء بخلاف صورته".^(٢) وقال القرطبي: "والذي أوقع الفراء في هذا أن المشركين كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين يوم بدر؛ فتوهم أنه لا يجوز أن يكونوا يرونهم إلا على عدتهم، وهذا بعيد، وليس المعنى عليه^(٣).

(١) انظر معاني القرآن للفراء (١/١٩٤)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٣٨١-٣٨٢)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٢٦)

الجواب الثاني: أن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين حتى رأوهم ضعف عددهم، أي ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم، واستدل بأثر ابن مسعود. وقد رجح البغوي هذا القول، ورجحه كذلك الطبري^(١) والسمعاني^(٢) والقرطبي^(٣) وابن كثير^(٤).

الجواب الثالث: أن قوله تعالى: ﴿مَثَلِهِمْ رَأْيَ أَلْعَيْنِ﴾ أي أن المشركين يرون المؤمنين مثلهم أي ألفين، وذلك بعد أن بدأ القتال أما قبله فقد قلل الله تعالى المؤمنين في أعين المشركين. وقد قال الزمخشري: "والدليل عليه قراءة نافع: ترونهم، بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فتتكم الكافرة، أو مثلي أنفسهم"^(٥). ورد الطبري هذا القول بقوله: "وهذا أيضاً خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن؛ لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأفقال: ٤٤] فأخبر أن كلا من الطائفتين قلل عددهم في مرأى الأخرى"^(٦). قال ابن عطية: "وأجمع الناس على أن الفاعل بـ "تَرَوْنَهُمْ" هو المؤمنون، والضمير المتصل هو للكفار، إلا ما حكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: بل كثر الله عدد المؤمنين في عيون الكفار حتى كانوا عندهم ضعفيهم، وضعف الطبري هذا القول"^(٧).

وقد أجاب بعض العلماء بأجوبة غير ما ذكره البغوي، وهي:

- (١) انظر جامع البيان للطبري (٢٤٩/٥)
- (٢) انظر تفسير السمعاني (٢٩٨/١)
- (٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦/٤)
- (٤) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٤٠٦/٢)
- (٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٣٤١/١)
- (٦) جامع البيان (٢٤٤/٥)
- (٧) المحرر الوجيز (٤٠٦/١)

الجواب الرابع: أن عدد المشركين كان ستمائة وستة وعشرين رجلاً، وقد روي ذلك عن ابن عباس^(١)، وعلى هذا تكون الآية ظاهرة الدلالة. لكن هذا القول خلاف ما تظاهرت به الأدلة الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر؛ حيث إن الروايات ذكرت أن عدد المشركين ما بين التسعمائة إلى الألف^(٢). وقال ابن كثير عن هذا القول: "ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور من أن المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف كما رواه محمد بن إسحاق^(٣)، عن يزيد بن رومان^(٤)، عن عروة بن الزبير، أن رسول الله ﷺ لما سأل ذلك العبد الأسود لبني الحجاج عن عدة قريش، فقال: كثير، قال: "كم ينحرون كل يوم؟" قال: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال النبي ﷺ: "القوم ما بين التسعمائة إلى الألف"^(٥).^(٦)

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره. انظر جامع البيان (٥/٢٤٧)

(٢) انظر جامع البيان (٥/٢٤٤)

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: العلامة الحافظ من أقدم مؤرخي العرب. صاحب (السيرة النبوية). من أهل المدينة وهو أول من دون العلم فيها، من حفاظ الحديث. سكن بغداد فمات فيها، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. وكان جده يسار من سبي عين التمر. قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار. توفي سنة (١٥١هـ) انظر سير أعلام النبلاء (٧/٣٣)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (٨٢) والأعلام للزركلي (٦/٢٨)

(٤) هو يزيد بن رومان، أبو روح المدن المقرئ مولى آل الزبير بن العوام. عالم بالمغازي، كثير الحديث، ثقة، من أهل المدينة. روى عن: أبي هريرة، وعن: ابن الزبير، وعروة، وصالح بن خوات، وغيرهم، وقرأ القرآن على عبد الله بن عيَّاش المخزومي باتفاق، وقيل: إنه قرأ على زيد بن ثابت، ولا يصح ذلك، وهو أحد شيوخ نافع الخمسة الذين أسند عنهم القراءة. توفي بالمدينة سنة (١٣٠هـ). انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤١٢)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٦/٢٧٧)

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٦٤)

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٧)

الجواب الخامس: ذكره القرطبي فقال: "ويحتمل أن يكون الضمير في "مثليهم" للمسلمين، أي ترون أيها المسلمون المسلمين مثلي ما أنتم عليه من العدد، أي ترون أنفسكم مثلي عددكم؛ فعل الله ذلك بهم لتقوى أنفسهم على لقاء المشركين"^(١)، لكنه رجح الجواب الثاني.

❖ الترجيح:

أقرب الأقوال إلى الرجحان هو الجواب الثاني، وهو أن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين حتى رأوهم ضعف عددهم؛ أي ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم؛ لدلالة ظاهر الآية، ويؤيده أثر ابن مسعود، وكذلك لدلالة اللغة على المعنى. والله أعلم

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٦)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ
وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٠) [آل عمران: ٤٠].

قال البغوي: "فإن قيل لم قال زكريا بعدما وعده الله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾
أكان شاكاً في وعد الله وفي قدرته؟ قيل: إن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان
فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله إنما هو من الشيطان، ولو كان من
الله لأوحاه إليك كما يوحي إليك في سائر الأمور، فقال ذلك دفعا للوسوسة، قاله
عكرمة^(١) والسدي^(٢)، وجواب آخر: وهو أنه لم يشك في وعد الله إنما شك في كيفيته أي
كيف ذلك؟"^(٣)

في هذا الموضع ذكر الإمام البغوي جوابين في الرد على التساؤل الذي طرحه:

الجواب الأول: أنه قال ذلك دفعا للوسوسة الشيطان؛ حيث إن الشيطان أتاه فقال له:
يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله إنما هو من الشيطان. وهذا هو قول
عكرمة والسدي. قال القاضي^(٤): "لا يجوز أن يشبه كلام الملائكة بكلام الشيطان عند
الوحي على الأنبياء عليهم السلام؛ إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كل الشرائع"^(٥).
واستبعد هذا القول كذلك الشنقيطي قائلاً: "إنه لا يلبس على زكريا نداء الملائكة بنداء

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٣٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٦٤)

(٢) المصدران السابقان.

(٣) معالم التنزيل (٢/٣٥)

(٤) أي الباقلاني، وهو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني
البصري، صاحب التصانيف في علم الكلام. سكن بغداد، وكان في فنه أوحده زمانه. سمع أبا بكر القطيعي،
وأبا محمد بن ماسي، وخرّج له أبو الفتح بن أبي الفوارس. وكان ثقة عارفاً بعلم الكلام، صنّف في الردّ
على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهميّة. وكان على مذهب الأشاعرة في المعتقد. توفي سنة
٤٠٣هـ. انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣/٣٦٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٩/٦٣).

(٥) نقله الرازي عنه في مفاتيح الغيب (٣/٢١٣)

الشیطان".^(١) وأخرج الحاكم^(٢) وصححه، عن ابن مسعود، قال: "كان آخر أنبياء بني إسرائيل زكريا بن أزر بن مسلم، من ذرية يعقوب، دعا ربه سرا قال: رب إني وهن العظم مني إلى قوله: خفت الموالي، قال: وهم العصبة يرثني نبوتي ونبوة آل يعقوب، فنادته الملائكة، وهو جبريل: إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى، فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان سخر بك، فشك وقال: أنى يكون لي غلام يقول من أين يكون وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر".^(٣)

الجواب الثاني: إن المراد من الاستفهام هو استفهام استخبار واستعلام؛ لأنه لا يعلم هل الله يأتيه بالولد من زوجه العجوز على كبر سنهما على سبيل خرق العادة، أو يأمره بأن يتزوج شابة، أو يردهما شابين؟ فاستفهم عن الحقيقة ليعلمها، ولا إشكال في هذا. قال ابن الجوزي: "وهو قول الحسن، وابن الأنباري"^(٤). ورجح ذلك الشنقيطي^(٥). قال ابن عطية: "وهذا تأويل حسن يليق بزكريا عَلَيْهِ السَّلَام".^(٦)

(١) أضواء البيان (٣/ ٣٦٩)

(٢) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البَيْع، أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع. وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه، فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين. وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنف كتباً كثيرة جداً، قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء. توفي سنة (٥٤٠هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٨٩)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ١٥٥)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٧).

(٣) المستدرک (٢/ ٦٤٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٤) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٨٠)

(٥) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٦٩)

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٣١)

وقد أورد بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: إنما قاله عليّ سبيل التواضع، يعني: مثلي عليّ هذا الكبر من مثل هذه العجوز يكون له الولد^(١).

الجواب الرابع: أن استفهامه استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى. قال الرازي: "أن من كان آيساً من الشيء مستبعداً لحصوله ووقوعه إذا اتفق أن حصل له ذلك المقصود، فربما صار كالمدهوش من شدة الفرح فيقول: كيف حصل هذا، ومن أين وقع هذا؛ كمن يرى إنساناً وهبه أموالاً عظيمة، يقول كيف وهبت هذه الأموال، ومن أين سمحت نفسك بهبتها؟ فكذا هاهنا لما كان زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ مستبعداً لذلك، ثم اتفق إجابة الله تعالى إليه، صار من عظم فرحه وسروره قال ذلك الكلام"^(٢).

الجواب الخامس: إنما سأل لأنه نسي دعاءه لطول المدة بين الدعاء والبشارة وذلك أربعون سنة. قال ابن عطية: "وهذا قول ضعيف المعنى"^(٣)، وقال أبو السعود: "وهو بعيد"^(٤).

الجواب السادس: ذكره الرازي كذلك حيث قال: "إن العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء فطلبه من السيد، ثم إن السيد يعده بأنه سيعطيه بعد ذلك، فالتذّ السائل بسماع ذلك الكلام، فربما أعاد السؤال ليعيد ذلك الجواب فحينئذ يلتذ بسماع تلك الإجابة مرة أخرى، فالسبب في إعادة زكريا هذا الكلام يحتمل أن يكون من هذا الباب"^(٥).

(١) انظر تفسير السمعي (٣١٦/١)

(٢) مفاتيح الغيب (٢١٣/٣)، وانظر كذلك أضواء البيان (٣/٣٦٩)، وفتح القدير للشوكاني (١/٣٨٧)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٤٣١)

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/٣٣)

(٥) مفاتيح الغيب (٣/٢١٣)

❖ الترجيح:

الجواب الثاني هو أقوى الأجوبة، وهو أن استفهام زكريا كان استفهام استعلام؛ لأنه لا يعلم هل الله يأتيه بالولد من زوجة العجوز على كبر سنهما على سبيل خرق العادة، أو يأمره بأن يتزوج شابة، أو يردهما شابين؟ وبه يزول الإشكال، وليس فيه شك في قدرة الله تعالى، والسياق يبين أن هذا المراد لقول زكريا: ﴿وَقَدْ بَلَغَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، وقد استحسنته ابن عطية، ورجحه الشنقيطي، والله أعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

قال البغوي: "فإن قيل ما معنى قوله ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ولا تكوين بعد الخلق؟

قيل: معناه ثم خلقه ثم أخبركم أي قلت له: كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهما ثم أعطيتك أمس درهما؛ أي ثم أخبرك أي أعطيتك أمس درهما"^(١).

في هذا الموضع لم يذكر الإمام البغوي غير جواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن ثم هنا ليست للترتيب في الخلق، وإنما المعنى أن الله تعالى خلق آدم، وأخبرنا بأنه قال له "كن" فكان، وضرب لذلك مثالا بقول الرجل: أعطيتك اليوم درهما؛ ثم أعطيتك أمس درهما أي ثم أخبرك أي أعطيتك أمس درهما. قال الطاهر بن عاشور: "وتم للتراخي الرتبي فإن تكوينه بأمر (كن) أرفع رتبة من خلقه من تراب، وهو أسبق في الوجود والتكوين المشار إليه بكن: هو تكوينه على الصفة المقصودة، ولذلك لم يقل: كونه من تراب ولم يقل: قال له كن من تراب ثم أحياه، بل قال خلقه ثم قال له كن"^(٢). وقال ابن عادل الحنبلي^(٣): "ومثله قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] وقد خَلَقْنَا بَعْدَ خَلْقِ زَوْجِهَا، ولكن هذا على الخبر دون الخلق؛ لأن التأويل:

(١) معالم التنزيل (٢/٤٧)

(٢) التحرير والتنوير (٣/٢٦٣)

(٣) هو أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، سراج الدين: من علماء الحنابلة في القرن التاسع الهجري، من أهل دمشق، وصاحب التفسير الكبير "اللباب في علوم الكتاب". توفي سنة (٥٨٠هـ). انظر الأعلام للزركلي (٥/٥٨) وتسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة لصالح العثيمين (٣/١٤٠١)، معجم المفسرين لعادل نويهض (١/٣٩٨)

أخبركم أي قد خلقتكم من نفس واحدة؛ لأن حواء قد خلقت من ضلعه ثم أخبركم أي خلقت زوجها منها، ثم قال: فالترتيب يعود إلى الخبر لا إلى الوجود، كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧] فكذا قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] أي: صيَّره خلقاً سويّاً، ثم إني أخبركم أي إنما خلقتُه بأن قلتُ له: كُنْ. فالترابي في الخبر، لا في هذا المخبر عن ذلك المخبر".^(١)

وقد أجب غيرَه بأجوبة أخرى وهي:

الجواب الثاني: نقل الرازي عن أبي مسلم^(٢) قوله: "قد بينا أن الخلق هو التقدير والتسوية، ويرجع معناه إلى علم الله تعالى بكيفية وقوعه وإرادته لإيقاعه على الوجه المخصوص، وكل ذلك متقدم على وجود آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ تقديمًا من الأزل إلى الأبد، وأما قوله (كُنْ) فهو عبارة عن إدخاله في الوجود"^(٣). وقال بهذا القول الزمخشري^(٤)، ورجحه أبو حيان، وقال: "والمعنى: قدره جسدا من طين ثم قال له كن أي أنشأه بشرا"^(٥).

الجواب الثالث: ذكره الخازن حيث قال: "ويحتمل أن يكون المراد أنه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له: كن بشرا فكان"^(٦). وقال ابن تيمية: "فإنما قال له (أي كن):

(١) اللباب لابن عادل (٢٧٨/٥)

(٢) هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم: من أهل أصفهان، معتزلي، كان كاتباً بليغاً متكلماً، كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر. ولي أصفهان وبلاد فارس، للمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة ٣٢١هـ فعزل. توفي سنة (٥٣٢هـ) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/٢٤٣٧)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (٣/١١١)، والأعلام للزركلي (٦/٥٠).

(٣) مفاتيح الغيب (٣/٢٤٤)

(٤) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/٣٦٨)

(٥) البحر المحيط في التفسير (٣/١٨٦)

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٢٥٣)

بعد أن خلقه من تراب؛ لا في الأزل"^(١). وقال في موضع آخر: "فأخبر أنه قال له كن فيكون بعد أن خلقه من تراب ومثل هذا الخبر في القرآن كثير: يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين"^(٢). وهذا الجواب فيه الأخذ بالظاهر.

الجواب الرابع: أن المقول له كن هو عيسى^(٣). وضعف هذا القول أبو حيان^(٤)، والسياق لا يدل عليه، فالضمير يعود على أقرب مذكور إلا لقرينة، وأقرب مذكور في الآية هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❖ الترجيح: ح:

يظهر - والله أعلم - أن الجواب الثالث هو الأقرب، وهو أن يكون المراد أنه تعالى خلقه جسداً من تراب ثم قال له: كن بشراً فكان، لأنه أخذ بظاهر الآية، وهو أن الله تعالى خلق آدم جسداً، ثم قال له "كن"، والله تعالى يتكلم كيف شاء إذا شاء^(٥).

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٢٢)

(٢) المصدر نفسه (١٢/ ٥٨٨)

(٣) انظر الباب لابن عادل (٥/ ٢٧٨)

(٤) انظر البحر المحيط في التفسير (٣/ ١٨٧)

(٥) انظر جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٥)

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠]

قال البغوي: "فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾؟ قيل: لن تقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعاينة، كما قال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ أَكْفَنَ﴾ [النساء: ١٨]. وقيل هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أمسكوا عن الإسلام، وقالوا: نتربص بمحمد فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، لن يقبل منهم ذلك لأنهم متربصون غير محققين، وأولئك هم الضالون"^(١).

ذكر الإمام البغوي في المراد بقوله تعالى: "لن تقبل توبتهم" جوابين:

الجواب الأول: أن المراد بعدم قبول التوبة هو حال المعاينة أي الاحتضار، واستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ أَكْفَنَ﴾ [النساء: ١٨]. وفي الحديث الذي رواه الترمذي والإمام أحمد من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"^(٢)، وهو قول الحسن وقتادة^(٣)، ولم يذكر ابن كثير غيره^(٤).

(١) معالم التنزيل (٢/ ٦٥)

(٢) رواه الترمذي في سننه (٤٣٨/٥) باب في فضل التوبة والاستغفار برقم (٣٥٣٧) وحسنه، والإمام أحمد في مسنده (٣٠٠/١٠). والحديث فيه عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، قال عنه الإمام أحمد: أحاديثه مناكير، وقال ابن معين: صالح، وقال مرة عنه: ضعيف، وقال الدوري عن ابن معين والعجلي وأبو زرعة الرازي: لين. انظر تهذيب التهذيب (٦/ ١٣٧). والحديث حسنه الترمذي كما سبق، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤/ ٢٨٦)، وحسنه من المعاصرين الألباني صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٣٨٦)، وشعيب الأرنؤوط في تخريجه لمسند أحمد (٣٠٠/١٠).

(٣) رواه عنهما ابن جرير في تفسيره (٥/ ٥٦٥)

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٧١)

الجواب الثاني: إن الآية نزلت في أصحاب الحارث بن سويد حيث أمسكوا عن الإسلام، وقالوا: نتربص بمحمد فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه. لن يقبل منهم ذلك لأنهم متربصون غير محققين. وذكر هذا الأثر الثعلبي في تفسيره عن الكلبي حيث قال: "نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث قالوا: نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا، فمتى ما أردنا الرجعة رجعنا، فينزل فينا ما نزل في الحارث، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل في الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته، فنزل فيمن مات منهم كافراً"^(١). وقد ذكر ابن جرير توبة الحارث بن سويد؛ حيث ذكر في تفسيره عن مجاهد أنه قال: "جاء الحارث بن سويد، فأسلم مع النبي ﷺ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنزل الله عز وجل في القرآن: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]، قال: فحملها إليه رجل من قومه، فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة، قال: فرجع الحارث فأسلم، فحسن إسلامه"^(٢)، وقد روى البزار عن ابن عباس أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَدَّادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠]. قال السيوطي: هذا خطأ من البزار^(٣).

وقد أورد بعض العلماء أجوبة أخرى غير ما ذكر الإمام البغوي، وهي:

الجواب الثالث: أن المراد بالآية هو أن الكفار الذين يتوبون من الذنوب التي هي دون الكفر لا تنفعهم هذه التوبة ما داموا على الكفر قائلين. وقد قال بهذا القول

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/١٠٩)

(٢) جامع البيان (٥/٥٥٨)، ورواه كذلك الحاكم في المستدرک (٤/٣٦٦)، وقال: صحيح الإسناد ولم

يخرجاه، وأقره الذهبي

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/٢٥٨)

أبو العالية. فقد أخرج ابن جرير عنه أنه قال في الآية: «إنما هم هؤلاء النصاري واليهود الذين كفروا ثم ازدادوا كفراً بذنوب أصابوها، فهم يتوبون منها في كفرهم»^(١). وقد اختار هذا القول ابن جرير، إذ قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من قال: عنى بها اليهود، وأن يكون تأويله أن الذين كفروا من اليهود بمحمد ﷺ عند مبعثه بعد إيمانهم به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بما أصابوا من الذنوب في كفرهم ومقامهم على ضلالتهم، لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم، حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد ﷺ، ويراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله"^(٢).

الجواب الرابع: أن الله تعالى لما قدم ذكر من كفر بعد الإيمان، وبين أنه أهل للعنة إلا أن يتوب، ذكر في هذه الآية أنه لو كفر مرة أخرى، بعد تلك التوبة فإن التوبة الأولى تصير غير مقبولة وتصير كأنها لم تكن. ونقل هذا القول الرازي عن ابن الأنباري، ورجحه^(٣).

الجواب الخامس: أن المراد بقوله تعالى: "ثم ازدادوا كفراً" أي ماتوا كفاراً، فلن تقبل توبتهم بعد الموت فالمراد أنهم يموتون على الكفر، وقال به السدي^(٤). ورجح الشوكاني^(٥) هذا القول حيث قال: "والأولى: أن يحمل عدم قبول توبتهم في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب، فكأنه عبر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة، وتكون الآية

(١) جامع البيان (٥/٥٦٦)

(٢) المصدر نفسه (٥/٥٦٧)

(٣) مفاتيح الغيب (٣/٢٨٦)

(٤) جامع البيان (٥/٥٦٧)

(٥) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها. وله مصنفات في مختلف الفنون. توفي سنة (١٢٥٠) انظر ترجمته لنفسه في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/٢١٤)، وانظر كذلك الأعلام للزركلي (٦/٢٩٨).

المذكورة بعد هذه الآية، وهي قوله: "إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار.. في حكم البيان لها"^(١). ورجحه كذلك الزمخشري حيث قال: "فإن قلت: قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفراً فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ؟ قلت: جعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتوں على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم"^(٢). واختاره كذلك ابن عطية لكنه رأى أن الآية ليست على عمومها، بل هي خاصة بقوم علم الله تعالى أنهم يموتون على الكفر فقد قال: "وتحتمل الآية عندي أن تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر، وجعل ذلك جزاء لجريمتهم ونكايتهم في الدين، وهم الذين أشار إليهم بقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ [آل عمران: ٨٦]. فأخبر عنهم أنهم لا تكون لهم توبة فيتصور قبولها، فتجيء الآية بمنزلة قول الشاعر:

على لاحب لا يهتدي بمناره^(٣)

أي قد جعلهم الله من سخطه في حيز من لا تقبل له توبة إذ ليست لهم، فهم لا محالة يموتون على الكفر"^(٤). وهذا الجواب قريب من الجواب الثاني.

الجواب السادس: أن المراد بقوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا تابوا من كفرهم إلى كفر آخر؛ وإنما تقبل توبتهم إذا تابوا إلى الإسلام. ذكره القرطبي.^(٥)

(١) فتح القدير للشوكاني (١/٤١١)

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١/٣٨٢)

(٣) اللاحب أي الطريق. والبيت لامرئ القيس وعجزه: إذا سافه العودُ النباطي جرجرا. انظر ديوان امرئ القيس (ص: ٢٠)

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٤٧٠)

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٣٠)

❖ الترجيح ————— ح:

والأظهر من هذه الأجوبة هو الجواب الثالث، وهو أن الكفار الذين يتوبون من الذنوب التي هي دون الكفر لا تنفعهم هذه التوبة ما داموا على الكفر قائلين، وذلك للوجه التالية:

الوجه الأول: أن سياق الآيات في اليهود، فهم المعنيون بهذه الآيات. فيكون المراد بعدم قبول توبتهم أي من الذنوب التي ارتكبوها وتابوا منها، لكنهم لم يتوبوا من الكفر.

الوجه الثاني: محال أن يقول عَزَّجَلَّ أقبل ولا أقبل في شيء واحد، وإذا كان ذلك كذلك، وكان من حكم الله في عباده أنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب، وكان الكفر بعد الإيمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٨٩) [آل عمران: ٨٩]؛ علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه، وإذا كان ذلك كذلك، فالذي لا تقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره؛ لأن الله لا يقبل من مشرك عملاً ما أقام على شركه وضلاله.

الوجه الثالث: أن هذا الوجه يوافق ظاهر الآية، وما وافق الظاهر أولى إلا إذا دل الدليل على إرادة معنى آخر. (١)

وأما الأجوبة الأخرى فهي تأويلات تحتاج إلى أدلة لتوافق معها، وإن كان بعضها تحتمل الآية معناه. والله أعلم

(١) انظر هذه الأوجه في تفسير الطبري (٥/٥٦٨)

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال: أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين؟ حكي عن أبي بن كعب أنه أراد به: الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى يقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق؟ وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم. وعن عكرمة: أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به. وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبوأمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع"^(١).

ذكر الإمام البغوي تساؤلاً هنا فقال: كيف قال: أكفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟ وذكر أربعة أجوبة، وهي:

الجواب الأول: أن المراد بالإيمان هنا إيمانهم يوم أخذ عليهم الميثاق، والذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ونسب هذا القول لأبي بن كعب^(٢). وقال به ابن جريج^(٣). وقد اختار هذا القول الطبري حيث قال: "وأولئ الأقال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين: أحدهما سوداً وجوهه، والآخر بيضاً وجوهه، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سود وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من

(١) معالم التنزيل (٢/ ٨٨)

(٢) انظر جامع البيان (٥/ ٦٦٤)

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٠)

بيض وجهه، فلا وجه إذا لقول قائل عنى بقوله: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] بعض الكفار دون بعض، وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة، كان معلوماً أنها المرادة بذلك. ^(١)

الجواب الثاني: أن المراد بمن اسودت وجوههم هم المنافقون؛ حيث إنهم آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم. فهم آمنوا في الظاهر. وهو قول الحسن ^(٢).

الجواب الثالث: أن المراد بالآية هم أهل الكتاب، حيث آمنوا بأنبيائهم وبنبينا عليهم الصلاة والسلام، قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به، كما قال تعالى: ﴿وَكَاذِبِينَ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. واختار هذا الجواب الطاهر ابن عاشور حيث قال: "وهذا هو المحمل البين، وسياق الكلام ولفظه يقتضيه، فإنه مسوق لوعيد أولئك" ^(٣). واختاره الزمخشري ونقله عن عطاء. ^(٤) وقال به كذلك عكرمة ^(٥) واختاره الزجاج ^(٦).

الجواب الرابع: أنهم من أهل الإسلام، والمراد بهم أهل البدع. ونقل ذلك عن قتادة ^(٧)، وخص منهم أبو أمامة الخوارج. وقال به السدي ^(٨).

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

- (١) جامع البيان (٥/٦٦٦-٦٦٧)
- (٢) انظر المصدر نفسه (٥/٦٦٤)
- (٣) التحرير والتنوير (٤/٤٥)
- (٤) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/٣٩٩)
- (٥) انظر تفسير ابن المنذر (١/٣٢٦)
- (٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٤٥٥)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣/٣١٩)
- (٧) انظر جامع البيان للطبري (٥/٦٦٤)
- (٨) انظر المصدر نفسه (٥/٦٦٤)

الجواب الخامس: أن المراد بهم أهل الردة. ذكره ابن عاشور^(١).

الجواب السادس: أن المراد بهم جميع الكفار؛ حيث ظهرت لهم الدلائل التي نصبها الله تعالى على التوحيد والنبوة. وهو قريب من الجواب الأول، لكن القول الأول في الميثاق. قال الرازي: "والدليل على صحة هذا التأويل، قوله تعالى فيما قبل هذه الآية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠]، فذمهم على الكفر بعد وضوح الآيات، وقال للمؤمنين: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] ان ثم قال هاهنا أكفرتم بعد إيمانكم فكان ذلك محمولا على ما ذكرناه حتى تصير هذه الآية مقررة لما قبلها"^(٢).

الترجيح:

والأقرب - والله أعلم - هو الجواب الأول والذي اختاره الطبري، والسادس الذي اختاره الرازي في أن المراد بالآية جميع الكفار لعمومها؛ حيث إنه من المعلوم أن من مات على الكفر سيود وجهه يوم القيامة - عياذا بالله -، وإعمال العموم أولى من التخصيص مادام أنه لم يرد مخصص، ولعل مما يؤيد هذا العموم قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [٣٨] ضاحكةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾ [عبس: ٣٨-٤٢].

(١) انظر التحرير والتنوير (٤ / ٤٥)

(٢) مفاتيح الغيب (٣ / ٣١٩)

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وأراد بالذي وعدنا: الجنة فإذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السماوات والأرض؟ قيل: إن باب الجنة في السماء وعرضها السماوات والأرض، كما أخبر، وسئل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الجنة: أفي السماء هي أم في الأرض؟ فقال: وأي أرض وسماوات تسع الجنة؟ فقيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش، وقال قتادة: كانوا يرون أن الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش، وأن جهنم تحت الأرضين السبع" (١).

في هذا الموضع طرح الإمام البغوي تساؤلاً مفاده بأن الجنة في السماء فكيف عرضها السماوات والأرض؟ وأورد جواباً واحداً، وهو:

الجواب الأول: أن باب الجنة في السماء وعرضها السماوات والأرض، وأنها فوق السماوات وتحت العرش، وهذا يؤيده حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، فوَقَّه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة" (٢)، وذكره الشريبي (٣)، ولم يذكر غيره (٤).

(١) ذكر الأثر الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/١٤٩)، ولم أجد له مصدراً.

(٢) معالم التنزيل (٢/١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣/١٠٢٨) باب درجات المجاهدين في سبيل الله رقم (٢٦٣٧).

(٤) هو محمد بن أحمد الشريبي، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. له عدة مصنفات. درس وأفتى في حياة شيوخه، وحج مراراً. توفي سنة (٩٧٧هـ). انظر الأعلام للزركلي (٦/٦)، ومعجم المفسرين لعادل نوبيهض (٢/٤٨٥).

(٥) انظر تفسير السراج المنير للشريبي (١/٢٠٠).

وقد ذكر ابن عادل في كتابه "اللباب" قولاً آخر وهو:

الجواب الثاني: أن الجنة والنار تخلقان بعد قيام الساعة، فعلى هذا لا يبعد أن تخلق الجنة في مكان السموات، والنار في مكان الأرض^(١). وهذا القول باطل لأن الذي دل على الكتاب والسنة هو أن الجنة موجودة الآن، وعليه معتقد أهل السنة. قال ابن القيم: "الباب الثالث عشر: في مكان الجنة وأين هي؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣-١٤]، وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء، وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه فيقبض منها. وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] قال ابن أبي نجیح عن مجاهد: "هو الجنة"^(٢)، وكذلك تلقاه الناس عنه"^(٣).

❁ الترجيح: ح:

الجواب الأول، وهو أن باب السماء في الجنة، هو الراجح، وذلك لدلالة حديث أبي هريرة، ولموافقة الحق في معتقد أهل السنة بأن الجنة موجودة الآن، وليس كما قال أصحاب الجواب الثاني أنها تخلق يوم القيامة. والله أعلم.

(١) انظر اللباب لابن عادل (٥/ ٥٣٩)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره. انظر جامع البيان (٢١/ ٥٢٢)

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٦٥)

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

قال البغوي: "فإن قيل: ما معنى قوله ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾؟ قيل: ذكره تأكيداً وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ ليعلم أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ^(١)".

ذكر الإمام البغوي تساؤلاً في هذا الموضع، وهو معنى قوله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ بعد قوله تعالى ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾، ثم ذكر ثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أن ذكر النظر بعد ذكر الرؤية هو من باب التوكيد، قاله الأخفش^(٢). وقال الزجاج: "معناه فقد رأيتموه، وأنتم بصرء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علة، أي: رأيتُهُ رؤية حقيقة"^(٣).

الجواب الثاني: أنه قد يتبادر إلى الذهن بأن الرؤية هنا قد تكون بمعنى الرؤية العلمية، وليست البصرية؛ ولذا قال الله تعالى بعدها ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ ليبين أن المراد بالرؤية هي الرؤية البصرية. ويرى أبو حيان أن الجوابين السابقين بمعنى واحد^(٤)، وهو توكيد الرؤية البصرية.

الجواب الثالث: أن المعنى وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ. قال ابن عطية: "وهذا قول ضعيف"^(٥).

(١) معالم التنزيل (٢/ ١١٢)

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش (١/ ١٨٢)

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٣)

(٤) انظر البحر المحيط في التفسير (٣/ ٣٦٢)

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥١٥)

وقد أجاب بعض العلماء بأجوبة أخرى، وهي:

الجواب الرابع: أن المعنى وأنتم تنظرون من مات من إخوانكم، أي فكيف وجدتم أنفسكم حين رأيتم الموت. ذكره ابن عاشور ثم قال: "وكانه تعريض بهم بأنهم ليسوا بمقام من يتمنى الشهادة. إذ قد جنبوا وقت الحاجة، وخفوا إلى الغنيمة، فالكلام ملام محض على هذا، وليس تمني الشهادة بملوم عليه، ولكن اللوم على تمني ما لا يستطيع كما قيل: (إذا لم تستطع شيئاً فدعه)"^(١). وقال مجاهد، في قول الله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣] قال: «غاب رجال عن بدر، فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه، فيصيبوا من الخير والأجر مثل ما أصاب أهل بدر. فلما كان يوم أحد ولي من ولي، فعاتبهم الله أو فعابهم، أو فعتبهم على ذلك». وورد مثله عن قتادة والسدي والحسن رواها عنهم ابن جرير.^(٢)

الجواب الخامس: أن المعنى وأنتم تنظرون إليهم أي إلى المشركين ذكره ابن جرير عن ابن اسحاق^(٣).

الجواب السادس: أن معنى "رأيتموه"؛ أي قابلتموه، وهو رأي ابن الأنباري. وعلى هذا تكون جملة "وأنتم تنظرون" حالية مبينة لا مؤكدة، حيث إن الرؤية الأولى بمعنى المقابلة والمواجهة، وأنتم تنظرون أي رؤية العين. قال ابن عادل: "وهذا - أعني: إطلاق الرؤية على المقابلة والمواجهة - غير معروف عند أهل اللسان"^(٤).

(١) التحرير والتنوير (٤/ ١٠٧)، وانظر زاد المسير (١/ ٣٣٠)، والكشاف للزمخشري (١/ ٤٢١)

(٢) انظر جامع البيان (٦/ ٩٢)

(٣) انظر المصدر نفسه (٦/ ٩٢)

(٤) اللباب لابن عادل (٥/ ٥٦٦)

❖ الترجيح:

والذي يظهر - والله أعلم - أن أقوى الأجوبة هو الجواب الأول، وهو ذكر النظر بعد ذكر الرؤية من باب التوكيد كما قاله الأخفش والزجاج، وكذلك الجواب الثاني بأنه لبيان الرؤية البصرية، وهو بمعنى الجواب الأول كما قاله أبو حيان. وأما الأجوبة الثالث والرابع والخامس، ففيها صرف النظر إلى الغير، سواء كان النبي ﷺ أو إلى من مات من المؤمنين أو إلى المشركين، فتحتاج إلى دليل لبيان هذا المعنى، وأما الجواب السادس فيه بعد حيث لا يعرف أن من معاني الرؤية المقابلة.



الموضع التاسع: عند قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال الله تعالى: "يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه" ومن أهل الإيمان من يدخل النار وقد قال: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾؟

قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلد في النار فقد أخزيت، وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها^(١)، فقد روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: "إن الله يدخل قوما النار ثم يخرجون منها"^(٢)." (٣)

في هذا الموضع يورد الإمام البغوي جواباً واحداً، وهو:

الجواب الأول: أن المراد بالخزي في الآية هو الخلود فيها. واستشهد لهذا المعنى بما ورد عن أنس وقتادة وسعيد بن المسيب بقولهم بأن الآية خاصة بمن لا يخرج منها. وهو اختيار ابن عطية^(٤).

وقد أجاب بعض العلماء بجواب آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن المراد بالخزي هنا عام يشمل كل من دخل النار سواء خُلد فيها أو لم يُخلد. ورأوا أن "الخزي" إنما هو هتك ستر المخزي وفضيحته، ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه، فقد فضحه بعقابه إياه، وذلك هو "الخزي"^(٥). وهذا اختيار ابن

(١) انظر هذه الآثار في جامع البيان لابن جرير (٣١١ / ٦) وتفسير ابن أبي حاتم (٨٤٢ / ٣)

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٩٩ / ٥) باب باب صفة الجنة والنار برقم (٦١٩١) من طريق قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين».

(٣) معالم التنزيل (١٥٢ / ٢)

(٤) انظر المحرر الوجيز (٥٥٦ / ١)

(٥) انظر جامع البيان (٣١١ / ٦)

جرير^(١) وأبي سليمان الدمشقي^(٢). فيكون الخزي على هذا القول حال دخولهم النار فقط.

الجواب الثالث: أن الإخزاء يحتمل معنيين؛ أحدهما: الإهانة والإهلاك والإبعاد، وهذا للكفار. والثاني: الإخجال؛ يقال: (خَزِي خَزَايَةً): إذا استحيا، و(أخزاه غَيْرُهُ): إذا عمل به عملاً يُخجله، ويستحي منه^(٣). فعلى هذا خزي المؤمنین: الحياء من سائر أهل الإيمان، بدخول النار إلى أن يخرجوا منها، وخزي الكافرين: الهلاك بالخلود فيها^(٤).

❖ الترجيح:

الأقرب - والله أعلم - هو الجواب الذي ذكره البغوي أن الآية خاصةً فيمن يدخلها للخلود فيها. ويدل عليه آخر الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾؛ أي: الكفار. قال أبو حيان: "وهو قول جمهور المفسرين. وقد صرح به في قوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [فسان: ١٣] ويناسب هذا التفسير أن يكون ما قبله فيمن يخلد في النار؛ لأن نفي الناصر إما بمنع أو شفاعة مختص بالكفار، وأما المؤمن بالله ناصره والرسول ﷺ شافعه، وبعض المؤمنين يشفع

(١) انظر المصدر نفسه (٦/ ٣١٣)

(٢) نقله عنه ابن الجوزي. انظر زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٦١). وأبو سليمان الدمشقي هو محمد بن عبد الله بن سليمان السعدي: مفسر، من علماء الشافعية. قال السيوطي: "سمع ببغداد أبا عبد الله المحاملي (ت ٣٣٠هـ) ودعلجا (ت ٣٥١هـ)، وكان شافعيًا أشعريًا، حسن التكلم في التفسير، صنف كتابا فيه، منها "مجتبى التفسير" جمع فيه الصغير والكبير والقليل والكثير مما أمكنه، وكتاب "الجامع الصغير في مختصر التفسير"، وكتاب "المهذب في التفسير". لا يعرف تاريخ وفاته لكنه عاش في (٣٥١هـ) انظر طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٠٣)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٦٤)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٢/ ٥٥٧)

(٣) انظر معاني (خزي) في تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ٢٠٤)

(٤) انظر التفسير البسيط للواحدى (٦/ ٢٥٦)

لبعض كما ورد في الحديث^(١).



(١) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٤٧٢)

سورة النساء

وفيها ستة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَكَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٦﴾ [النساء: ١٥-١٦].

قال البغوي: فإن قيل: ذكر الحبس في الآية الأولى وذكر في هذه الآية الإيذاء، فكيف وجه الجمع؟ قيل: الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال، وهو قول مجاهد^(١)، وقيل: الآية الأولى في الثيب وهذه في البكر.^(٢)

طرح الإمام البغوي تساؤلاً في الجمع بين ذكر الحبس والإيذاء في الآيتين اللتين ذكرهما الله تعالى في سورة النساء، وأجاب عن ذلك بجوابين:

الجواب الأول: أن قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ [النساء: ١٥] خاصة بمن فعل الفاحشة من النساء، وأن قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَكَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٦﴾ [النساء: ١٦]. نزلت في الرجال، ويشمل المحصن وغير المحصن. قال ابن عاشور: "ولا شك أن المراد بـ"الذنان" صنفان من الرجال: وهما صنف المحصنين، وصنف غير المحصنين منهم، وبذلك فسره ابن عباس^(٣) في رواية مجاهد، وهو الوجه في تفسير الآية، وبه يتقوم معنى بين غير متداخل ولا مكرر، ووجه الإشعار بصنفي الزناة من الرجال

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٠٠/٦) وابن المنذر في تفسيره (٦٠٣/٢). ابن كثير قال عن قول مجاهد: وكأنه يريد اللواط (٢٣٥/٢)

(٢) معالم التنزيل (١٨٢/٢)

(٣) أخرجه ابن المنذر في تفسيره من رواية علي بن أبي طلحة (٦٠٣/٢) ولم أجده من رواية مجاهد.

التحرز من التماس العذر فيه لغير المحصنين" (١). ورجح هذا القول النحاس (٢) والقرطبي (٣). وقال ابن عطية: "وهذا قول يقتضيه اللفظ، ويستوفي نص الكلام أصناف الزناة عليه، ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الأولى من "نَسَائِكُمْ" وقوله في الثانية "مِنْكُمْ" (٤).

الجواب الثاني: أن الآية الأولى في الثيبات والثانية في البكر من الرجال والنساء. وهو قول السدي (٥)، وابن زيد (٦)، وسعيد بن جبير (٧)، ورجحه ابن جرير حيث قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٦] قول من قال: عني به البكران غير المحصنين إذا زنيا، وكان أحدهما رجلاً والآخر امرأة؛ لأنه لو كان مقصوداً بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصوداً بقوله: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] قصد البيان عن حكم الزواني؛ لقليل: والذين يأتونها منكم فأذوهم، أو قيل: والذي يأتونها منكم، كما قيل في التي قبلها: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةَ﴾ [النساء: ١٥]، فأخرج ذكرهن على الجمع، ولم يقل: واللذان يأتیان الفاحشة،

(١) التحرير والتنوير (٤/ ٢٧١)

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠)

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٨٦)

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢١)

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٤٩٩)

(٦) المصدر نفسه (٦/ ٤٩٩). وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ. وحدث عن: أبيه، وابن المنكدر. روى عنه: أصبغ بن الفرّج، وقتيبة، وهشام بن عمار، وآخرون. توفي: سنة (١٨٢). انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٣٤٩)، وميزان الاعتدال للذهبي كذلك (٢/ ٥٦٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧١).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٩٢)

وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه، أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد، وذلك أن الواحد يدل على جنسه، ولا تخرجها بذكر اثنين، فتقول: الذين يفعلون كذا فلهم كذا، والذي يفعل كذا فله كذا، ولا تقول: اللذان يفعلان كذا فلهما كذا، إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية".^(١)

وقد ذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: أن المراد بقوله تعالى ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٦] الرجل والمرأة إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب، فتكون الآية الأولى في النساء، والآية الثانية في النساء والرجال. وهو قول عطاء وعكرمة والحسن البصري وعبدالله بن كثير^(٢).

الجواب الرابع: أن المراد بقوله تعالى ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَّةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] السحاقيات وحدهن الحبس إلى الموت وبقوله ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٦] أهل اللواط وحدهما الأذى بالقول والفعل، والمراد بالآية المذكورة في سورة النور: الزنا بين الرجل والمرأة، وحده في البكر الجلد، وفي المحصن الرجم. وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني^(٣). قال الرازي بعد أن أورد قول أبي مسلم: "واحتجوا على إبطال كلام أبي مسلم بوجوه؛ الأول: أن هذا قول لم يقله أحد من المفسرين المتقدمين فكان باطلاً، والثاني: أنه روي في الحديث أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «قد جعل الله لهن سبيلاً الثيب ترجم والبكر تجلد»^(٤)، وهذا يدل على أن هذه الآية نازلة في حق الزناة. الثالث: أن الصحابة اختلفوا في أحكام اللواط، ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية، فعدم تمسكهم بها

(١) جامع البيان لابن جرير (٥٠١/٦)

(٢) رواه عنهم ابن جرير. انظر جامع البيان (٥٠٠/٦)

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٥٢٨/٣)

(٤) رواه مسلم (١١٥/٥) من حديث عبادة بلفظ: "قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم". باب حد الزنى برقم (١٦٩٠)

مع شدة احتياجهم إلى نص يدل على هذا الحكم من أقوى الدلائل على أن هذه الآية ليست في اللوطة".^(١)

✽ الترجيح:ح:

والذي يظهر أن الجواب الثاني هو الأقرب، وهو أن الآية الأولى في الثيبات والثانية في البكر من الرجال والنساء، وهو قول السدي، وابن زيد، وسعيد بن جبير، ورجحه ابن جرير، حيث إن الله تعالى قال: "واللذان" بصيغة التثنية، وكما قال ابن جرير بأن العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه، أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد، وذلك أن الواحد يدل على جنسه، ولا تخرجها بذكر اثنين. فأخرجها بصيغة التثنية تدل على اختلاف النوعين، فهذا يدل على إرادة الرجال والنساء. أما كون المقصود به البكر من الرجال والنساء؛ فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهن في قوله: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ﴾ [النساء: ١٥] لأن هذين اثنان وأولئك جماعة، وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهن سبيلاً؛ لأنه أغلظ في العقوبة من الأذى الذي هو تعنيف، وتوبيخ أو سب وتعيير، كما كان السبيل التي جعلت لهن من الرجم أغلظ من السبيل التي جعلت للأبكار من جلد المائة ونفي السنة^(٢). والله أعلم.

(١) مفاتيح الغيب (٣/ ٥٢٨)

(٢) انظر جامع البيان (٦/ ٥٠١)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

قال البغوي: "فإن قيل: قد أوعدهم بالطمس إن لم يؤمنوا، ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك؟"

قيل: هذا الوعيد باقٍ، ويكون طمس ومسوخ في اليهود قبل قيام الساعة.

وقيل: كان هذا وعيدا بشرط، فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن

الباقيين.

وقيل: أراد به القيامة، وقال مجاهد أراد بقوله: ﴿نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي: نتركهم في الضلالة، فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة.^(١)

طرح الإمام البغوي هنا تساؤلاً يختص بتهديد الله تعالى لليهود بالطمس إن لم يؤمنوا، ولم يؤمنوا ولم يطمس الله تعالى وجوههم. وقد ذكر عن ذلك أربعة أجوبة هي:

الجواب الأول: أن الوعيد باقٍ، ويكون طمس ومسوخ في اليهود قبل قيام الساعة. وقد نقله الثعلبي عن المبرد^(٢).

الجواب الثاني: كان هذا وعيدا بشرط، فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن الباقيين. واختار هذا القول ابن جرير حيث قال: "فإن قال قائل: فإن كان الأمر

(١) معالم التنزيل (٢/ ٢٣١)

(٢) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ٣٢٤). والمبرد هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً، ثقة، إخبارياً علامة، صاحب نوادر وظرافة. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد سنة (٢٨٦هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٨٣١)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٤٤)

كما وصفت من تأويل الآية ، فهل كان ما توعدهم به؟ قيل: لم يكن لأنه آمن منهم جماعة. منهم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية، وأسد بن سعية، وأسد بن عبيد ، ومخيرق ، وجماعة غيرهم ، فدفع عنهم بإيمانهم"^(١).

الجواب الثالث: أن هذا الوعيد يكون يوم القيامة. واستبعد ذلك القاسمي^(٢) حيث قال: "وهذا فيه بعد أيضاً، لنبوّ مثل هذا الخطاب عن إرادة الوعيد الأخرويّ، لا سيما والجملة الثانية التي هددوا بها، أعني لعنهم كأصحاب السبت، كان عقابها دنيويّاً"^(٣).

الجواب الرابع: أن المراد بطمس وجوههم هو تركهم في الضلالة، فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة. وهو قول مجاهد^(٤)، والحسن والسدي والضحاك^(٥). قال أبو حيان: "وإما إن أريد بذلك تغيير أحوال وجهائهم أو وجوه الهدى والرشد، فقد وقع ذلك"^(٦). وقال ابن عاشور: "وإن كان الطمس هنا مجازاً وهو الظاهر، فهو وعيد بزوال وجاهة اليهود في بلاد العرب، ورميهم بالمذلة بعد أن كانوا هناك أعزة ذوي مال وعدة، فقد كان منهم السموأل قبل البعثة، ومنهم

(١) جامع البيان (١١١/٧)

(٢) هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨-١٣١٢هـ) ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة. ولما عاد تهمة حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة سنة ١٣١٣هـ وسألته، فرد التهمة فأخلي سبيله، واعتذر إليه والي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة.. توفي في دمشق سنة (١٣٣٢). الأعلام للزركلي (٢/١٣٥)، معجم المفسرين لنويهض (١/١٢٧)

(٣) محاسن التأويل (٣/١٤٥)

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٦٨)

(٥) روى الآثار عن الحسن والسدي والضحاك ابن جرير في تفسيره (٧/١١١)

(٦) البحر المحيط في التفسير (٣/٦٦٨)

أبو رافع تاجر أهل الحجاز، ومنهم كعب بن الأشرف، سيد جهته في عصر الهجرة^(١). وقد حصل ذلك فلم يعد لليهود وجاهة عند العرب.

وخالف في كون الطمس مجازي القاسمي، حيث قال: "إن المتبادر من اللفظ الحقيقة. ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر إرادتها. ولا تعذر هنا. كما أن المتبادر من اللعن، المشبه بلعن أصحاب السبت، هو المسخ. وهو الذي تقتضيه بلاغة التنزيل. إذ فيه الترقى إلى الوعيد الأفظع. ولا ننكر أن تكون هذه التأويلات مما يشمله لفظ الآية. وإنما البحث في دعوى إرادتها دون سابقها. فالحق أن المتبادر من النظم الكريم هو الأول - أي نحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم - لأنه أدخل في الزجر. ويؤيده ما روي، أن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية"^(٢). وأثر كعب قد رواه ابن جرير عن إبراهيم النخعي أنه قال: أسلم كعب في زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس، فمر على المدينة، فخرج إليه عمر، فقال: "يا كعب أسلم". قال: "ألستم تقرأون في كتابكم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] وأنا قد حملت التوراة". قال: فتركه، ثم خرج حتى انتهى إلى حمص، قال: فسمع رجلاً من أهلها حزينا، وهو يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ [النساء: ٤٧] الآية، فقال كعب: "يا رب أسلمت". مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين^(٣). وهذا يدل على أن المراد بالطمس هو الطمس الحقيقي. وقال ابن جرير: "ولا شك أنهم كانوا لما أمرهم بالإيمان به يومئذ كفارا. وإذا كان ذلك كذلك؛ فبين فساد قول من قال: تأويل ذلك أن نعميها عن الحق فنردها في الضلالة، فما وجه رد من هو في الضلالة فيها؟ وإنما يرد في الشيء من كان خارجاً منه، فأما من هو فيه فلا وجه لأن يقال: يرده فيه. وإذا كان ذلك

(١) التحرير والتنوير (٧٩/٥)

(٢) محاسن التأويل (١٤٥/٣)

(٣) جامع البيان (١١٩/٧)

كذلك ، وكان صحيحاً أن الله قد تهدد الذين ذكرهم في هذه الآية برده وجوههم على أدبارهم ، كان بينا فساد تأويل من قال: معنى ذلك يهددهم بردهم في ضلالتهم" (١).

وقد ذكر بعض العلماء أجوبة أخرى وهي:

الجواب الخامس: أن التهديد لا يقتضي وقوع المهدد به، واستدل بحديث أبي هريرة المتفق عليه أن النبي ﷺ قال «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار» (٢). «فإخلاف الوعيد جائز، وهو صفة مدح» (٣).

الجواب السادس: أنه تعالى ما جعل الوعيد هو الطمس بعينه، بل جعل الوعيد إما الطمس أو اللعن، فإنه قال: ﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧]، وقد فعل أحدهما وهو اللعن، وهو قوله: "أَوْ نَلْعَنُهُمْ" (٤). قال الزمخشري: "ولأن الله عزَّجَلَّ أوعدهم بأحد الأمرين، بطمس وجوه منهم، أو بلعنهم فإن الطمس تبديل أحوال رؤسائهم، أو إجلاؤهم إلى الشام، فقد كان أحد الأمرين، وإن كان غيره، فقد حصل اللعن، فإنهم ملعونون بكل لسان، والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثَوِّبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، وكان أمر الله مفعولاً؛ فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا" (٥).

الترجيح:

الأقرب - والله أعلم - هو الجواب الثاني، وهو أنه وعيد بشرط عدم إيمانهم، وقد

(١) المصدر نفسه (١١٦/٧)

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٤٥) باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، برقم (٦٥٩)، ورواه كذلك مسلم في صحيحه (٢/ ٢٨) باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، برقم (٤٢٧)

(٣) انظر التحرير والتنوير (٥/ ٧٩)

(٤) انظر مفاتيح الغيب (٤/ ٩٥)

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٥١٨)

أسلم جمع منهم، وبهذا انتفى الوعيد، وهو اختيار ابن جرير، والجواب السادس فيه قوة، وهو أنه تعالى ما جعل الوعيد هو الطمس بعينه، بل جعل الوعيد إما الطمس أو اللعن، وهو اختيار الزمخشري. وأما الجواب الأول وهو أن الوعيد باق إلى يوم القيامة؛ ففيه بعد حيث إن المخاطب بهذا الخطاب هم اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ. والجواب الثالث، وهو أن الوعيد يكون يوم القيامة؛ فبعيد لأن اللعن الذي هددوا به كان كلعن أصحاب السبت، وهو عقاب دنيوي. وأما الجواب الرابع، وهو أن المراد بالطمس هو المعنى المجازي؛ ففيه نظر حيث إنه لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر إرادة الحقيقة من اللفظ. والجواب الخامس بجواز إخلاف الوعد ففيه بعد أيضاً؛ حيث إنه قد حصل اللعن لأصحاب السبت، وقد انتفى الوعيد بحصول إيمان بعض اليهود.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه؟

قيل: يعاد الجلد الأول في كل مرة. وإنما قال: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لتبدل صفتها، كما تقول: صنعت من خاتمي خاتما غيره، فالخاتم الثاني هو الأول إلا أن الصناعة والصفة تبدلت، وكمن يترك أخاه صحيحا ثم بعد مرة يراه مريضا دنفا فيقول: أنا غير الذي عهدت، وهو عين الأول، إلا أن صفته تغيرت.

وقال السدي: يبذل الجلد جلدا غيره من لحم الكافر، ثم يعيد الجلد لحما، ثم يخرج من اللحم جلدا آخر^(١). وقيل: يعذب الشخص في الجلد لا الجلد، بدليل أنه قال: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، ولم يقل: لتذوق، وقال عبد العزيز بن يحيى^(٢): إن الله عز وجل يلبس أهل النار جلودا لا تألم، فيكون زيادة عذاب عليهم، كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره، كما قال: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]. فالسراويل تؤلمهم وهي لا تألم^(٣).

ذكر الإمام البغوي في التساؤل الذي طرحه هنا، وهو كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا تعصيه أربعة أجوبة، وهي:

الجواب الأول: أن المعنى تجديد ذات الجلد، وليس تبديل الجلد بجلد آخر.

(١) نقله غير واحد من أهل العلم كابن الجوزي وابن عادل عن السدي لكنني لم أجده مستندا.

(٢) هو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكيّ: فقيه مناظر. من أهل الفضل والعلم. كان من تلاميذ الإمام الشافعيّ. يلقب بالغول لدمايته. وقدم بغداد في أيام المأمون، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن. له تصانيف عديدة. ينسب له كتاب "الحيدة"، وفي نسبته له نظر. توفي قرابة (٥٢٤٠هـ) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢١٢/١٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨٧٤/٥)،

والأعلام للزركلي (٤/٢٩-٣٠)

(٣) معالم التنزيل (٢/٢٣٧-٢٣٨)

وإنما قال تعالى ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لتبدل صفتها. ثم ضرب أمثلة تبين بأن تبدل الصفة يطلق عليه تغيير. فمعنى قوله ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي بدلناهم جلوداً غير محترقة. وذلك أنها تعاد جديدة، والأولى كانت قد احترقت، فأعيدت غير محترقة، فلذلك قيل: "غيرها"^(١). وقال ابن القيم: "إن قول الله عزَّجَلَّ بدلناهم جلوداً غيرها ليس يعني جلوداً أخرى غير جلودهم وإنما يعني بتبديلها تجديدها لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله"^(٢). وقال الثعلبي: "ونظير هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وهي تلك الأرض بعينها إلا أنها قد بدلت جبالها وأكامها وأنهارها وأشجارها، وأنشد:

فما النَّاسُ بالنَّاسِ الذين عهدتهم

ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كنت أعرف^(٣)." (٤)

الجواب الثاني: ما ذكره عن السدي من أنه يبذل الجلد جلدا غيره من لحم الكافر ثم يعيد الجلد لحما، ثم يخرج من اللحم جلدا آخر. فعلى هذا الجواب يكون الجلد من ذات المعذب، فلا يكون ثمة جلد من خارجه فيقع عليه العذاب.

الجواب الثالث: يعذب الشخص في الجلد لا الجلد، بدليل أنه قال: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ولم يقل: لتذوق، ونقل عن عبد العزيز بن يحيى أنه قال: إن الله عزَّجَلَّ يلبس أهل النار جلوداً لا تألم، فيكون زيادة عذاب عليهم، كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره. فيكون الألم واصل إلى النفس دون أن يتألم الجلد. قال ابن عاشور: "وتبديل الجلد مع

(١) انظر جامع البيان (٧/ ١٦٤)

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص: ١٢٥)

(٣) ذكر بهاء الدين البغدادي أن البيت للعباس بن عبدالمطلب وأن الفرزدق أخذه منه. انظر التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٩٦)

(٤) الكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٣٣١)

بقاء نفس صاحبه لا ينافي العدل لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنه ناشئ عن الجلد الأول كما أن إعادة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها لا يوجب أن تكون أناسا غير الذين استحقوا الثواب والعقاب؛ لأنها لما أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشر فقد صارت هي هي، ولا سيما إذا كانت إعادتها عن إنبات من أعجاب الأذنان، حسبما ورد به الأثر؛ لأن الناشئ عن الشيء هو منه كالنخلة من النواة".^(١) ومثل البغوي بقوله تعالى: ﴿سَرَّابِلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ﴾ فتكون السراويل تؤلمهم ولا يألَم.

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الرابع: أن معنى قوله تعالى: ﴿كَلِمًا نَّضِبَتْ جُلُودُهُمْ﴾ أي سراويلهم، فالمعنى بدلناهم سراويل من قَطْرَانٍ غيرها. فجعلت السراويل من القطران لهم جلوداً^(٢). فإنه لما صارت لهم لباساً لا تفارق أجسامهم؛ جعلت لهم جلوداً، فقيل: كلما اشتعل القَطْرَانِ في أجسامهم واحترق، بدلوا سراويل من قَطْرَانٍ آخر. وقال أصحاب هذا القول: وأما جلود أهل الكفر من أهل النار، فإنها لا تحترق؛ لأن في احتراقها إلى حال إعادتها فناءها، وفي فنائها رَاحتها. قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنها: أنهم لا يموتون، ولا يخفف عنهم من عذابها. قالوا: وجلود الكفار أحد أجسامهم، ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى ثم يعاد بعد الفناء في النار؛ جاز ذلك في جميع أجزائها. وإذا جاز ذلك؛ وجب أن يكون جائزاً عليهم الفناء، ثم الإعادة والموت، ثم الإحياء، وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يموتون.^(٣)

وقال أصحاب هذا الجواب بأنه قد يطلق على الجلود سراويل كما في قول الشاعر:

كسا اللؤم تيما خضرة في جلودها فويل لتيم من سراويلها الخضر^(٤)

(١) التحرير والتنوير (٩٠/٥)، وانظر جامع البيان (١٦٥/٧)

(٢) انظر جامع البيان (١٦٦/٧)

(٣) انظر المصدر نفسه (١٦٦/٧)

(٤) البيت لجرير. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٥٩٦/٢)، وفتح القدير للشوكاني (٥٥٤/١).

ورد بعض العلماء كابن كثير والشوكاني هذا القول، وقالوا: بأنه لا موجب لترك المعنى الحقيقي هاهنا^(١). قال الرازي: "طعن القاضي^(٢) فيه، فقال: إنه ترك للظاهر، وأيضا السراييل من القطران لا توصف بالنضج، وإنما توصف بالاحتراق"^(٣).

الجواب الخامس: يمكن أن يقال: هذا استعارة عن الدوام وعدم الانقطاع، كما يقال لمن يراد وصفه بالدوام: كلما انتهى فقد ابتدأ، وكلما وصل إلى آخره فقد ابتدأ من أوله، فكذا قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؛ يعني كلما ظنوا أنهم نضجوا واحترقوا وانتهوا إلى الهلاك أعطيناهم قوة جديدة من الحياة بحيث ظنوا أنهم الآن حدثوا ووجدوا، فيكون المقصود بيان دوام العذاب وعدم انقطاعه^(٤). وهذا يخالف ظاهر الآية بلا دليل.

الترجيح: ح

ويظهر أن أقرب الأجوبة هي الأجوبة الثلاثة الأولى التي ذكرها البغوي، فالتبديل لا ينافي عدل الله تعالى سواء كان ذلك بتجديد الجلد الذي احترق، أو أن يكون ناشئاً من لحم الكافر كما قال السدي، أو أن الجلد هو وسيلة إيصال الألم إلى النفس دون أن يتألم، فهو كمثل السراييل التي تحترق فيتألم لابسها دون أن تتألم. وأما الجوابان الأخيران فهما عدول عن ظاهر الآية بلا دليل. والله أعلم.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣٧/٢)، وفتح القدير للشوكاني (١/٥٥٤)

(٢) أي الباقلاني.

(٣) مفاتيح الغيب (٤/١٠٦)، وانظر أحكام القرآن للجصاص (٣/١٧٢)

(٤) انظر مفاتيح الغيب (٤/١٠٦)

الموضع الرابع: قوله تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء ٧٨-٧٩]

قال البغوي: "فإن قيل كيف وجه الجمع بين قوله ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وبين قوله ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾؟

قيل: قوله ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ أي: ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه قرأ ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ وأنا كتبها عليك^(١).

وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمّر تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على إرسالك وصدقك، وقيل: وكفى بالله شهيدا على أن الحسنه والسيئة كلها من الله تعالى^(٢).

ذكر الإمام البغوي جوابين للتساؤل الذي طرحه هنا، وهو وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقوله ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾، والجوابان هما:

الجواب الأول: أن قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي أنها مقدره من الله تعالى،

(١) روى ابن المنذر عن ابن مجاهد، أن ابن عباس كان يقرأ قوله عز وجل: "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبها عليك" انظر تفسير المنذر (٢/ ٨٠٠)

(٢) معالم التنزيل (٢/ ٢٥٣)

فالخصب والجذب، والنصر والهزيمة - وهي أمثلة للحسنة والسيئة -، وأن قوله تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ أي أنها بسبب ذنوبك، فإضافة السيئة إلى العبد من إضافة الشيء إلى سببه، لا من إضافته إلى مُقَدَّره، أما إضافة الحسنة والسيئة إلى الله تعالى فمن باب إضافة الشيء إلى مقدره، وبهذا يزول ما يوهم الاختلاف بين الآيتين لانفكاك الجهة^(١). واستدل البغوي لهذا الجواب بقراءة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه قرأ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ وأنا كتبتها عليك. فالآية الأولى هي رد على المشركين لما أضافوا السيئة إلى النبي ﷺ تشاؤماً به، فرد عليهم، فقال: كل بتقدير الله^(٢). وهذا يشبه تطير ثمود بصالح كما قال تعالى: ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ قَالَ طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧]، وكقوله تعالى: ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا يَأْتِيَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]. قال ابن عطية: "ومعنى هذه الآية عند ابن عباس^(٣) وفتادة^(٤) والحسن والربيع^(٥) وابن زيد^(٦) وأبي صالح^(٧) وغيرهم القطع واستئناف الإخبار من الله تعالى، بأن الحسنة منه وبفضله، والسيئة من الإنسان بإذنا به، وهي من الله بالخلق

(١) انظر تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ص (٤٧)

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١/٤٣٦)

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٧/٢٤٢)، ورواه كذلك ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/١٠١٠)

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٧/٢٤١)

(٥) وجدت رواية الربيع عن أبي العالية. انظر جامع البيان للطبري (٧/٢٤٣)

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٧/٢٤٣)

(٧) رواه الطبري في تفسيره (٧/٢٤٣) ورواه كذلك ابن المنذر في تفسيره (٢/٨٠٠) وأبو صالح اسمه باذام، ويقال: باذان. ويقال باذان. مولى أم هانئ بنت أبي طالب. وهو صاحب التفسير الذي رواه عن ابن عباس ورواه عن أبي صالح الكلبي محمد بن السائب. وروى عن أبي صالح أيضا سماك بن حرب وإسماعيل ابن أبي خالد. تابعي. ضعف حديثه جمع من العلماء. انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢٩٩)، والتاريخ الكبير للبخاري (٢/١٤٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٣٧).

والاختراع" (١).

الجواب الثاني: أن الآية متصلة بما قبلها، وأن فيها إضمار، وتقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله"، وأرسلناك يا محمد للناس رسولا وكفى بالله شهيداً.

وقد ذكر بعض العلماء جواباً آخر وهو:

الجواب الثالث: إن ألف الاستفهام مضمرة؛ أي: أضمن نفسك؟ ومثله قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء: ٢٢]، والمعنى: أو تلك نعمة؟ ومثله قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٧]، أي: أهذا ربي، ومنه قول أبي خراش الهذلي (٢):
رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم (٣)

أي: أهم أهم؟ (٤). وقد رد الشوكاني قائلاً: "وهذا خلاف الظاهر، وقد ورد في الكتاب العزيز ما يفيد مفاد هذه الآية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٨١) وانظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٢٥)

(٢) هو أبو خراش الهذلي الشاعر، اسمه خُوَيْلِدُ بْنُ مَرْثَةَ، من بني قِرْدِ بْنِ عَمْرِو الهذلي. وكان أبو خراش ممن يعدو على قدميه فيسبق الخيل، وكان في الجاهلية من فتاك العرب ثم أسلم بعد حنين وحسن إسلامه. توفي زمن عُمر، أناه حُجَّاجٌ فَمَشَى إِلَى الْمَاءِ لِيَمْلَأَ لَهُمْ فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ، فَأَقْبَلَ مَسْرِعًا فَأَعْطَاهُم الْمَاءَ وَشَاءَ وَقَدَّرًا، ولم يُعْلِمُهُمْ بما تم له، ثم أصبح وهو في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه. توفي سنة (٥١٥هـ). انظر ترجمته في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤/ ١٦٣٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ١٦٧)

(٣) انظر البيت في أدب الكاتب لابن قتيبة (ص: ٤١) وديوان الهذليين محمد الشنقيطي (٢/ ١٤٤)

(٤) ذكره الشوكاني في فتح القدير (١/ ٥٦٥)

مَثَلِيهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا أَقَلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥] (١).

وقد رد ابن تيمية على أصحاب الجوابين الثاني والثالث قائلاً: "وربما قدر بعضهم تقديراً: أي أفمن نفسك؟ وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ [النساء: ٧٩]. فيقولون: تقدير الآية ﴿فَالْهَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ﴿٧٨﴾ [النساء: ٧٨] يقولون فيحرفون لفظ القرآن ومعناه، ويجعلون ما هو من قول الله - قول الصدق - من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم، ويضمرون في القرآن ما لا دليل على ثبوته بل سياق الكلام ينفيه؛ فكل من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي تنصره. وأما القرآن فالمراد منه هنا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب؛ ليس المراد الطاعات والمعاصي، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وكقوله: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَسْتَوِلُّوْهُمْ فَرِحُوا﴾ ﴿٥٠﴾ [التوبة: ٥٠]، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ [التوبة: ٥١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨]، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛ أي بالنعم والمصائب. وهذا بخلاف قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وأمثال ذلك فإن المراد بها الطاعة والمعصية، وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال؛ بل هو مبين. وذلك أنه إذا قال: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ وما ﴿مَسَّكَ﴾ ونحو ذلك كان من فعل غيرك بك كما قال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وكما قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [التوبة: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الروم: ٣٦]. (٢)

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٦٥)، وانظر كذلك المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٨١)

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١١٠)

❖ الترجيح:ح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الجواب الأول هو أقرب الأجوبة وهو قول ابن عباس وقتادة، والحسن وغيرهم، وتأييده قراءة ابن عباس، وكذلك الأدلة من القرآن والسنة التي تدل على أن العقوبة تكون بسبب ما يأتيه الشخص من السيئة، وهي مقدره من الله تعالى، فالسيئة نسبتها إلى الله تعالى تقديرا، وإلى الشخص تسببيا.



الجوزي: "وإنما علق امتناع المغفرة بكفر بعد كفر؛ لأن المؤمن بعد الكفر يغفر له كفره، فإذا ارتد طوبى بالكفر الأول"^(١). وقال القرطبي: "فإن قيل: إن الله تعالى لا يغفر شيئاً من الكفر فكيف قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٣٧]، فالجواب أن الكافر إذا آمن غفر له كفره، فإذا رجع فكفر لم يغفر له الكفر الأول، وهذا كما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله قال: قال أناس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: (أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام). وفي رواية (ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر)^(٢). والإساءة هنا بمعنى الكفر؛ إذ لا يصح أن يراد بها هنا ارتكاب سيئة، فإنه يلزم عليه ألا يهدم الإسلام ما سبق قبله إلا لمن يعصم من جميع السيئات إلى حين موته، وذلك باطل بالإجماع"^(٣).

ولم أر غير هذا الجواب فيما وقفت عليه، والله أعلم.

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٤٨٦/١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٣٦/٦) في باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة برقم (٦٥٢٣)، وأخرجه مسلم (٧٧/١) في باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية، برقم (٢٣٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤١٦/٥)، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩/١٦).

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء: ١٣١-١٣٢]

قال البغوي: "فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟

قيل: لكل واحد منهما وجه، أما الأول: فمعناه لله ما في السماوات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته. وأما الثاني فيقول: فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنياً؛ أي: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون. وأما الثالث فيقول: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: له الملك فاتخذوه وكيلاً، ولا تتوكلوا على غيره" (١).

أجاب البغوي عن التساؤل الذي طرحه بجواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن لكل موضع وجهاً، على النحو التالي:

الموضع الأول: فمعناه لله ما في السماوات وما في الأرض، وهو يوصيكم بالتقوى، فاقبلوا وصيته.

الموضع الثاني: فإن لله ما في السماوات وما في الأرض، وكان الله غنياً؛ أي: هو الغني وله الملك؛ فاطلبوا منه ما تطلبون.

الموضع الثالث: له الملك فاتخذوه وكيلاً، ولا تتوكلوا على غيره" (٢). وقال الطبري: "كرر ذلك لاختلاف معنى الخبرين عما في السماوات والأرض في الآيتين،

(١) معالم التنزيل (٢/٢٩٧)

(٢) انظر كذلك تفسير السمعاني (١/٤٨٧) واللباب لابن عادل (٧/٦١)

وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه وغنى بارئه عنه ، وفي الأخرى حفظ بارئه إياه به، وعلمه به، وتدبيره"^(١). وقال الرازي: "وإذا كان الدليل الواحد دليلاً على مدلولات كثيرة؛ فإنه يحسن ذكر ذلك الدليل ليستدل به على أحد تلك المدلولات، ثم يذكره مرة أخرى ليستدل به على الثاني، ثم يذكره ثالثاً ليستدل به على المدلول الثالث، وهذه الإعادة أحسن وأولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة؛ لأن عند إعادة ذكر الدليل يخطر في ذهن ما يوجب العلم بالمدلول، فكان العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجلى، فظهر أن هذا التكرير في غاية الحسن والكمال، وأيضاً فإذا أعدته ثلاث مرات، وفرعت عليه في كل مرة إثبات صفة أخرى من صفات جلال الله تنبه الذهن حينئذ لكون تخليق السماوات والأرض دالاً على أسرار شريفة ومطالب جليلة، فعند ذلك يجتهد الإنسان في التفكير فيها والاستدلال بأحوالها وصفاتها على صفات الخالق ﷻ، ولما كان الغرض الكلي من هذا الكتاب الكريم صرف العقول والأفهام عن الاشتغال بغير الله إلى الاستغراق في معرفة الله، وكان هذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكد، لا جرم إذا كان في غاية الحسن والكمال"^(٢).

وطرح القرطبي جواباً ثانياً، وهو:

الجواب الثاني: أنه كرر تأكيداً؛ ليتنبه العباد وينظروا ما في ملكوته وملكه وأنه غني عن العالمين"^(٣).

❁ الترجيح — ح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الجواب الأول بأن لكل موضع وجهاً أقرب للمعنى من أن التكرير للتأكيد؛ لأن فيه دلالة زائدة على مجرد التأكيد.

(١) جامع البيان لابن جرير (٧/ ٥٨٠)

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٤/ ٢٣٩)

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٠٩)

سورة المائدة

وفيها ستة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟

قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم^(١)؛ فيكون خطاب الحل مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم، فكأنه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوجوهم^(٢).

ذكر الإمام البغوي جوابين هنا، وهما:

الجواب الأول: نقله عن الزجاج، وهو أن معنى قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ أي حلال لكم أن تطعموهم، فيكون خطاب الحل مع المسلمين. قال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ أي ذبائحكم، فهذه رخصة للمسلمين لأهل الكتاب لما كان الأمر يقتضي أن شيئاً قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغي لنا أن نحمله منهم، ورخص الله تعالى في ذلك رفعا للمشقة"^(٣). وقال الرازي: "ويحل لكم أن تطعموهم من طعامكم لأنه لا يمتنع أن يحرم الله أن نطعمهم من ذبائحننا"^(٤). واستظهر ابن كثير هذا المعنى فقال: "ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائهم. وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة، كما ألبس النبي ﷺ ثوبه لعبد الله بن أبي بن سلول حين مات ودفنه فيه"^(٥)، قالوا: لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه، فجازاه النبي ﷺ ذلك

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/١٥١)

(٢) معالم التنزيل (٣/١٨)

(٣) المحرر الوجيز (٢/١٥٩)

(٤) مفاتيح الغيب (٤/٢٩٤)

(٥) رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر (٤/١٧١٥) باب ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾،

بذلك" (١).

الجواب الثاني: لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم، فكأنه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوجوهم. وقال الرازي: "وأيضاً فالفائدة في ذكر ذلك أن إباحة المناكحة غير حاصلة في الجانبين، وإباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانبين، لا جرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيهاً على التمييز بين النوعين" (٢).

وذكر الواحدي جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: أن الخطاب لأهل الكتاب، وهذا يدل على أنهم مخاطبون بفروع الشريعة. وقال: "يريد أن ذبائحنا لهم حلال، فإذا اشتروها منا كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلالاً، وهذا يدل على أنهم مخاطبون بشريعتنا" (٣).

❁ الترجيح: ح:

الجوابان الأول والثاني هما الأظهر، وهما أن المعنى حلال لكم أن تطعموهم، أو لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم، فكأنه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوجوهم. ويؤيد ذلك أن الخطاب للمؤمنين. والله أعلم.



= برقم (٤٣٩٣)، ورواه مسلم (١١٦/٧) باب فضل عمر برقم (٦٢٨٥)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١/٣)، وانظر مجموع الفتاوى (٢٦٥/١٩)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٩٤/٤)

(٣) انظر التفسير الوسيط للواحدى (١٥٧/٢)، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٩/٦)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟

قيل: ليس ذلك بحقيقة إرادة، ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب، فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً، وإن لم يكن مريداً حقيقة. وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي، فتكون إرادة صحيحة، لأنها موافقة لحكم الله عز وجل، فلا يكون هذا إرادة للقتل، بل لموجب القتل من الإثم والعقاب"^(١).

طرح البغوي إشكالا، وهو كيف أن ابن آدم المقتول أراد أن يبوء أخوه بإثمه، مع أن إرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ ثم ذكر جوابين، وهما:

الجواب الأول: أن ذلك على سبيل المجاز، وليس على الحقيقة، فإنه لما علم أنه سيقته لا محالة وطن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب، فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً. قال ابن عاشور: "وتبوء ترجع، وهو رجوع مجازي، أي تكتسب ذلك من فعلك، فكأنه خرج يسعى لنفسه فبأثمين"^(٢).

الجواب الثاني: أن المعنى هو: إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي، فتكون إرادة صحيحة؛ لأنها موافقة لحكم الله عز وجل، فلا يكون هذا إرادة للقتل، بل لموجب القتل من الإثم والعقاب. قال ابن جرير: "معناه إني أريد أن تبوء بإثم قتلي إن قتلني لأني لا أقتلك، فإن أنت قتلني فإني مريد أن تبوء بإثم معصيتك الله في قتلك إياي. وهو إذا قتله؛ فهو لا محالة بآء به في حكم الله، وإرادته ذلك غير موجبة له الدخول في الخطأ"^(٣).

(١) معالم التنزيل (٤٣/٣)

(٢) التحرير والتنوير (١٧١/٦)

(٣) جامع البيان (٨/٣٣٠)، وانظر مفاتيح الغيب (٤/٣٤٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/٤٨).

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: ذكره السمعاني بعد أن ذكر الجوابين السابقين، وهو أن معناه: إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك؛ فكأنه كان يمنعه عن القتل، وأراد ترك القتل؛ كيلا يبوء بالإثم.^(١)

الجواب الرابع: ذكره الرازي حيث قال: "إنما دار بينهما عند ما غلب عليّ ظن المقتول أنه يريد قتله، وكان ذلك قبل إقدام القاتل عليّ إيقاع القتل به، وكأنه لما وعظه ونصحه قال له: وإن كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة؛ فلا بدّ وأن ترصد قتلي في وقت أكون غافلاً عنك وعاجزاً عن دفعك، فحينئذ لا يمكنني أن أدفعك عن قتلي إلا إذا قتلتك ابتداءً بمجرد الظن والحسبان، وهذا مني كبيرة ومعصية، وإذا دار الأمر بين أن يكون فاعل هذه المعصية أنا وبين أن يكون أنت، فأنا أحب أن تحصل هذه الكبيرة لك لا لي، ومن المعلوم أن إرادة صدور الذنب من الغير في هذه الحالة وعليّ هذا الشرط لا يكون حراماً، بل هو عين الطاعة ومحض الإخلاص"^(٢). قال ابن جزري: "الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة، وإنما هو تخيير في أهون الشرين كأنه قال: إن قتلتني، فذلك أحب إلي من أن أقتلك كما ورد في الأثر: "كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل"^(٣)".^(٤)

(١) انظر تفسير السمعاني (٣٠ / ٢)

(٢) مفاتيح الغيب (٤ / ٣٤٠)

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥٤٣ / ٣٤) من حديث خباب وفي الإسناد رجل مبهم وبقية رجاله رجال الشيخين. قال الأرئؤوط في تخريجه للمسند: والرجل المبهم الذي روى عنه حميد إن كان ثقة عنده فالإسناد صحيح، والله تعالى أعلم. انتهى. وله شاهد عند مسلم من حديث أبي بكره الثقفي مرفوعاً: "إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه" قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا

الجواب الخامس: أن في الكلام محذوفاً، تقديره: إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله: ﴿وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوَّسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠] أي: أن لا تميد بكم، ومنه قول امرئ القيس:

فقلتُ يمينُ الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لَدَيْكَ وأوصالي^(١)

أراد: لا أبرح. ذكره ابن الجوزي^(٢)، وضعف هذا القول القرطبي^(٣).

الجواب السادس: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك، فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعُجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حبّ العجل، ذكره ابن الجوزي، وقال: "ذكره والذي قبله ابن الأنباري"^(٤).

الجواب السابع: أن همزة الاستفهام هنا محذوفة، والتقدير: أئنّي أريد؛ وهو استفهام إنكار. ذكره ابن عادل، ثم قال: "ويؤيد هذا التأويل قراءة من قرأ: "ئنّي أريد" بفتح النون، وهي "ئنّي" التي بمعنى "كَيْفَ"، أي: كيف أريد ذلك"^(٥).

= أرض؟ قال: "يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت" قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرايت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفيين، أو إحدى الفئتين، فضر بني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: "يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار". انظر صحيح مسلم (١٦٩ / ٨) كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، برقم (٧٣٥٣).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٢٢٨)

(١) ديوان امرئ القيس (ص: ١٣٧)

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١٩٨ / ٢)

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٣٧)

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٢ / ١٩٨)

(٥) اللباب لابن عادل (٧ / ٢٨٩)

الترجيح:

أقوى الأجوبة هو الجواب الثاني، وهو أنه أراد أن يبوء بعقاب قتله له، وكما قال ابن جرير أن هذه الإرادة غير موجبة على الدخول في الخطأ، وهو قريب من الجواب الرابع الذي ذكره الرازي وابن جزري، حيث إنه مخير بين إرادتين، فأراد أهونها. وأما الأجوبة الأخرى فهي ما بين إرادة المجاز أو على تقدير الحذف، وهذا لا حاجة له مع بيان المعنى الذي يستقيم بلا حذف ولا ادعاء المجاز، والله أعلم.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال البغوي: "فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت ربايعيته^(١) وأوذى بضروب من الأذى؟

قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعدما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: والله يخلصك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم^(٢).

ذكر البغوي ثلاثة أجوبة للتساؤل الذي طرحه، وهو كيف أن الله تعالى وعد الرسول ﷺ بأن يعصمه من الناس، وقد شج رأسه، وكسرت ربايعيته، وأوذى -بأبي هو وأمي- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ وهي:

الجواب الأول: أن العصمة هنا العصمة من القتل فلا يصلون إلى ذلك^(٣). وقد أورد علي هذا الجواب ما ورد أن النبي ﷺ مات من أثر السم الذي أكله عند اليهودية^(٤). وأجاب عن ذلك ابن عثيمين قائلًا: "المراد بقوله تعالى: ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾: حال التبليغ؛ أي بلغ وأنت في حال تبليغك معصوم، ولهذا لم يعتد عليه أحد أبدًا في حال تبليغه، فقتله"^(٥). وقال ابن عطية: "وهذه العصمة التي في الآية هي من المخاوف التي يمكن أن

(١) أخرجه مسلم (١٧٩/٥) باب غزوة أحد من حديث أنس برقم (٤٦٦٨)

(٢) معالم التنزيل (٧٩/٣)

(٣) انظر مدارك التنزيل للنسفي (٤٦١/١)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا بصيغة الجزم من حديث عائشة (١٦١١/٤) باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم (٤١٦٥)، وأخرجه أبو داود في سننه من حديث أم مبشر (٥٦٨/٦) باب فيمن سقى رجلاً سما أو أطعمه فمات برقم (٤٥١٣) وإسناده صحيح كما قاله محققه الأرنؤوط.

(٥) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢٨٤/١)

توقف عن شيء من التبليغ كالقتل، والأسر، والأذى في الجسم، ونحوه" (١).

الجواب الثاني: أن الآية نزلت بعدما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن. لكن هذا الجواب يرد عليه ما ذكره ابن عاشور بأن الوعد بالعصمة من القتل تكرر في مراحل سابقة عن وقت نزول آية المائدة ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقوله ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]؛ فأية المائدة على هذا تثبت للوعد وإدامة له، ودليل صدق لذلك الوعد وتحققه مهما تغيرت ظروف الزمن وتعددت صنوف الأعداء. وهذا ما حصل لرسول الله ﷺ طوال المرحلة المكية والمرحلة المدنية (٢). فالنبي ﷺ قد وعد بالعصمة من قبل هذه الآية. قال أبو حيان: "فأما إن كانت قبله (أي نزول الآية قبل أحد) فلم تتضمن العصمة هذا الابتلاء ونحوه (أي لما كسرت رباعيته وشج رأسه ﷺ) من أذى الكفار بالقول، بل تضمنت العصمة من القتل والأسر، وأما مثل هذه ففيها الابتلاء الذي فيه رفع الدرجات واحتمال كل الأذى دون النفس في ذات الله، وابتلاء الأنبياء أشد، وما أعظم تكليفهم" (٣).

الجواب الثالث: أن المعنى: والله يخصك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم، لأنه نبي الوقت والنبي معصوم (٤). ويرد على هذا الجواب أن الآية وردت في سياق الحفظ كما دل عليه سبب النزول، على خلاف في تعيين السبب؛ فقد قيل: إنها نزلت بسبب أعرابي كان قد همّ بقتل رسول الله ﷺ، فكفاه الله إياه. وقيل: نزلت لأنه كان يخاف قريشاً، فأومن من ذلك (٥).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٢١٨)

(٢) انظر التحرير والتنوير (٦/٢٦٤)

(٣) انظر البحر المحيط في التفسير (٤/٣٢٣)

(٤) انظر الكشف والبيان للثعلبي (٤/٩٣)

(٥) ذكر السببين الطبري، انظر جامع البيان (٨/٥٧٠)

❖ الترجيح:ح:

والذي يظهر أن العصمة هنا المراد بها العصمة من القتل والأسر، وأن الآية نزلت تثبتاً للرسول الله ﷺ فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥]، وسورة الحجر مكية؛ أي نزلت قبل أحد، وقد قال تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧]. قال ابن كثير: "ومن عصمة الله عَزَّجَلَّ لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة. فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً، ثم قبض الله عَزَّجَلَّ له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم - وهي المدينة، فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله، ورد كيده عليه، لما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سم اليهود ذراع تلك الشاة بخير^(١)؛ أعلمه الله به، وحماه الله منه؛ ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها"^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/١٥٤)

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

قال البغوي: -في قوله تعالى-: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ "فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟

قيل: أراد أن الله عزَّ وجلَّ جعل الكعبة قياماً للناس لأنه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ﴾ [المائدة: ٤١]، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقوله ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ راجع إليه (١). (٢)

طرح الإمام البغوي التساؤل بشأن الارتباط بين قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وما قبله من قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ﴾، وأجاب عن ذلك بجوابين:

الجواب الأول: أراد أن الله عزَّ وجلَّ جعل الكعبة قياماً للناس لأنه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السماوات وما في الأرض. وأيد هذا الجواب الطاهر ابن عاشور حيث جعل الكلام الذي قبله بواسطة لام التعليل في قوله "لتعلموا"، وتوسط اسم الإشارة بين الكلامين لزيادة الربط مع التنبيه على تعظيم المشار إليه، وهو الجعل المأخوذ من قوله: جعل الله الكعبة، فتوسط اسم الإشارة هنا شبيه بتوسط ضمير الفصل، فلذلك كان الكلام

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢١١)

(٢) معالم التنزيل (٣/ ١٠٤)

شبيها بالمستأنف، وما هو بمستأنف، لأن ما صدق^(١) اسم الإشارة هو الكلام السابق، ومفاد لام التعليل الربط بالكلام السابق، فلم يكن في هذا الكلام شيء جديد غير التعليل. ثم قال: والتعليل اتصال وليس باستئناف؛ لأن الاستئناف انفصال. وليس في الكلام السابق ما يصلح لأن تتعلق به لام التعليل إلا قوله جعل. وليست الإشارة إلا للجعل المأخوذ من قوله: "جعل". والمعنى: جعل الله الكعبة قياماً للناس لتعلموا أن الله يعلم الخ...، أي أن من الحكمة التي جعل الكعبة قياماً للناس لأجلها أن تعلموا أنه يعلم.^(٢) وقال الرازي: "والمعنى: أنه تعالى لما علم في الأزل أن مقتضى طباع العرب الحرص الشديد على القتل والغارة، وعلم أنه لو دامت بهم هذه الحالة لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون إليه من منافع المعيشة، ولأدى ذلك إلى فنائهم وانقطاعهم بالكلية؛ دبر في ذلك تدبيراً لطيفاً، وهو أنه ألقى في قلوبهم اعتقاداً قوياً في تعظيم البيت الحرام وتعظيم مناسكه، فصار ذلك سبباً لحصول الأمن في البلد الحرام، وفي الشهر الحرام، فلما حصل الأمن في هذا المكان وفي هذا الزمان، قدروا على تحصيل ما يحتاجون إليه في هذا الزمان، وفي هذا المكان، فاستقامت مصالح معاشهم، ومن المعلوم أن مثل هذا التدبير لا يمكن إلا إذا كان تعالى في الأزل عالماً بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات حتى يعلم أن الشر غالب على طباعهم، وأن ذلك يفضي بهم إلى الفناء وانقطاع النسل، وأنه لا يمكن دفع ذلك إلا بهذا الطريق اللطيف، وهو إلقاء الله تعظيم الكعبة في قلوبهم حتى يصير ذلك سبباً لحصول الأمان في بعض الأماكن، وفي بعض الأزمنة، فحينئذ تستقيم مصالح معاشهم في ذلك المكان، وفي ذلك الزمان. وهذا هو بعينه الدليل الذي تمسك به المتكلمون على كونه تعالى عالماً، فإنهم يقولون إن أفعاله محكمة متقنة مطابقة للمصالح، وكل من كان كذلك كان عالماً؛ ومن المعلوم أن إلقاء تعظيم الكعبة في قلوب العرب لأجل أن يصير ذلك سبباً لحصول الأمن في بعض الأماكن، وفي بعض الأزمنة، ليصير ذلك سبباً اقتدارهم على

(١) هكذا في المطبوع ولعله -سبق-

(٢) انظر التحرير والتنوير (٧/٥٩)

تحصيل مصالح المعيشة؛ فعل في غاية الإتقان والإحكام، فيكون ذلك دليلاً قاهراً وبرهاناً باهراً على أن صانع العالم ﷻ عالم بجميع المعلومات، فلا جرم قال ذلك: "لِتَعْلَمُوا" أي ذلك التدبير اللطيف لأجل أن تتفكروا فيه، فتعلموا أنه تدبير لطيف وفعل محكم متقن، فتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ثم إذا عرفتم ذلك عرفتم أن علمه ﷻ صفة قديمة أزلية واجبة الوجود، وما كان كذلك امتنع أن يكون مخصوصاً ببعض دون البعض، فوجب كونه متعلقاً بجميع المعلومات، وإذا كان كذلك، كان الله سبحانه عالماً بجميع المعلومات، فلذلك قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١) فما أحسن هذا الترتيب في هذا التقدير! والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"^(١). وقال ابن قتيبة: "وقولهم: أين قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ﴾^(٢) من قوله: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) [المائدة: ٩٧]؟ وتأويل هذا: أن أهل الجاهلية كانوا يتغاورون ويسفكون الدماء بغير حقها، ويأخذون الأموال بغير حلها، ويخيفون السبل، ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله، ويصيب غير الجاني عليه، ولا يبالي من كان بعد أن يراه كفاً لوليّه ويسمّيه: الثأر المنيم"^(٢). ثم قال: فجعل الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرم، والشهر الحرام، والهدي، والقلائد - قواماً للناس. أي أمناء لهم، فكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحرم فأمن. يقول الله جل وعز: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَيَحْتَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٣) [العنكبوت: ٦٧]."^(٣)

الجواب الثاني: نقل عن الزجاج قوله: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾^(٤) [المائدة: ٤١]، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقوله ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

(١) مفاتيح الغيب (٤ / ٤٤١)

(٢) الثأر المنيم الذي إذا أصابه الطالب رضي به فنام بعده. انظر لسان العرب (٤ / ٩٩)

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥١)

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ راجع إليه. وهو قول الواحدي كما في الوجيز^(١).

وذكر بعض العلماء جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: الإشارة إلى صرف قلوب الناس إلى مكة في الأشهر المعلومة، فيعيش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعاً؛ لعلمه بما في مصالحهم، وليستدلوا على أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض. ذكره أبو حيان^(٢)، وابن الجوزي^(٣).

﴿الترجيح﴾:

ويظهر - والله أعلم - قوة الجواب الأول؛ حيث إن اللام هنا للتعليل، والتعليل اتصال وليس استئنافاً؛ لأن الاستئناف انفصال. وليس في الكلام السابق ما يصلح لأن تتعلق به لام التعليل إلا قوله: "جعل" كما قاله ابن عاشور، فالمعنى: جعل الله الكعبة قياماً للناس لتعلموا أن الله يعلم الخ...؛ أي أن من الحكمة التي جعل الكعبة قياماً للناس لأجلها أن تعلموا أنه يعلم. وقد تحتمل كذلك الوجه الأخرى، فلا يمنع أن تكون الآية تشمل عموم ما سبق من ذكر المغيبات في السورة، أو أن الإشارة إلى صرف قلوب الناس إلى مكة في الأشهر المعلومة، فيعيش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعاً؛ لعلمه بما في مصالحهم، وليستدلوا على أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض.

(١) انظر الوجيز للواحدي (ص: ٣٣٦)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (٤/ ٣٧٤)

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٨٩)

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ...﴾ [المائدة: ١١٦].

قال البغوي: "فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله عزَّ وجلَّ أن عيسى لم يقله؟

قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة، كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعله إعلاماً واستعظاماً لا استخباراً واستفهاماً، وأيضاً أراد الله عزَّ وجلَّ أن يقر عيسى عليه السلام عن نفسه بالعبودية، فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق^(١): وإذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله ثم يقول مجيباً لله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة: ١١٦] تنزيها وتعظيماً لك".^(٢)

طرح البغوي هذا التساؤل وهو ما وجه سؤال عيسى عليه السلام مع علم الله تعالى بأن عيسى لم يأمر بني إسرائيل بعبادته ولا بعبادة أمه؟ ثم أجاب بجوابين:

الجواب الأول: أن ذلك لتوبيخ قومه وتعظيم أمر ما قالوا من تأليه عيسى وأمه عليهما السلام. قال ابن كثير: "وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد".^(٣)

الجواب الثاني: أن الله تعالى أراد أن يقر عيسى عليه السلام عن نفسه بالعبودية. فذكر البغوي حكمتين من سؤال الله تعالى لعيسى ابن مريم. وهذان الجوابان بناهما البغوي على أن السؤال يكون في يوم القيامة. وهذا تفسير قتادة وابن جريج^(٤).

(١) هو أحمد بن محمد بن بكر الهزاني البصري. يروي عن ميمون بن مهران الكاتب، وعبد الله بن شبيب المكي. روى عنه جماعة كثيرة منهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الجندي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ وغيرهما. مات بعد سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة. انظر الأنساب للسمعاني (٥/ ٦٤٠) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/ ٢٨٥)

(٢) معالم التنزيل (٣/ ١٢١-١٢٢)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٣٢)

(٤) رواه عنهما ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٣٣-١٣٤)

وقد اختار ابن جرير القول بأن السؤال حين رفعه الله تعالى، ودلل على قوله بأمرين:

الأول: أن الكلام خبر عما مضى.

الثاني: قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ و﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم أن الله تعالى لا يغفر للمشرك يوم القيامة، فعلى هذا يكون السؤال حين رفعه الله إليه، وليس في يوم القيامة^(١)، وهو قول السدي^(٢)، وبناء على ذلك طرح جوايب غير الذي ذكرهما البغوي وهما:

الجواب الثالث: تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيه، كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا؟ مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له: (أفعلته) على وجه النهي عن فعله والتهديد له فيه^(٣).

الجواب الرابع: إعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده وبدلوا دينهم بعده، فيكون بذلك جامعا لإعلامه حالهم بعده وتحذيره له قبله^(٤).

وقد استظهر ابن كثير القول بأن السؤال حاصل يوم القيامة، بدلالة قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: "والله أعلم، أن ذلك كائن يوم القيامة، ليدل على تهديد النصارى وتقريرهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة"^(٥). وقد رد احتجاج ابن جرير أن السؤال كان حين رفعه الله إليه بقوله: "وهذان الدليلان فيهما نظر؛ لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ الماضي؛ ليدل على الوقوع والثبوت. ومعنى قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية: التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله،

(١) انظر المصدر نفسه (٩/ ١٣٥)

(٢) رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٣٣)

(٣) انظر المصدر نفسه (٩/ ١٣٦)

(٤) انظر المصدر نفسه (٩/ ١٣٦)

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٣٢-٢٣٣)

وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه، كما في نظائر ذلك من الآيات^(١).

❖ الترجيح:ح:

الأقرب هما الجوابان الأول والثاني في تعليل سؤال الله تعالى عيسى بن مريم أمر الناس بعبادته هو وأمه؟ وهما أن السؤال كان لتوبيخ النصارى وتقريعهم لعظم ما قالوا، أو أن الله تعالى أراد أن يقر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن نفسه بالعبودية. والأجوبة الأخرى محتملة، فليس ثمة دليل صحيح يدل على أن السؤال حين رفعه إليه، ولا في أن السؤال يكون يوم القيامة. ولعل ما يؤيد أن السؤال يكون في يوم القيامة هو قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وإن كان السياق من أوله يدل على أنه في الدنيا. والله أعلم.

(١) المصدر نفسه (٣/ ٢٣٢)

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

قال البغوي: "فإن قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار، وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة؟ قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم بعد الإيمان، وهذا يستقيم على قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة لأن الإيمان لا ينفع في القيامة.

وقيل: هذا في فريقين منهم، معناه: إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم، وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

وأما السؤال الثاني: فكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ: "وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم"، وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم. وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره".^(١)

عند هذه الآية طرح البغوي تساؤلين:

التساؤل الأول: كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار؟

وأجاب عنه بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أن المعنى إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم بعد الإيمان، وهذا يستقيم على قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة لأن الإيمان لا

(١) معالم التنزيل (٣/١٢٢-١٢٣)

ينفع في القيامة. وقد سبق الكلام عن هذه المسألة في الموضوع السابق.

الجواب الثاني: هذا في فريقين منهم، معناه: إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم. واستحسن القرطبي هذا القول حيث قال: "وقيل الهاء والميم في "إن تعذبهم"، لمن مات منهم على الكفر، والهاء والميم في "إن تغفر لهم" لمن تاب منهم قبل الموت؛ وهذا حسن".^(١)

الجواب الثالث: ليس هذا على وجه طلب المغفرة، ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده. قال ابن جزري: "إن المعنى تسليم الأمر إلى الله، وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأن الخلق عباده، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع"^(٢).

الترجيح:

الجواب الأول، وهو أن المعنى: إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم بعد الإيمان؛ لا إشكال فيه لو قيل بأن قول عيسى هذا بعد رفعه إلى السماء الدنيا، وإن كان الظاهر أن هذا القول يكون يوم القيامة كما تقدم. والجوابان الثاني والثالث محتملان في الآية، وإن كان الجواب الثالث أظهر حيث لم يحتج فيه إلى التقدير، بل القول أتى على وجه التسليم لأمره والاستجارة من عذابه. والله أعلم

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٧٨)

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٥٢)

التساؤل الثاني: كيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة؟

وأجاب عنه بجوابين:

الجواب الأول: أن فيه تقديماً وتأخيراً وتقديره: إن تغفر لهم فإنهم عبادك، وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم. ورد هذا أبو حيان قائلاً: "وأما قول من ذهب إلى أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: إن تعذبهم فإنك أنت العزيز، وإن تغفر لهم فإنهم عبادك، فليس بشيء، وهو قول من اجترأ على كتاب الله بغير علم".^(١)

الجواب الثاني: أن معنى الآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره. قال ابن جزى: "يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له، كان قوله: فإنك أنت العزيز الحكيم أليق، فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أرادته، فاقضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته، وأيهما فعل فهو جميل لحكمته"^(٢). ونقل ابن جزى عن شيخه أبي جعفر بن الزبير^(٣) قوله: "إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة

(١) البحر المحيط في التفسير (٤/٤٢١)

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٥٢)

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، وله من المؤلفات الذيل على صلة ابن بشكوال وسماء صلة الصلة بالشكوالية، وملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل، وشرح الإشارة للباقي في الأصول، وكتاب الزمان والمكان، وله تعليق على كتاب سيبويه. ولد في جيان وتوفي في غرناطة عام ٧٠٨ هـ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر (١/٩٨) ⇐

لهم. فاقترع على التسليم والتفويض دون الطلب؛ إذ لا تطلب المغفرة للكفار".^(١) وقال ابن القيم: "قوله تعالى: 'وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم' أحسن من أن يقول: 'وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم' أي إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة، وهي كمال القدرة وعن حكمة، وهي كمال العلم؛ فمن غفر عن عجز وجهل بجرم الجاني لا يكون قادراً حكيماً عليهما، بل لا يكون ذلك إلا عجزاً، فأنت لا تغفر إلا عن قدرة تامة، وعلم تام، وحكمة تضع بها الأشياء مواضعها؛ فهذا أحسن من ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضوع الدال ذكره على التعريض بطلب المغفرة في غير حينها، وقد فاتت؛ فإنه لو قال: 'وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم' كان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ما ينزهه عنه منصب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا سيما والموقف موقف عظمة وجلال، وموقف انتقام ممن جعل الله ولداً واتخذها إلهاً من دونه فذكر العزة والحكمة فيه أليق من ذكر الرحمة والمغفرة"^(٢). وقال في موضع آخر: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ولم يقل الغفور الرحيم، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى، فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة بل مقام براءة منهم فلو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لأشعر باستعطافه ربه على أعدائه الذين قد اشتد غضبه عليهم فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على من غضب الرب عليهم فعدل عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم"^(٣).

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

= والأعلام للزركلي (١/٨٦) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/١٣٨)

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٥٢)

(٢) مدارج السالكين (١/٣٦)

(٣) المصدر نفسه (٢/٣٧٩)

الجواب الثالث: نقل ابن جزري عن إمام البلغاء في وقته حازم بن حازم^(١) أنه كان يقف على قوله: "إِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ"، ويجعل "فإنك أنت العزيز" استثناءً، وجواب إن في قوله: "فإنهم عبادك" كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم؛ فإنهم عبادك على كل حال^(٢).

الجواب الرابع: ذكره ابن الأنباري حيث ذكر أن قوله تعالى ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أليق بذكر المغفرة والعذاب، وأما الغفور الرحيم فهو أليق بذكر المغفرة وليس له تعلق بذكر العذاب. قال: "إذ تلخيصه: إن تعذبهم فأنت عزيز حكيم، وإن تغفر لهم فأنت العزيز الحكيم، في الأمرين كلاهما من التعذيب والغفران، فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان؛ لعمومه، وأنه يجمع الشرطين، ولم يصلح الغفور الرحيم أن يحتمل ما احتمله العزيز الحكيم"^(٣).

الترجيح:ح

والأقرب هو الجواب الثاني، وهو أن معنى الآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء، لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا يغفر، وهو لا يخلف خبره، وقد دل السياق على أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال هذا القول في هذا المقام العظيم بين يدي الله تعالى على وجه التسليم لأمره سبحانه، فليس المقام مقام استعطاف، وإلا لقال: "الغفور الرحيم"، لكن المقام مقام عظمة وجلال وانتقام ممن سب

(١) هو حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن: الإمام في النحو والعروض والبيان. من أهل قرطاجنة بشرقي الأندلس تعلم بها وبمرسية وأخذ عن علماء غرناطة وإشبيلية، وتلمذ ل أبي علي الشلوبين ثم هاجر إلى مراكش، ومنها إلى تونس فاشتهر وعمّر. من كتبه (سراج البلغاء) وتوفي بها سنة (٦٨٤هـ). انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ١٠٥)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٥٩).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٥٢)

(٣) انظر البحر المحيط في التفسير (٤/ ٤٢١)

الله تعالى، فنسب الولد له - سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا -، ولذلك لا حاجة إلى التقديم والتأخير، ولا إلى صرف اللفظ عن ظاهره. والجواب الرابع كذلك فيه قوة، والله أعلم.



سورة الأنعام

وفيها ثلاثة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۚ لَا لَهُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

قال البغوي: "فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعاً وقد قال في آية أخرى: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، فكيف وجه الجمع؟ فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى هاهنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله عزَّ وجلَّ مالك الكل ومتولي الأمور. وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع" (١).

أجاب البغوي عن التساؤل الذي طرحه بجوابين، وهما:

الجواب الأول: أن لكلمة "مولى" أكثر من معنى، ففي قوله تعالى: "ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق" يكون معنى "مولى" أي ملك، وأما في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ فهي بمعنى الناصر. وهذا الجواب قال به عامة المفسرين. قال الطاهر ابن عاشور عند قول الله تعالى ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾: "والمولى، هنا: الولي والناصر. والمعنى: أن الله ينصر الذين ينصرون دينه وهم الذين آمنوا، ولا ينصر الذين كفروا به، فأشركوا معه في إلهيته، وإذا كان لا ينصرهم فلا يجدون نصيراً لأنه لا يستطيع أحد أن ينصرهم على الله، فنفي جنس المولى لهم بهذا المعنى من معاني المولى. فقوله: وأن الكافرين لا مولى لهم أفاد شيئين: أن الله لا ينصرهم، وأنه إذا لم ينصرهم فلا ناصر لهم، وأما إثبات المولى للمشركين في قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، فذلك المولى بمعنى آخر، وهو معنى: المالك والرب، فلا تعارض بينهما" (٢). وقال ابن جزى: "لأن معنى المولى مختلف في الموضعين فمعنى مولاهم الحق: ربهم وهذا على العموم في جميع الخلق بخلاف قوله: "مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا"

(١) معالم التنزيل (٣/١٥٢)

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/٨٩)

فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولي والناصر^(١). وفي (لسان العرب):
 "والمَوْلَى الحَلِيفُ، وهو من انضمَّ إليك فعزَّ بعزِّك وأمتنع بمنعتك، قال عامر الخَصْفِي^(٢)
 من بني خَصَفَةَ:

هَمُّ المَوْلَى، وَإِنْ جَنَّفُوا عَلَيْنَا وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمْ لَزُورٌ^(٣)."

وفيه أيضاً: "والوَلَاءُ: المَلِكُ. والمَوْلَى: المالك"^(٤)، وفي (المعجم الوسيط):
 "(المولى) الرب، والمالك، وكل من ولي أمراً"^(٥).

الجواب الثاني: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع^(٦).

ولم أفق على غير هذين الجوابين.

❖ الترجيح: ح:

والأقرب - والله أعلم - هو الجواب الأول، وهو أن معنى كلمة "مولى" في قوله
 تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ﴾^(٦٢) أي ملك، وأما في
 قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٦١) فهي معنى بالناصر لأنه ليس ثمة تناقض بين
 الموضوعين، فالولاية لها أكثر من معنى، والذي يحدد المعنى هو السياق.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٨١)

(٢) هو عامر الخصفي المحاربي: شاعر جاهلي. كانت بينه وبين الحصين بن الحمام المري مساجلة.
 وكانا قبيل ظهور الإسلام. الأعلام للزركلي (٣/٢٥٠)

(٣) لسان العرب (١٥/٤٠٨)

(٤) المصدر نفسه (١٥/٤١٦)

(٥) المعجم الوسيط (٢/١٠٥٨)

(٦) انظر الباب لابن عادل (٨/١٩٧)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

قال البغوي: "فإن قيل: ما معنى قوله: "حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً" والمحرّم هو الشرك لا ترك الشرك؟

قيل: موضع "أن" رفع، معناه: هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب، واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرم عليكم أن تشركوا به، و"لا" صلة كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، أي: منعك أن تسجد. وقيل: تم الكلام عند قوله "حرم ربكم" ثم قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئاً على الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتلى عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا به شيئاً^(١).

طرح البغوي تساؤلاً عن الآية في الجمع بين أن الله تعالى ذكر في أول الآية التحريم، ثم نهي بترك الشرك مع أن المحرم هو ذات الشرك. ثم ذكر عدة أجوبة، وهي:

الجواب الأول: أن "أن" في قوله تعالى "أن لا تشركوا به شيئاً" في موضع رفع فيكون المعنى: هو أتلى ما حرم ربكم عليكم هو ألا تشركوا به شيئاً؛ أي المثلو عليكم ألا تشركوا به شيئاً، أو بمعنى أي ذلك التحريم هو قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٢). وقال ابن عاشور: "و(أن) تفسيرية لفعل: أتلى لأن التلاوة فيها معنى القول. فجملة: ألا تشركوا في موقع عطف بيان"^(٣). وهو اختيار الفراء^(٤)، والزمخشري^(٥). وأوردوا على هذا القول بأنه

(١) معالم التنزيل (٣/٢٠٣)

(٢) انظر مفاتيح الغيب (٥/١٧٧)

(٣) التحرير والتنوير (٨/١٥٧)

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (١/٣٦٤)

(٥) انظر الكشاف للزمخشري (٢/٧٩)

إذا جعلت "أن" مفسرة لفعل التلاوة ، وهو معلق بما حرم ربكم؛ وجب أن يكون ما بعده منهيًا عنه محرماً كله؛ كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي؛ فما تصنع بالأوامر؟ قالوا: لما وردت هذه الأوامر مع النواهي ، وتقدمهن جميعاً فعل التحريم ، واشتركن في الدخول تحت حكمه؛ علم أن التحريم راجع إلى أضرارها ، وهي الإساءة إلى الوالدين ، وبخس الكيل والميزان ، وترك العدل في القول ، ونكث العهد".^(١)

الجواب الثاني: بناه أصحابه على أن "أن" في محل نصب. ثم ذكر عدة معاني:

الأول: حرم ربكم أن تشركوا به شيئاً، و"لا" صلة زائدة، وهذا الأسلوب معروف عند العرب. وقد ورد في القرآن الكريم ما يشبه ذلك كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَتَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، أي: منعك أن تسجد. وتكون (أن) حرف ناصب يؤول مع ما بعده بمصدر في محل نصب بدل من العائد المحذوف^(٢). وضعف أبو حيان هذا القول، إذ قال: "وهذا ضعيف لانحصار عموم المحرم في الإشراك إذ ما بعده من الأمر ليس داخلاً من المحرم و(لا) بعد الأمر مما فيه لا يمكن ادعاء زيادة (لا) فيه لظهور أن (لا) فيها للنهي".^(٣)

الثاني: أن الكلام تم عند قوله تعالى: "حرم ربكم" ثم قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئاً فيكون على الإغراء. أي: الزموا ذلك. وضعف هذا القول الشوكاني^(٤). قال أبو حيان: "وهذا بعيد لتفكيك الكلام عن ظاهره"^(٥).

الثالث: أن المعنى أتل عليكم تحريم الشرك.

(١) انظر المصدر نفسه (٢/ ٧٩)

(٢) انظر مقال جمال القرش في ملتقى التفسير

<https://vb.tafsir.net/tafsir49326/#.W1iCJ9XXLIU>

(٣) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٨٦)

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٠١)

(٥) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٨٦)

الرابع: أن المعنى أوصيكم ألا تشرکوا به شيئاً. ونقل البغوي هذا الوجه والذي قبله عن الزجاج^(١). قال الشنقيطي: الظاهر في قوله: ما حرم ربكم عليكم أنه مضمن معنى ما وصاكم به فعلاً، أو تركاً؛ لأن كلا من ترك الواجب، وفعل الحرام حرام، فالمعنى وصاكم ألا تشرکوا، وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً.^(٢) ورجحه ابن جزى^(٣). قال أبو حيان: "وهذا بعيد لأن الإضمار على خلاف الأصل".^(٤)

❖ الترجيح:

الأقرب - والله أعلم - أن "أن" تفسيرية. وهو اختيار الفراء، والزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان، والشوكاني والشنقيطي وغيرهم. قال أبو حيان: "الظاهر أن (أن) تفسيرية، و(لا) ناهية؛ لأن (أتل) فعل بمعنى القول، وما بعد (أن) جملة، فاجتمع في أن شرطاً التفسيرية وهي أن يتقدمها معنى القول وأن يكون بعدها جملة، وذلك بخلاف أي فإنها حرف تفسير يكون قبلها مفرد وجملة يكون فيها معنى القول وغيرها، وبعدها مفرد وجملة"^(٥).

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٠٤ / ٢)

(٢) أضواء البيان (٥٤٤ / ١)

(٣) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (٢٨٠ / ١)

(٤) البحر المحيط في التفسير (٦٨٦ / ٤)

(٥) المصدر نفسه (٦٨٥ / ٤)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

قال البغوي: "فإن قيل: لم قال: "ثم آتينا" وحرف "ثم" للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟

قيل: معناه ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب، فدخل "ثم" لتأخير الخبر لا لتأخير النزول^(١)."

لم يورد الإمام البغوي في هذا التساؤل غير جواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن "ثم" هنا أتت لترتيب الإخبار، وليس لترتيب النزول. فإنه لما أخبر الله تعالى بالمحرمات التي أنزلها على النبي ﷺ، أخبر بأنه قد أتى موسى الكتاب. قال الرازي: "التقدير: ثم إني أخبركم بعد تعدد المحرمات وغيرها من الأحكام أنا آتينا موسى الكتاب، فذكرت كلمة «ثم» لتأخير الخبر عن الخبر لا لتأخير الواقعة. ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]^(٢)

وقد ذكر العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: أن "ثم" على بابها، وهي للترتيب الرتبي، فإن رتبة إيتاء موسى عليه السلام الكتاب تتأخر عن رتبة تلاوة ما حرم الله في القرآن، وما أمر به من ملازمة صراط الإسلام. وهذا اختيار ابن عاشور، وقال: "إنما يظهر ذلك بعد النظر إلى المقصود من نظم الكلام، فإن المقصود من ذكر إيتاء موسى عليه السلام الكتاب ليس لذاته بل هو التمهيد لقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]^(٣) ليرتب عليه قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٠٥)

(٢) مفاتيح الغيب (٥/ ١٨٦)

(٣) هكذا في المطبوع، ولعله خطأ في رقم الآية المرادة فالظاهر أن المقصود هو الآية التي بعدها رقم (١٥٥) وهي قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ وقد وردت في سورة الأنعام في موضعين، والموضع الثاني للآيات المعنية هنا.

الْكِتَابِ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا
الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدًى وَرَحْمَةً ﴿١٥٦﴾ [الأعام: ١٥٦-١٥٧]،
فمعنى الكلام: وفوق ذلك فهذا كتاب أنزلناه مبارك جمع فيه ما أوتيته موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -
وهو أعظم ما أوتيته الأنبياء من قبله- وما في القرآن؛ الذي هو مصدق لما بين يديه ومهيمن
عليه إن اتبعتموه واتيتموه رحمانكم، ولا معذرة لكم أن تقولوا لو أنزل لنا كتاب لكننا أفضل
اهتداء من أهل الكتابين، فهذا غرض أهم جمعاً لاتباع جميع ما اشتمل عليه القرآن،
وأدخل في إقناع المخاطبين بمزية أخذهم بهذا الكتاب^(١).

الجواب الثالث: أن "ثم" للترتيب الذكري، قال الشنقيطي: "والإتيان بأداة الترتيب
لمجرد الترتيب الذكري فقط، دون إرادة ترتيب الصفات أو الموصوفات أسلوب عربي
معروف جاء في القرآن في مواضع، وهو كثير في كلام العرب^(٢)". ومثل بقول الله تعالى:
﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩]؛ حيث قال في هذا الموضع من سورة
البقرة: "لفظة «ثم» للترتيب الذكري بمعنى عطف جملة على جملة، وترتيبها عليها في
مطلق الذكر، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد: ١٣-١٧]،
وقول الشاعر:

إِنْ مِنْ سَادِ ثَمِّ سَادِ أَبِيهِ ثَمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُهُ^(٣)^(٤)

الجواب الرابع: أن "ثم" أتت للترتيب على بابها، والعطف على قوله تعالى
﴿ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ ﴾ [الأعام: ١٥١]، وهو اختيار الزمخشري حيث قال: "فإن قلت: علام عطف
قوله: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ [الأعام: ١٥٤] قلت: على ﴿ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ ﴾. فإن قلت: كيف

(١) التحرير والتنوير (١٧٥-١٧٦)

(٢) أضواء البيان (٦/٣٠٤)

(٣) البيت لأبي نواس الحمداني. انظر خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (١١/٤٠)

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/٩٠)

صح عطفه عليه بثم - والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل -؟ قلت: هذه التوصية قديمة، لم تنزل توصاهما كل أمة على لسان نبيهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، فكأنه قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً^(١).

الجواب الخامس: أن "ثم" على بابها، وأن التقدير: ثم قل بعد ذلك يا محمد: أتى ربك موسى الكتاب. فترك ذكر (قل)، إذ كان قد تقدم في أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها، وذلك قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، فقص ما حرم عليهم وأحل، ثم قال: ثم قل: آتينا موسى، فحذف (قل) لدلالة قوله: (قل) عليه، وأنه مراد في الكلام. وإنما قلنا ذلك مراد في الكلام؛ لأن محمداً صلوات الله عليه لا شك أنه بعث بعد موسى بدهر طويل، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه، ومعلوم أن موسى أتى الكتاب من قبل أمر الله محمداً بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه، و(ثم) في كلام العرب حرف يدل على أنه ما بعده من الكلام والخبر بعد الذي قبلها. ذكره الطبري^(٢). وهو اختيار ابن عطية^(٣) والثعلبي^(٤). واستدرك على هذا الجواب ابن كثير حيث قال بعد أن أورد كلام ابن جرير: "قلت: وفي هذا نظر، و(ثم) هاهنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر، لا للترتيب هاهنا"^(٥).

الجواب السادس: وهو قول الأنباري أن الذي بعد «ثم» مقدم على الذي قبلها في النية، والتقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد صلوات الله عليه^(٦).

(١) الكشاف للزمخشري (٢/ ٨٠)

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٩/ ٦٧٣)

(٣) انظر المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٤)

(٤) انظر الكشاف والبيان عن تفسير القرآن (٤/ ٢٠٥)

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٦٨)

(٦) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٩٣)

الجواب السابع: أن العطف هنا على معنى التلاوة، فالمعنى: أتل ما حرم ربكم، ثم أتل عليكم ما آتاه الله موسى. قاله الزجاج.^(١)

الجواب الثامن: أن "ثم" بمعنى الواو؛ أي وآتينا موسى الكتاب، لأنهما حرفا عطف.^(٢) قال الجصاص^(٣): "وهذا كقوله ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [يونس: ٤٦] ومعناه: والله شهيد وكقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧] ومعناه: وكان من الذين آمنوا".^(٤) وهذا القول هو الذي اختاره أبو حيان حيث قال بعد أن أورد الأقوال: "وهذه الأقوال كلها متكلفة، والذي ينبغي أن يذهب إليه أنها استعملت للعطف كالواو من غير اعتبار مهلة، وقد ذهب إلى ذلك بعض النحاة".^(٥)

❖ الترجيح:

لعل الجواب الثامن، وهو أن "ثم" بمعنى الواو هو الأقرب؛ حيث إنه لا داعي إلى التقدير، ولا التكلف في توجيه المعنى كما ذكره أبو حيان، خصوصاً وأن "ثم" تأتي بمعنى الواو كما تقدم في الأمثلة المذكورة. والله أعلم.

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٠٦/٢)

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٣/٧)

(٣) هو أحمد بن علي، أبو بكر الرازي، المعروف بالجصاص، ولد سنة خمس وثلاثمائة، وسكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة الحنفية. وسئل العمل بالقضاء فامتنع، تفقه على أبي الحسن الكرخي وتخرج به، وكان على طريقة من الزهد والورع، وخرج إلى نيسابور ثم عاد، توفي سنة (٥٣٧٠هـ). انظر تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ٩٦)، والأعلام للزركلي (١/١٧١)

(٤) أحكام القرآن للجصاص (١٩٧/٤)

(٥) البحر المحيط في التفسير (٦٩٣/٤)

سورة الأعراف

وفيها عشرة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الأعراف: ٤-٥].

قال البغوي: "فإن قيل: ما معنى أهلكتها فجاءها بأسنا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟"

قيل: معنى قوله: "أهلكتها" أي: حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا. وقيل: فجاءها بأسنا هو بيان قوله: "أهلكتها" مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلا من الآخر.^(١)

ذكر الإمام البغوي جوابين في هذا الموضع، وهما:

الجواب الأول: أن معنى قوله تعالى: "أهلكتها" أي حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا، فيكون في الآية تقدير "حكمنا".^(٢)

الجواب الثاني: فجاءها بأسنا هو بيان قوله "أهلكتها" مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلا من الآخر. فقد حكى الفراء أنه إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدمت أيهما شئت؛ فيكون المعنى: وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها؛ مثل دنا فقرب، وقرب فدنا، وشتمني فأساء، وأساء فشتمني؛ لأن الإساءة والشتم شيء واحد.^(٣) وصرح هذا التوجيه ابن جرير.^(٤)

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

- (١) معالم التنزيل (٣/ ٢١٤)
- (٢) انظر مفاتيح الغيب (٥/ ١٩٩)
- (٣) انظر معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٦٢)
- (٤) انظر جامع البيان للطبري (١٠/ ٥٩)

الجواب الثالث: أن التقدير: كم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا، فيكون المراد بقوله تعالى: "أهلكناها" أي أردنا إهلاكها نظير قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وهو اختيار الزمخشري.^(١)

الجواب الرابع: ذكره الرازي، قال: "أنه لو قال: وكم من قرية أهلكناها فجاءهم إهلاكنا لم يكن السؤال وارداً، فكذا هاهنا لأنه تعالى عبر عن ذلك الإهلاك بلفظ البأس. فإن قالوا: السؤال باق لأن الفاء في قوله: "فجاءها بأسنا" فاء التعقيب، وهو يوجب المغايرة. فنقول: الفاء قد تجيء بمعنى التفسير كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه»^(٢)، فالفاء في قوله فيغسل للتفسير لأن غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه، فكذلك هاهنا البأس جار مجرى التفسير لذلك الإهلاك؛ لأن الإهلاك قد يكون بالموت المعتاد، وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم، فكان ذكر البأس تفسيراً لذلك الإهلاك".^(٣)

الجواب الخامس: أن "الفاء" بمعنى الواو فلا يلزم الترتيب، ذكره القرطبي^(٤). وضعف هذا الجواب ابن عطية^(٥)، ورده كذلك ابن جرير فقال: "وهذا قول لا معنى له؛ إذ كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو في الكلام، فصرفها إلى الأغلب

(١) انظر الكشاف (٨٧/٢)

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. لكن ورد من حديث رفاعة بن رافع أن النبي ﷺ قال: "إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يُسبغ الوضوء كما أمر الله تعالى، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين..". رواه أبو داود في سننه (١٤٤/٢) باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع برقم (٨٥٨) والنسائي في سننه (٢٢٥/٢) باب الرخصة في ترك الذكر في السجود برقم (١١٣٦)، وإسناده صحيح.

(٣) مفاتيح الغيب (١٩٩/٥)

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٢/٧)

(٥) انظر المحرر الوجيز (٣٧٣/٢)

من معناها عندهم ما وجد إلى ذلك سبيل أولى من صرفها إلى غيره^(١)."

الجواب السادس: إن الفاء لترتيب القول فقط، فكأنه أخبر عن قرئ كثيرة أنه أهلكتها ثم قال فكان من أمرها مجيء البأس^(٢). وأجاز الفراء إضمار كان^(٣). قالوا: كما أضمر في قوله: واتبعوا ما تتلوا الشياطين، أي: ما كانت الشياطين تتلوه، وقوله تعالى: إن يسرق، أي: إن يكن سرق^(٤). لكن ابن جرير رد هذا الجواب حيث قال: "وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل، ولا من خبر يجب التسليم له، وإذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التي يجب التسليم لها كان بينا فساده"^(٥).

الجواب السابع: أن المعنى أهلكتها بالخذلان وقلة التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك^(٦). وضح هذا التوجيه مع الجواب الثاني ابن جرير حيث قال هنا: "فمعنى إهلاك الله إياها: خذلانه لها عن طاعته، ويكون مجيء بأس الله إياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم"^(٧).

الجواب الثامن: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] أي: رافعك ومتوفيك، وهذا الجواب والذي قبله ذكرهما ابن الأنباري^(٨).

(١) جامع البيان لابن جرير (٦٠ / ١٠)

(٢) انظر المحرر الوجيز (٣٧٣ / ٢)

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٣٧١ / ١)

(٤) انظر زاد المسير في علم التفسير (١٠٢ / ٢)

(٥) جامع البيان لابن جرير (٦٠ / ١٠)

(٦) انظر المحرر الوجيز (٣٧٣ / ٢)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٥ / ٣)

(٧) جامع البيان لابن جرير (٥٩ / ١٠)

(٨) انظر زاد المسير في علم التفسير (١٠٢ / ٢)

❖ الترجيح:ح:

إن الجواب الثاني، وهو أن قوله تعالى: "فجاءها بأسنا" هو بيان لقوله تعالى: "أهلكناها"، والجواب السابع، وهو أن المعنى؛ أهلكناها بالخذلان وقلة التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك، هما أقرب الأقوال إلى الصواب، كما ذكر ابن جرير، وكذلك الجواب الرابع الذي ذكره الرازي، وهو أن "الفاء" هنا مفسرة لمعنى الإهلاك. أما بقية الأقوال فهي تحتاج إلى تقدير، أو صرفها عن ظاهرها بالتقديم والتأخير، أو بصرف معنى "الفاء" عن معناه الغالب بلا حاجة. والله أعلم.



الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال: "من ثقلت موازينه" ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد؟

قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد كقوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم، ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل جمعه لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها".^(١)

طرح الإمام البغوي تساؤلاً بخصوص ورود الميزان في الآية بلفظ الجمع مع أنه واحد، ثم ذكر عدة أجوبة عن ذلك وهي:

الجواب الأول: أن الميزان واحد، وأن إتيانه بلفظ الجمع جائز لغة، واستشهد بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]، والمقصود بالرسول هنا هو عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فذكره الله تعالى بلفظ الجمع مع أنه واحد، وهكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، وقد قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبُوءَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣] مع أنه رسول واحد، والعرب تقول: خرج فلان إلى مكة على البغال، وخرج إلى البصرة في السفن^(٢). وهو اختيار ابن الجوزي حيث قال: "فإن قيل: إذا كان الميزان واحداً، فما المعنى بذكر الموازين؟ فالجواب: أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة، سميت موازين"^(٣). ويؤيد هذا القول ما جاء في السنة في بيان أن الميزان واحد كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن،

(١) معالم التنزيل (٣/٢١٦)

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٦٦)

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٣/١٩٢)

خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" (١). قال ابن كثير: الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه. (٢)

الجواب الثاني: أن لكل عبد ميزان، ولهذا ورد بلفظ الجمع. قال ابن عاشور: وهو ظاهر صيغة الجمع في هذه الآية وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) فهو في عَيْشِكِ رَاضِيَةٌ (٧) [القارة: ٦-٧]. (٣)

الجواب الثالث: أن الأصل ميزان واحد عظيم، ولكل عبد ميزان يعلق به. الجواب الرابع: أنه ميزان واحد، لكنه يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان (٤)، ولا يتم الوزن إلا باجتماعهما، فيكون اللفظ جمعاً باعتبار مجموع هذه الأشياء. وقد ذكر غيره من العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الخامس: أن الموازين متعددة وتعددتها بحسب الأعمال، فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان آخر. وهو قول الرازي، ويرى بأن ظاهر اللفظ يدل على تعدد الميزان؛ ولذا لا ينبغي صرفه عن ظاهره إلا بموجب، ولا موجب هنا للصرف عن الظاهر (٥). وهو اختيار الشنقيطي حيث قال: "فظاهر القرآن يدل على أن للعامل الواحد موازين يوزن بكل واحد منها صنف من

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. صحيح البخاري (٢٣٥٢/٥) باب فضل التسبيح برقم (٦٠٤٣)، صحيح مسلم (٧٠/٨) باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٦٩٤٥)

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٥/٥)

(٣) التحرير والتنوير (٨٢/١٧)

(٤) أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧/١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: "الميزان له لسان وكفتان يوزن فيه الحسنات".

(٥) انظر مفاتيح الغيب (٢٠٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٦/٧)

أعماله، كما قال الشاعر:

مَلِكٌ تَقُومُ الْحَادِثَاتُ لِعَدْلِهِ فَلِكُلِّ حَادِثَةٍ لَهَا مِيزَانٌ^(١)

والقاعدة المقررة في الأصول: أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه".^(٢)

الجواب السادس: أن المراد بالموازن هنا الأعمال الموزونة، فتكون جمع موزون أشار إليه الزجاج^(٣). ورده الشوكاني^(٤)، وكذلك الرازي حيث ذكر أنه مخالف لظاهر النص^(٥).

❖ الترجيح:ح:

والأظهر - والله أعلم - قول الجمهور أن الميزان واحد، وقد صح إطلاق الجمع على المفرد في الوحي، وفي لغة العرب، كما تقدم؛ ولذلك القول بأن ذلك صرف للفظ عن ظاهره فيه نظر، ولا يبعد أن يكون التعدد باعتبار الموزون، فقد ثبت في السنة وزن الأعمال كما في حديث "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"^(٦)، وثبت وزن الأشخاص كما في قوله ﷺ عن ساقى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد"^(٧)، ووزن

(١) لم أجده منسوباً لأحد. وذكره كذلك القرطبي في تفسيره (١٦٦/٧)

(٢) أضواء البيان (١٥٩/٤)

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٩/٢)

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني (٢١٧/٢)

(٥) انظر مفاتيح الغيب (٢٠٣/٥)

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٩/٧) وفي إسناده عاصم بن أبي النجود. قال عنه ابن معين والنسائي: لا بأس به، وقال عنه الدارقطني: في حفظه شيء. انظر تهذيب التهذيب (٣٩/٥)، قال ابن

صحائف الأعمال كما في حديث البطاقة، الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي علي رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر شيئاً من هذا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل ويقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، قال: فلا يثقل اسم الله شيء»^(١).



= حجر: صدوق له أوهام. تقريب التهذيب (ص: ٢٨٥) وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٣٥٧) خرج له الشيخان لكن مقرونا بغيره. وله شاهد عند الإمام أحمد كذلك من حديث علي بن أبي طالب، ورجال الإسناد رجال الشيخين، غير أم موسى الراوية عن علي بن أبي طالب. قال ابن حجر: قال الدارقطني: حديثها مستقيم، يخرج حديثها اعتباراً، قلت: وقال العجلي كوفية تابعة ثقة. تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٨١)

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٣٢١) وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه كذلك ابن حبان في صحيحه (١/ ٤٦٢)، والحاكم في المستدرک (١/ ٤٦)، وقال: صحيح علي شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟"

قيل: قاله ظنا فأصاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] (١)

لم يذكر الإمام البغوي غير جواب واحد على التساؤل الذي طرحه، وهو:

الجواب الأول: أن إبليس قال "ولا تجد أكثرهم شاكرين" بناء على ظنه، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد (٢)، وهو اختيار الطبري (٣)، وابن كثير (٤)، والقرطبي حيث قال: "فظن أن تبعه أكثر من تبع آدم، لما وضع في يديه من سلطان الشهوات، ووضعت الشهوات في أجواف الأدميين، فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في أعينهم تلك الشهوات، ومدهم إليها بالأمان والخدائع، فصدق عليهم الذي ظنه، والله أعلم" (٥).

وقد ذكر غيره أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: أنه قرأ من اللوح المحفوظ. ذكره السمعاني (٦). قال الرازي: "قال بعض العلماء: كان قد رآه في اللوح المحفوظ فقال له على سبيل القطع واليقين" (٧).

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢١٨)

(٢) رواه عنهم ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٢٧٠)

(٣) انظر المصدر نفسه (١٩/ ٢٦٩)

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٩٥)

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٢٩٣)

(٦) انظر تفسير السمعاني (٢/ ١٧٠)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٨)

(٧) مفاتيح الغيب (٥/ ٢١٥)

الجواب الثالث: إنه سمع ذلك من الملائكة فقال له^(١). ولعله من قولهم: ﴿أَتَجَعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]^(٢).

الجواب الرابع: أنه استفاده من قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

الجواب الخامس: أنه علم ذلك من إغواء آدم، وذريته أضعف منه. ذكرهما أبو حيان^(٣).

الجواب السادس: أن القوي في ابن آدم تسعة عشر قوة، وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة، والشهوة والغضب، وسبع سابقة وهي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة والقاذفة والنامية والمولدة، وكلها تدعو إلى عالم الجسم إلى اللذات البدنية، والعقل قوة واحدة تدعو إلى عبادة الله وتلك في أول الخلق، والعقل إذ ذاك ضعيف^(٤). قال الرازي: "لا سيما وتلك القوى التسعة عشر تكون في أول الخلقة قوية ويكون العقل ضعيفا جدا وهي بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة، فلما كان الأمر كذلك، لزم القطع بأن أكثر الخلق يكونون طالبين لهذه اللذات الجسمانية معرضين عن معرفة الحق ومحبه فلهذا السبب قال: ﴿وَلَا تَحِدُوا أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٥)".

الترجيح:

والذي يظهر - والله أعلم - هو قوة الجواب الأول، وهو أن إبليس قال "ولا تجد أكثرهم شاكرين" بناء على ظنه، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾

(١) انظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢١٩/٣)، وفتح القدير للشوكاني (٢١٩/٢)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (٢٣/٥)

(٣) انظر المصدر نفسه (٢٣/٥)

(٤) انظر البحر المحيط في التفسير (٢٣/٥)

(٥) مفاتيح الغيب (٢١٥/٥)

إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ [سبأ: ٢٠]، وأما الأجوبة الأخرى فلم تستند على دليل يمكن الاعتماد عليه.



الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما هلكوا بالرجفة؟"

قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلتي بدر حين ألقاهم في القلب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون^(١) وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم. وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولّى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة^(٢).

طرح الإمام البغوي هذا التساؤل عن كيفية مخاطبة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه بعد ما هلكوا بالرجفة، وأجاب بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أنه خاطبهم كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلتي بدر حين ألقاهم في القلب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم. وهذا قول قتادة حيث أخرج أبو حاتم عنه أنه قال عند هذه الآية: "إن نبي الله صالحاً أسمع قومه كما والله أسمع محمداً ﷺ قومه"^(٣). فقوله هذا لهم من باب التقرير والتوبيخ، وهذا اختيار ابن كثير^(٤).

(١) متفق عليه من حديث أنس. البخاري (٤/١٤٦١) باب قتل أبي جهل، برقم (٣٧٥٧). مسلم (٨/١٦٣)، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، برقم (٧٣٢٤).

(٢) معالم التنزيل (٣/٢٤٨)

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٥١٧)

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٤٤)

الجواب الثاني: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم.

الجواب الثالث: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولّى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة. فيكون قوله هذا قبل موتهم، واستظهره القرطبي، ولم يشر إلى التقديم والتأخير. واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾^(١). وذكر لهم ابن عادل ثلاثة أوجه:

الأول: قوله لهم "يا قوم"، والأموات لا يوصفون بالقوم؛ لاشتقاق لفظ القوم من القيام، وهو مفقود في حق الميت.

والثاني: أن هذه الكلمات خطاب معهم، وخطاب الميت لا يجوز.

والثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾^(٢) يقتضي كونهم بحيث تصح حصول المحبة فيهم.

لكنه أجاب عن هذه الأوجه بقوله: بأنه قد يقول الرجل لصاحبه الميت، وقد كان نصحه فلم يقبل النصيحة، حتى ألقى نفسه في الهلاك: يا أخي منذ كم نصحتك فلم تقبل، وكمن منعتك فلم تمتنع، فكذا هاهنا^(٣).

وأجاب غيره من العلماء بأجوبة أخرى؛ وهي:

الجواب الرابع: أنه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت، وكان قد نصحه حيناً فلم يسمع منه، حتى ألقى بنفسه في التهلكة: يا أخي، كم نصحتك، وكم قلت لك؛ فلم تقبل مني.^(٣)

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٢/٧)

(٢) انظر اللباب لابن عادل (٢٠٢/٩)

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (١٢٤/٢)، وفتح القدير للشوكاني (٢٥١/٢)

الترجيح:

والذي يظهر - والله أعلم - أن الجواب الأول هو الأقوى فهو كقول النبي ﷺ لكفار قريش في يوم بدر، وهو اختيار ابن كثير، ولا يمنع ذلك من أن يكون فيه عبرة لمن خلفهم كما في الجواب الثاني. والجواب الرابع كذلك تحتمله الآية فهو كما قال ابن عادل: إن فائدة قوله هذا وهم أموات: إما لأن يسمعه الحي فيعتبر به، وينزجر عن مثل تلك الطريقة، وإما لإحراق قلبه بسبب تلك الواقعة، فإذا ذكر ذلك الكلام فرجت تلك القضية من قلبه^(١). وأما الجواب الثالث ففيه القول بتقديم وتأخير بلا حاجة، وهو خلاف الأصل في الكلام.

(١) الباب لابن عادل (٢٠٢ / ٩)

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوْرُوا
عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ﴾.. الآية ﴿[الأعراف: ٨٥].

قال البغوي: "فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: "قد جاءتكم بينة من ربكم" ولم تكن لهم آية؟

قيل: قد كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات المذكورة في القرآن، وقيل: أراد بالبينه مجيء شعيب^(١)."

في هذا الموضع أجاب الإمام البغوي بجوابين للتساؤل الذي طرحه، وهو أن شعيباً لم يكن له آية، فما معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ﴾؟ والجوابان هما:

الجواب الأول: أنه قد كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات المذكورة في القرآن. وقد قال بهذا القول عامة المفسرين. ومما يدل على أنه لا بد لكل نبي آية ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثلها آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»^(٢). وقال أبو حيان: "قرأ الحسن^(٣) (آية من ربكم)، وهذا دليل على أنه جاء بالمعجزة^(٤)."

(١) معالم التنزيل (٣/٢٥٦)

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة. صحيح البخاري (٤/١٩٠٥) باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، برقم (٤٦٩٦)، صحيح مسلم (١/٩٢) باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، برقم (٣٠٢).

(٣) انظر معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب (٣/١٠٣).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٥/١٠٤)

الجواب الثاني: أن المراد بالبيئة مجيء شعيب. قال القاسمي: "قال بعضهم: عني بالبيئة مجيء شعيب، وأنه لم تكن له آية إلا النبوة"^(١). فيكون معنى البيئة هنا الموعدة^(٢). وأنكر هذا القول الزجاج^(٣)، ويدل على بطلان القول بأنه لم تكن له آية إلا النبوة الحديث السابق، وإنما لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا ﷺ فيه. وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: أن المراد بالبيئة هنا الحجة، ورجح ذلك الطاهر ابن عاشور حيث قال: "والأظهر عندي أن يكون المراد بالبيئة حجة أقامها على بطلان ما هم عليه من الشرك وسوء الفعل، وعجزوا عن مجادلته فيها، فقامت عليهم الحجة مثل المجادلة التي حكيت في سورة هود، فتكون البيئة أطلقت على ما يبين صدق الدعوى، لا على خصوص خارق العادة"^(٤). فيكون على هذا ليس تسأول الإمام البغوي محلاً للاستشكال. قال القاسمي: "ولا يخفى أن البيئة أعم من المعجزة بعرفهم، فكل من أبطلت شبهة ضلاله، وأظهرت له حجة الحق الذي يدعى إليه فقد جاءته البيئة؛ لأن حقيقة البيئة كل ما يبين الحق"^(٥).

الجواب الرابع: أن يكون أراد بالبيئة ما أشار إليه بقوله: فاصبروا حتى يحكم الله بيننا؛ أي يكون أنذرهم بعذاب يحل بهم إن لم يؤمنوا، كما قال في الآية الأخرى ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، فيكون التعبير بالماضي في

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٥/١٤٦)، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٢٤٨)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (٥/١٠٤)

(٣) انظر معاني القرآن (٢/٣٥٣-٣٥٤)

(٤) التحرير والتنوير (٨/٢٤١)

(٥) محاسن التأويل (٥/١٤٦)

قوله: قد جاء تكم مراداً به المستقبل القريب، تنبيهاً على تحقيق وقوعه^(١).

الجواب الخامس: أن يكون عرض عليهم أن يظهر لهم آية؛ أي معجزة ليؤمنوا، فلم يسألوها وبادروا بالتكذيب، فيكون المعنى مثل ما حكاه الله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَدْ جِئْنَاكُمْ بَيْنَةً مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ^(١٠٦) [الأعراف: ١٠٥-١٠٦]، فيكون معنى: قد جاء تكم قد أعدت لأن تجيئكم إذا كنتم تؤمنون عند مجيئها^(٢).

❖ الترجيح:ح:

ويظهر - والله أعلم - أن النبي شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت له معجزة إلا أنها لم تذكر، كما أنه لم تذكر كثير من المعجزات في القرآن الكريم. ويظهر كذلك وجهة الجواب الثالث الذي ذكره ابن عاشور بأن معنى البينة الحجة لكن يشكل عليه قراءة الحسن البصري "قد جاء تكم آية من ربكم"، والذي تدل على أن المراد بالبينة في الآية المعجزة.

(١) انظر التحرير والتنوير (٨ / ٢٤١)

(٢) انظر المصدر نفسه (٨ / ٢٤١)

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

قال البغوي: "ما معنى قوله: "أو لتعودن في ملتنا"، وما يكون لنا أن نعود فيها"،
ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا؟

قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها، وقيل: معناه إن
صرنا في ملتكم. ومعنى عاد: صار. وقيل: أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فآمنوا،
فأجاب شعيب عنهم".^(١)

طرح الإمام البغوي التساؤل هنا عن معنى قول قوم شعيب له: "أو لتعودن في ملتنا"
مع أن شعيباً لم يكن على ملتهم، وأجاب بثلاثة أجوبة، وهي:

الجواب الأول: أن المعنى أو لتدخلن في ملتنا. قال أصحاب هذا القول: أن العود
يطلق، ويراد به الابتداء. وأنشدوا قول الشاعر: وعاد الرأس مني كالثغام^(٢). فيكون معنى
الآية: لتدخلن في ملتنا، وقوله تعالى: "إِنْ عُدْنَا" أي دخلنا^(٣).

الجواب الثاني: أن معنى عدنا أي صرنا. وقال بذلك القاضي عياض^(٤) في كتابه

(١) تفسير البغوي (٣/ ٢٥٨)

(٢) انظر تاج العروس لمرتضى الزبيدي (٨/ ٤٣٢)، ولم أجد البيت منسوباً لأحد.

(٣) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٤٩)

(٤) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض العلامة عالم المغرب أبو الفضل
اليحصبي السبتي الحافظ. تفقه وصنف التصانيف التي سارت بها الركبان كالشفاء وطبقات المالكية
وشرح مسلم والمشارك في الغريب وشرح حديث أم زرع والتاريخ وغير ذلك، وبعد صيته وكان إمام
أهل الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وولي
قضاء سبته ثم غرناطة مات ليلة الجمعة سنة (٥٤٤هـ) بمراكش. انظر تاريخ الإسلام للذهبي
(١١/ ٨٦٠) وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٤٧٠)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول
(٢/ ٤٣٢).

الشفاء^(١)، وذكره النحاس^(٢). وقال أصحاب هذا الجواب: إن هذا معروف من لغة العرب، فقد تأتي (عاد) بمعنى صار. قال ابن عطية: "وعاد: تجيء في كلام العرب على وجهين. أحدهما عاد الشيء إلى حال قد كان فيها قبل ذلك، وهي على هذه الجهة لا تتعدى فإن عدت فبحرف، ومنه قول الشاعر:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة^(٣)

الوجه الثاني: أن تكون بمعنى صار وعاملة عملها، ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة. ومن هذه قول الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا بماء فعادا بعد أبوالا^(٤)

ثم قال: على أن هذه محتملة، فقوله في الآية "أو لتعودن" وشعيب عليه السلام لم يكن قط كافراً يقتضي أنها بمعنى صار وأما في جهة المؤمنين بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه شعيب^(٥). وهذا جمع من ابن عطية بين الجوابين الثاني والثالث الآتي.

الجواب الثالث: أن المخاطب بذلك هم المؤمنون من قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فآمنوا، فأجاب شعيب عنهم. وقد ذكر هذا الجواب النحاس^(٦)، واختاره البيضاوي^(٧)، والنسفي^(١)، وابن كثير^(٢). قال الزمخشري: "لما قالوا لنخرجنك يا شعيب

(١) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١١٢/٢)

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٥٤/٣)

(٣) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. مجمع الأمثال للنيسابوري (١٤٧/١)

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت. نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٧١/٣). والمعنى: أي صار الآن اللبن، كأن لم تكن قط بولا. والقعب: القدح من الخشب.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٢٧/٢)

(٦) انظر معاني القرآن للنحاس (٥٤/٣)

(٧) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٤/٣)

والذين آمنوا معك، فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: لتعودنّ، فغلبوا الجماعة على الواحد، فجعلوهم عائدين جميعاً، إجراء للكلام على حكم التغليب. وعلى ذلك أجرى شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ جوابه فقال: إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها، وهو يريد عود قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب" (٣).

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الرابع: أنهم جعلوا موافقة شعيب إياهم على الكفر عوداً لأنهم يحسبون شعيباً كان على دينهم، حيث لم يكونوا يعلمون منه ما يخالف ذلك، فهم يحسبونه، موافقاً لهم من قبل أن يدعو إلى ما دعا إليه (٤). وأما ما صدر عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من قوله "عدنا" فقد كان على طريق المشاكلة (٥).

الجواب الخامس: ذكره القاسمي حيث قال: "أن العود المقابل للخروج، هو العود إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها. والجار والمجرور حال. أي ليكن منكم الخروج من قرينتنا، أو العود إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها، داخلين في ملتنا" (٦).

الجواب السادس: ذكره القاسمي كذلك حيث قال: "إن العود المذكور إلى ما خرج منه، وهو القرية.. أي ليكن منكم الخروج من قرينتنا، أو العود إليها، كائنين في ملتنا.

(١) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٥٨٦)

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٤٨)

(٣) الكشف للزمخشري (٢/١٢٩)

(٤) انظر التحرير والتنوير (٩/٦)

(٥) انظر الكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٦١)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٥/١٤٩)

(٦) محاسن التأويل (٥/١٤٩)

وعدي (عاد) ب (في) كأن الملة لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم^(١).

❖ الترجيح: ح:

الذي يظهر - والله أعلم - قوة الأجوبة التي ذكرها الإمام البغوي؛ إضافة إلى الجواب الرابع، وهو أن الآية محتملة لأن يكون معنى (لتعودن) أي لتدخلن أو لتصيرون، ويحتمل أن يكون الخطاب لمن آمن من قوم شعيب، وذكر عود شعيب من باب تغليب الجماعة على الواحد. وبقية الأجوبة لا تخلو من تكلف.



(١) المصدر نفسه (٥/١٤٩)

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٠٧)

[الأعراف: ١٠٧].

قال البغوي: "فإن قيل: أليس قال في موضع: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠] والجان الحية

الصغيرة؟

قيل: إنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة".^(١)

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً، في الجمع بين قوله تعالى: "فإذا هي ثعبان مبين"،

وقوله تعالى: "كأنها جان"، وهو:

الجواب الأول: أنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة.

وقد قال الزجاج: "هذا مما يدل على عظم الآفة، وذلك أن خلقها خلق الثعبان واهتزازها

وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته"^(٢). وذكره ابن كثير^(٣)، وابن أبي زمنين^(٤)،

وأبو حيان، وقال: "وجاء: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ [طه: ٢٠] ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]

وهذا إخبار من الله بانقلابها وتغيير أوصافها وأعراضها، وليس إعداما لذاتها وخلقها لحية

وثعبان، بل ذلك من تغيير الصفات لا تغيير الذات. وهنا شبهها حالة اهتزازها بالجان،

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٦٢)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٨٨)

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٧٩)

(٤) انظر تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣/ ٢٩٤). وابن أبي زمنين هو محمد بن عبد الله بن عيسى

المري، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زمنين: فقيه مالكي، كان من الراسخين في العلم، وأجل أهل

وقته قدرا في العلم والرواية، والحفظ للرأي والتمييز للحديث وكان واعظاً أديباً. من أهل البصرة. سكن

قرطبة، ثم عاد إلى البصرة، فتوفي بها، سئل: لم قيل لكم بنو أبي زمنين؟ فقال: لا أدري. له كتب كثيرة في

الفقه والمواعظ. توفي سنة (٥٣٩٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٨٨)، وطبقات المفسرين

لداودي (٢/ ١٦٥)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٧)

فقليل: وهو صغار الحيات، شبهها بها في سرعة اضطرابها وحركتها، مع عظم جثتها^(١). وقال الزركشي في الأسباب الموهمة الاختلاف: "وللاختلاف أسباب؛ الأول وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى كقوله تعالى في خلق آدم إنه "من تراب"، ومرة "من حمأ مسنون"، ومرة "من طين لازب"، ومرة "من صلصال كالفخار"، وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال. ومنه قوله تعالى: "فإذا هي ثعبان مبين"، وفي موضع "تهتز كأنها جان"، والجان الصغير من الحيات، والثعبان الكبير منها، وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته"^(٢).

وقد ذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: أن وصفها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثعبان إخبار عن انتهاء حالها^(٣).

الجواب الثالث: يحتمل أنه شبهها بالشیطان لقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]. ذكره الرازي^(٤)، ولم أفهم على أحد قال بأن المراد بالجان هنا الشيطان.

❖ الترجيح:

والأقرب - والله أعلم - هو الجواب الأول، وهو أنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة، وكذلك الجواب الثاني أن وصفها بالجان عبارة عن

(١) البحر المحيط في التفسير (٢١٣ / ٨)

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٥٤ / ٢)

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١٥٦ / ٣) ومفاتيح الغيب للرازي (٥٠١ / ٨)

(٤) انظر مفاتيح الغيب (٥٠١ / ٨)

ابتداءً حالها، وبالثعبان إخبار عن انتهاء حالها. وقد أوردهما كثير من المفسرين في كتبهم، حيث ذكرهما الزمخشري فقال: "وأما الثعبان والجان فيبينهما تناف؛ لأنَّ الثعبان العظيم من الحيات، والجان الدقيق. وفي ذلك وجهان: أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتورم ويزايد جرمها حتى تصير ثعباناً، فأريد بالجان أول حالها، وبالثعبان مآلها. الثاني: أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان"^(١).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/٥٨)

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ... الآية﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا؟ قال الحسن: هاج به الشوق، فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية ظناً منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا"^(١).

أجاب الإمام البغوي عن تساؤله هنا بجوابين، وهما:

الجواب الأول: أن سبب سؤال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اللهُ تعالى رؤيته، مع علمه بأنه تعالى لا يرى في الدنيا، هو هيجان الشوق في نفس موسى. قال السدي: "إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه"^(٢) وقال الربيع، في قوله: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢]: "حدثني من لقي أصحاب النبي ﷺ أنه قرب به الرب حتى سمع صريف القلم، فقال عند ذلك من الشوق إليه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]"^(٣). وقال أبو بكر الهذلي^(٤): "لما تخلف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله اشتاق إلى النظر إليه، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]"^(٥). قال القرطبي: "قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٧٥)

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤١٩)

(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٤١٩)

(٤) هو سلمى بن عبد الله بن سلمى أبو بكر الهذلي البصري، كان في صحابة أبي جعفر المنصور. وحدث عن محمد بن سيرين، والحسن البصري، وعكرمة مولى ابن عباس، وعامر الشعبي، وابن شهاب الزهري، وغيرهم. ولم يرتض حديث كثير من العلماء. وقال الخطيب البغدادي: وكان أبو بكر من العلماء بأخبار الناس وأيامهم، وحكي عن أبي العباس السفاح أنه كان يقول: ما رأيت أحداً أغزر علماً من أبي بكر الهذلي. قيل أنه توفي سنة (١٦٧هـ) وقيل سنة (١٥٩هـ). انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ٣٠٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٣/ ١٦٠) تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٥٥٦)

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤١٩)

سأل النظر إليه؛ واشتاق إلى رؤيته لما أسمعته كلامه".^(١)

الجواب الثاني: أنه سأل ذلك ظنا منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا. نقل أبو حيان عن الربيع أنه قال: "لم يعهد إليه في الرؤية فظن أن السؤال في هذا الوقت جائز"^(٢). وقال الشنقيطي: "وقد بينا مرارا أن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة عقلا في الدنيا والآخرة. ولو كانت ممنوعة عقلا في الدنيا لما قال نبي الله موسى: رب أرني أنظر إليك؛ لأنه لا يجهل المحال في حق خالقه تعالى، وأنها ممنوعة شرعا في الدنيا ثابتة الوقوع في الآخرة"^(٣). وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الآية، ليس بجواب من سأل محالا، وقد قال تبارك وتعالى لنوح: ﴿فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]، فلو سأل موسى محالا لكان في الكلام زجر ما وتبيين"^(٤).

الترجيح:ح:

الأقرب - والله أعلم - أنه ليس ثمة منافاة بين الجوابين، فسبب سؤال موسى الرؤية هو هيجان الشوق، وعدم معرفته بأن ذلك ممنوع شرعا قبل أن يخبره الله تعالى بذلك، ورؤية الله تعالى جائزة عقلا كما ذكره الشنقيطي، ولولا ذلك لما سأل موسى الله تعالى ذلك، ومما يدل على أن موسى لم يكن يعلم بامتناعها شرعا أنه سأل الله تعالى ذلك، والأنبياء لا يسألون الله تعالى ما يعلمون أنه ممنوع شرعا.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٢٧٨)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (٥/١٦٢)

(٣) أضواء البيان (٥/٢١٥)

(٤) المحرر الوجيز (٢/٤٥٠)

الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْؤُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي
وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال البغوي: "فإن قيل: فما معنى قوله: "اصطفيتك على الناس برسالاتي" وقد
أعطي غيره الرسالة؟

قيل: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله: "اصطفيتك
على الناس" وإن شاركه فيه غيره، كما يقول الرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره
إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً".^(١)

أجاب الإمام البغوي بجواب واحد عن التساؤل الذي طرحه، وهو:

الجواب الأول: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله:
"اصطفيتك على الناس" وإن شاركه فيه غيره. وضرب لذلك مثالا بقول الرجل:
خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره. فهو عموم يراد به الخصوص. وذكر هذا الجواب
ابن جزي ولم يذكر غيره^(٢)، وذكره ابن عطية، وصحح كذلك الجواب الثالث كما سيأتي.^(٣)

وقد أجاب غيره من العلماء بأجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: ذكره ابن كثير^(٤)؛ حيث جعل المراد باصطفاء موسى في الآية خاصاً
بأهل زمانه، فهو من قبيل العام المراد به الخصوص، كالسابق لكنه مخصوص
بأهل زمانه. وذكره كذلك النسفي^(٥)، والقرطبي^(٦). قال ابن عاشور: "والمراد بالناس:

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٧٩)

(٢) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٠١)

(٣) انظر المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٢)

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٧٧) و(٧/ ٢٥٦)

(٥) انظر مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٦٠٣)

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢٨٠)

جميع الناس، أي الموجودين في زمنه، فالاستغراق في ﴿النَّاسِ﴾ عرفي أي هو مفضل على الناس يومئذ لأنه رسول".^(١)

الجواب الثالث: أنه تعالى بين أنه خصه من دون الناس بمجموع الأمرين وهو الرسالة مع الكلام بغير واسطة، وهذا المجموع ما حصل لغيره.^(٢) وأشار إلى هذا المعنى ابن القيم حيث قال: "وأيضاً فإن الله سبحانه قال لموسى إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فلو كان التكليم الذي حصل له تكليماً ما كان مشاركاً لسائر الأنبياء فيه فلم يكن لتخصيصه بالكلام معنى".^(٣) قال ابن عطية: "ويصح أن يكون قوله: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ عموماً مطلقاً في مجموع الدرجتين: الرسالة والكلام."^(٤)

الترجيح:

يظهر أن الأجوبة الثلاثة تحتملها الآية، فاصطفاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يعني عدم اصطفاء غيره، قال تعالى عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧]. فاصطفاء الرسل يكون على عامة الخلق، وكذلك اصطفاء موسى كان على قومه المرسل إليهم، وأما اصطفاؤه بالرسالة والكلام فهذا لم يشركه معه غيره من الرسل. والله أعلم.

(١) التحرير والتنوير (٢٧٨/٨)

(٢) انظر مفاتيح الغيب (٣٥٩/٥)

(٣) بدائع الفوائد (٣١٢/٢)

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٥٢/٢)

الموضع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

عند هذه الآية طرح الإمام البغوي تساؤلين:

الأول: قال البغوي فيه: "فإن قيل: ما معنى قوله: "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم" وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟

قيل: إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره".^(١)

طرح الإمام البغوي جواباً واحداً على التساؤل الذي طرحه وهو الجواب الأول:

الجواب الأول: أن المراد أنه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعضهم على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم بذكر بنيه لأنهم كلهم بنوه، وأخرجوا من ظهره. وقال به ابن الجوزي^(٢). وقال ابن القيم: "ف قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقوله ﷻ: "أن الله مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته"^(٣) معنى واحد في الأصل إلا أن قوله مسح ظهر آدم زيادة في الخبر عن الله

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٩٩)

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٦٧)

(٣) رواه أبو داود في سننه (٧/ ٨٩) في كتاب السنة باب في القدر برقم (٤٧٠٣) ورواه الترمذي في سننه (١١٦/٥) في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب من سورة الأعراف برقم (٣٠٧٥)، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩٩) في مسند عمر بن الخطاب برقم (٣١١). قال الترمذي: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً. انتهى، وقد ورد تسمية هذا الراوي في سنن أبي داود (٧/ ٩١)، وهو نعيم بن ربيعة. قال ابن كثير: الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حاله ولم يعرفه، فإنه غير

عَزَّجَلَّ، ومسحه عَزَّجَلَّ ظهر آدم واستخراج ذريته من مسح لظهور ذريته، واستخراج ذرياتهم من ظهورهم كما ذكر تعالى لأننا قد علمنا أن جميع ذرية آدم لم يكونوا من صلبه لكن لما كان الطبقة الأول من صلبه ثم الثاني من صلب الأول ثم الثالث من صلب الثاني جاز أن ينسب ذلك كله إلى ظهر آدم لأنهم فرعه وهو أصلهم، وكما جاز أن يكون ما ذكر الله عَزَّجَلَّ أنه استخرجه من ظهور ذرية آدم من ظهر آدم جاز أن يكون ما ذكر انه استخرجه من ظهر آدم من ظهور ذريته إذ الأصل والفرع شيء واحد^(١). ورجح هذا القول الشنقيطي^(٢). واستدل من قال بهذا الجواب بما ورد عن عمر بن الخطاب، وعن ابن عباس كذلك، فعند أبي داود عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب، سئل عن هذه الآية، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: إن الله عَزَّجَلَّ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم

= معروف إلا في هذا الحديث، وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيرا من المرفوعات، ويقطع كثيرا من الموصولات، والله أعلم. انتهى فالحديث فيه علتان: الأولى: جهالة مسلم بن يسار حيث لم يوثقه غير العجلي وابن حبان ولم يرو عنه غير عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. والعلة الثانية: جهالة نعيم بن ربيعة الواسطة بين عمر ومسلم بن ياسر. فالإسناد هذا ضعيف، والله أعلم. وقال ابن عبد البر في "التمهيد" (٦/٤-٥): هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد؛ لأن مسلم بن يسار هذا لم يلتق عمر بن الخطاب. ثم قال: وزيادة من زاد فيه نعيم بن ربيعة ليست حجة؛ لأن الذي لم يذكره أحفظ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن. وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم، ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب وغيره جماعة يطول ذكرهم. قال الأرئوط في تخريجه للمسند (١/٤٠٠): صحيح لغيره.

(١) الروح (٢/٤٩٨)

(٢) انظر أضواء البيان (٢/٤٣)

العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله عزَّجَلَّ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار. (١)

وأما أثر ابن عباس فقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] (٢)، وقد أعله البعض بوقفه على ابن عباس (٣)، لكنه من قبيل مما لا يقال بالرأي، فلعل له حكم الرفع.

وقد ذكر بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثاني: ذكر ابن عطية أن بعض العلماء يرى أن الآية تشير إلى التناسل في الدنيا (٤)، وقال: "إن الآية مشيرة إلى هذا التناسل الذي في الدنيا، و"أخذ" بمعنى: أوجد على المعهود، وأن الإشهاد هو عند بلوغ المكلف وهو قد أعطي الفهم، ونصبت له هذه الصنعة الدالة على الصانع، ونحا إلى هذا المعنى الزجاج (٥)، وهو معنى تحتمله الألفاظ" (٦).

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٧٢) في مسنده، وجعله ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣) موقوفاً على ابن عباس.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٠١-٥٠٢): وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن عليّة ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قوله، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت، والله أعلم. انتهى

(٤) ذكر هذا القول الشنقيطي كذلك. انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٢)

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٩٠)

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٧٥). وذكر هذا القول الشنقيطي كذلك. انظر أضواء

الترجيح: ح:

والأظهر - والله أعلم - قوة الجواب الأول وهو أن المراد أنه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعضهم على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم بذكر بنيه لأنهم كلهم بنوه، وأخرجوا من ظهره، فهو يجمع بين ما ورد في الآية وما ورد في السنة عن عمر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأما التساؤل الثاني، فقال البغوي فيه:

"فإن قيل: كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟

قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته، وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد، ولزمته الحجة، ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة"^(١).

وهذا الجواب ذكره غيره من المفسرين فقد قال ابن الجوزي: "قال المفسرون: وهذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار: إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي ﷺ الصادق. وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج به قائم"^(٢). وقال ابن تيمية: "قالوا: وكيف يخاطب الله عَزَّجَلَّ من لا يعقل؟ وكيف يجيب من لا عقل له؟ أم كيف يحتج عليه بميثاق لا يذكرونه؟ أم كيف يؤخذون بما قد نسوه ولم يذكروه، ولا يذكر أحد أن ذلك عرض له أو كان منه؟ قالوا: وإنما أراد الله بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

= البيان (٤٢/٢)

(١) معالم التنزيل (٣/٣٠٠)

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/١٦٨)

ذُرِّيَّتَهُمْ ﴿١﴾ إخراجهم إياهم في الدنيا وخلقه لهم وإقامة الحجة عليهم بأن فطرهم ونبأهم فطرة: إذا بلغوا وعقلوا علموا أن الله ربهم".^(١) وقال ابن القيم: "ولما كانت هذه آية الأعراف في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والإشهاد العام لجميع المكلفين ممن أقر بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك وهو ميثاق وإشهاد تقوم به عليهم الحجة، وينقطع به العذر، وتحل به العقوبة ويستحق بمخالفته الإهلاك؛ فلا بد أن يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك ما فطرهم عليه من الإقرار بربوبيته، وأنه ربهم وفاطرهم وأنهم مخلوقين مربوبون، ثم أرسل إليهم رسله يذكرونهم مما في فطرهم وعقولهم، ويعرفونهم حقه عليهم وأمره ونهيه ووعده ووعيده".^(٢) وقال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]: "المعنى أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد، ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان؛ إحداهما: كنا غافلين، والأخرى: كنا أتباعاً لأسلافنا، فكيف نهلك والذنب إنما هو لمن طرق لنا وأضلنا؟ ف وقعت الشهادة لتقطع عنهم الحجج، وقرأ أبو عمرو: "أن يقولوا"، بالياء على الغيبة، وباقي السبعة بالتاء على الخطاب. قوله تعالى: ﴿أَفَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ هذا من تمام القول الثاني؛ أي: كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك، وتقدمهم فيه، وتركه سنة لنا، والمعنى أنه تعالى أزال عنهم الاحتجاج بتركيب العقول فيهم وتذكيرهم ببعثة الرسل إليهم، فقطع بذلك أعذارهم".^(٣)

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٤/ ٣٢٢)

(٢) الروح (٢/ ٤٨٩)

(٣) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٢٠)

سورة الأنفال

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٤].

قال البغوي: "فإن قيل: أي معنى في تكرار هذه الآية؟

قيل: المهاجرون كانوا على طبقات: فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى، وهم الذي هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية، وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، ومن الثانية الهجرة الثانية".^(١)

يجيب الإمام البغوي عن معنى تكرار قوله تعالى: "الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا" في الآيات الأخيرة من سورة الأنفال بجواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن المراد بالآية الأولى الذين هاجروا قبل صلح الحديبية، والمراد بالآية الثانية الذين هاجروا بعده قبل فتح مكة، فلا يكون ثمة تكرار في المعنى. وهو نفس جواب السمعاني.^(٢)

وأجاب غيره من العلماء بجواب آخر وهو:

الجواب الثاني: أن الآية الأولى وردت لبيان ولاية بعضهم لبعض، والآية الثانية

(١) معالم التنزيل (٣/٣٨٠)

(٢) انظر تفسير السمعاني (٢/٢٨٣)

وردت للثناء عليهم، والشهادة لهم بصدق الإيمان مع وعدهم بالجزاء. وقد ذكر هذا الجواب الزمخشري^(١) وأبو حيان^(٢) والشوكاني^(٣) وابن عاشور^(٤) وابن سعدي^(٥). قال الرازي مبيناً هذا الجواب بالتفصيل: "واعلم أن هذا ليس بتكرار وذلك لأنه تعالى ذكرهم أولاً ليبين حكمهم، وهو ولاية بعضهم بعضاً، ثم إنه تعالى ذكرهم هاهنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم، وبيانه من وجهين:

الأول: أن الإعادة تدل على مزيد الاهتمام بحالهم وذلك يدل على الشرف التعظيم.

والثاني: وهو أنه تعالى أثنى عليهم هاهنا من ثلاثة أوجه:

أولها: قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فقوله: "أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ" يفيد الحصر وقوله: "حَقًّا" يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين محققين في طريق الدين، والأمر في الحقيقة كذلك؛ لأن من لم يكن محققاً في دينه لم يتحمل ترك الأديان السالفة، ولم يفارق الأهل والوطن ولم يبذل النفس والمال ولم يكن في هذه الأحوال من المتسارعين المتسابقين.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿هُم مَغْفِرَةٌ﴾ وتنكير لفظ المغفرة يدل على الكمال، كما أن التنكير في قوله: ﴿وَلَنَجِدَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] يدل على كمال تلك الحياة، والمعنى: لهم مغفرة تامة كاملة عن جميع الذنوب والتبعات.

وثالثها: قوله: ﴿وَرَزَقٌ كَرِيمٌ﴾، والمراد منه الثواب الرفيع الشريف. والحاصل: أنه تعالى شرح حالهم في الدنيا وفي الآخرة، أما في الدنيا فقد وصفهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ

(١) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٤٠)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٥٩)

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٧٦)

(٤) انظر التحرير والتنوير (١٠/ ٨٩)

(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٨)

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿١﴾، وأما في الآخرة فالمقصود إما دفع العقاب، وإما جلب الثواب، أما دفع العقاب فهو المراد بقوله: "لَهُمْ مَغْفِرَةٌ"، وأما جلب الثواب فهو المراد بقوله: ﴿وَرَزَقٌ كَرِيمٌ﴾. وهذه السعادات العالية إنما حصلت لأنهم أعرضوا عن اللذات الجسمانية، فتركوا الأهل والوطن وبذلوا النفس والمال، وذلك تنبيه على أنه لا طريق إلى تحصيل السعادات إلا بالإعراض عن هذه الجسمانيات" (١).

الترجيح:

ويظهر - والله أعلم - قوة الجواب الثاني، وهو أن الآية الأولى وردت لبيان ولاية بعضهم لبعض، والآية الثانية وردت للثناء عليهم والشهادة لهم بصدق الإيمان مع وعدمهم بالجزاء؛ حيث إن هذه الصفات وردت في سياق مختلف، فتحمل على السياق الذي وردت فيه، وأما تخصيص كل آية بصنف من المهاجرين فيحتاج إلى دليل مخصص.

(١) مفاتيح الغيب (٥/٥١٩)

سورة التوبة

وفيها ثمانية مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].

قال الإمام البغوي: "فإن قال قائل: كيف بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم عزله وبعث علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قلنا: ذكر العلماء أن رسول الله لم يعزل أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان هو الأمير، وإنما بعث علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لينادي بهذه الآيات، وكان السبب فيه: أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها؛ أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم، أو رجل من رهطه، فبعث علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إزاحة للعلة؛ لئلا يقولوا: هذا خلاف ما نعرفه فينا في نقض العهد".^(١)

هنا ذكر البغوي جواباً واحداً عن التساؤل الذي طرحه، وهو ما ذكره العلماء بأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان هو الأمير ولم يعزل، وأما علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكانت مهمته المناداة بالآيات التي نزلت على رسول الله ﷺ جرياً على العرف الذي تعارفت عليه العرب، أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم، أو رجل من رهطه.

وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل^(٢) في زوائده على المسند أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت عشر آيات من "براءة" على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر، فبعثه بها ليقراها على أهل مكة، ثم دعاني فقال: "أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم". فلحقته بالصحفة، فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، نزل في شيء؟ فقال: "لا ولكن جبريل جاءني فقال:

(١) معالم التنزيل (٤/ ١١)

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن: الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد. قال ابن المنادي: لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه. له "الزوائد" على كتاب الزهد لأبيه، و"زوائد المسند" زاد به علي مسند أبيه نحو عشرة آلاف حديث. توفي سنة (٢٩٠هـ). انظر تاريخ بغداد للبغدادي (١١/ ١٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٥١٦)، والأعلام للزركلي (٤/ ٦٥)

لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك" ^(١). قال ابن كثير: "هذا إسناد فيه ضعف" ^(٢). وقال ابن إسحاق: "لما نزلت براءة علي رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله، لو بعثت بها إلى أبي بكر؟ فقال: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي». ثم دعا علي بن أبي طالب فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته. فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله ﷺ «العضباء» حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور. ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية.

حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس: إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى ما منهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة، إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما علي رسول الله ﷺ. ^(٣) فتبين هنا أنه لم يتم عزل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولم أقف على غير هذا الجواب. والله أعلم.

- (١) مسند الإمام أحمد (٤٢٧/٢) في مسند علي بن أبي طالب برقم (١٢٩٧). وفي إسناده محمد بن جابر الحنفي، قال عنه البخاري ليس بالقوي يتكلمون فيه روى مناكير وقال أبو داود ليس بشيء وقال النسائي ضعيف. انظر تهذيب التهذيب (٨٩/٩) وفيه كذلك حنش وهو ابن المعتمر الكناني، قال عنه ابن حبان: وكان كثير الوهم في الأخبار ينفرد عن علي بأشياء لا تشبه حديث الثقات حتى صار ممن لا يحتج بحديثهم. انظر تهذيب التهذيب (٥٩/٣)
- (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٥/٤)
- (٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤/١٩٠).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

قال البغوي: "فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحرم، والله تعالى يقول: "فإذا أنسلخ الأشهر الحرم"؟

قيل: لما كان هذا القدر متصلاً بما مضى أطلق عليه اسم الجمع، ومعناه: مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلخ الأشهر الحرم".^(١)

ذكر الإمام البغوي هذا الجواب بناء على أن المراد بالأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، والنداء كان في العاشر من ذي الحجة، فيكون المتبقي من المدة المضروبة للمشركين خمسون يوماً، وهذا القول مروى عن ابن عباس وقتادة والضحاك^(٢)، واختاره ابن جرير^(٣). فيكون على هذا التفسير بأن ذكر الأشهر الحرم، مع أن المتبقي منها خمسون يوماً؛ نظراً لارتباط هذه الأيام بما مضى منها، وهذا هو الجواب الأول. وذكر بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن المراد بالأشهر الحرم هي الأربعة الأشهر التي التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها، ووصفت بالحرم لأنها محرم فيها القتال، وهو قول السدي ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد^(٤)، وهو اختيار أبي حيان^(٥)، والزمخشري^(٦) وابن تيمية^(٧) وتلميذه

(١) معالم التنزيل (٤/١٣)

(٢) أخرج الآثار عنهم ابن جرير في تفسيره (١١/٣٠٦)

(٣) انظر جامع البيان (١١/٣١٨)

(٤) أخرج الآثار عنهم ابن جرير في تفسيره (١١/٣٠٨)

(٥) انظر البحر المحيط في التفسير (٥/٣٧١)

(٦) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/٢٤٣)

(٧) انظر الصفدية (٢/٣٢٠)

ابن القيم^(١). قال ابن القيم: "قال شيخنا: ومن جعل هذه هي تلك فقولهُ خطأ، وذلك أن هذه قد بينها رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح بأنها «ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»^(٢) وهذه ليست متوالية فلا يقال فيها: "فإذا انسلخت" فإن الثلاثة إذا انسلخت بقي رجب، فإذا انسلخ رجب بقي ثلاثة أشهر، ثم يأتي الحرم، فليس جعل هذا انسلاخاً بأولئ من ذلك، ولا يقال لمثل هذا: (انسليخ) إنما يستعمل هذا في الزمن المتصل"^(٣). وعلى هذا التفسير لا يرد تساؤل الإمام البغوي رَحْمَةُ اللَّهِ.

الترجيح: ح

الأقرب - والله أعلم - هو الجواب الثاني، وهو اختيار أبي حيان، والزمخشري، وابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، فالمراد بالأشهر الحرم هنا التي أبيع للناكثين فيها أن يسيحوا في الأرض؛ وذلك لأن لفظة انسليخ تكون للزمن المتصل، وليست لأشهر منفصلة كما هو الحال في الأشهر الحرم، وإطلاق لفظة الحرم عليها لأنه محرم فيها القتال.^(٤)

(١) زاد المعاد (٣/١٤٣)، وانظر كذلك أحكام أهل الذمة (٢/٨٧٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١١٦٨) من حديث أبي بكر. كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، برقم (٣٠٢٥).

(٣) أحكام أهل الذمة (٢/٨٧٩)

(٤) انظر البحر المحيط في التفسير (٥/٣٧١)

الموضع الثالث: عند قوله تعالى ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

قال البغوي: "فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾؟"

قيل: أراد بالفسق: نقض العهد، وكان في المشركين من وفى بعهده، وأكثرهم نقضوا، فلهذا قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١).

يطرح الإمام البغوي تساؤلاً، وهو كيف أن الله تعالى قال عن المشركين "وأكثرهم فاسقون" مع أن كلهم فاسقون؟ وأجاب بجواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن المراد بالفسق هنا هو نقض العهد، فيكون المعنى معنى خاص بهذا النقض، وليس بمعنى الفسق العام الذي منه الشرك؛ حيث إن هناك من المشركين من وفى بعهده. وهو جواب كثير من المفسرين فقد ذكره الطبري^(٢) والزمخشري^(٣) والنسفي^(٤) والبيضاوي^(٥) والقرطبي^(٦) وابن عاشور^(٧) وغيرهم. قال أبو حيان: "لأن منهم من له حفظ لمراعاة الحال الحسنة من التعفف عما يثلم العرض، ويجرأ حدوثه السوء، وأكثرهم خبثاً الأنفس خريجون في الشر لا مروءة تردعهم، ولا طباع مرضية تزعمهم، لا يحترزون عن كذب ولا مكر ولا خديعة، ومن كان بهذا الوصف كان مذموماً عند الناس في جميع الأديان، ألا ترى إلى أهل الجاهلية وهم كفار كيف يمدحون أنفسهم بالعفاف

(١) معالم التنزيل (١٦/٤)

(٢) انظر جامع البيان (٣٥٩/١١)

(٣) انظر الكشاف (٢٥٠/٢)

(٤) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٦٦/١)

(٥) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٧٢/٣)

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٠/٨)

(٧) انظر التحرير والتنوير (١٢٤/١٠)

وبالصدق وبالوفاء بالعهد وبالأخلاق الحسنة".^(١)

الجواب الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾^(٨) لإخراج من قضى الله له بالإيمان. ونقل الرازي أن ابن عباس قال: "لا يبعد أن يكون بعض أولئك الكفار قد أسلم، وتاب، فلهذا السبب قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾^(٨). ليخرج عن هذا الحكم، أولئك الذين أسلموا".^(٢) وذكر هذا الجواب كذلك ابن عطية^(٣)، وأبو حيان^(٤).

الجواب الثالث: أن المراد بالأكثر هنا الكل، ذكره ابن عطية، وقال عنه وعن الجواب السابق: "كل ذلك محتمل".^(٥) وقد ذكر بعض أهل اللغة أن "بعض" تأتي بمعنى "كل" واستشهدوا بقول لبيد^(٦):

تَرَاكَ أَمَكِنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَها

أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُها^{(٧)(٨)}

(١) البحر المحيط في التفسير (٣٧٨ / ٥)

(٢) ذكر أثر ابن عباس الرازي في مفاتيح الغيب (٥ / ٥٣٣)، وتبعه ابن عادل في اللباب (١٠ / ٣٠) ولم أجده.

(٣) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٠)

(٤) البحر المحيط في التفسير (٣٧٨ / ٥)

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٠)

(٦) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، وكان فارساً شجاعاً شاعراً سخياً، قال الشعر في الجاهلية دهراً، ثم أسلم، وترك الشعر، ولما كتب عمر إلى عامله بالكوفة: سل لبيداً والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام، فقال لبيد: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران، فزاد عمر في عطائه. لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، قيل: هو "ما عاتب المرء الكريم كنفسه *** والمرء يصلحه الجليس الصالح" وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات. توفي سنة (٥٤١هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٢ / ٤٣٦)، والإصابة لابن حجر (٥ / ٥٠٠)، والأعلام للزركلي (٥ / ٢٤٠).

(٧) قال ابن منظور: الحمام، بالكسر: قضاء الموت وقدره. لسان العرب (١٢ / ١٥١)

(٨) البيت للبيد بن ربيعة ذكره في معلقته. انظر ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ١١٣)

قاله أبو عبيدة. ^(١) ورد ذلك ابن سيده ^(٢) حيث قال: "لا دليل في هذا البيت، لأنه إنما عنى ببعض النفوس نفسه". ^(٣) ورده كذلك الأزهري. ^(٤)

الترجيح:

والأقرب - والله أعلم - أن الأجوبة الثلاثة كلها تحتملها الآية، فإن أريد بالفسق الكفر يكون المراد بالأكثر الكل، وإن أريد به نقض العهد - وهو ما يدل عليه سياق الآيات - فتكون الأكثر على ظاهرها، لأن من العرب من يفى بعهده ولو كان مشركاً، وإن أريد بذكر الأكثر إخراج من قضى الله له بالإيمان؛ فتكون الأكثر على ظاهرها، ويكون معنى الفسق هو الكفر.

(١) انظر جمهرة اللغة لابن دريد (١/١٦٢)

(٢) هو علي بن إسماعيل المرسي، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس)، وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريراً، كذلك أبوه، واشتغل بنظم الشعر مدة. توفي سنة (٥٤٥٨هـ). انظر وفيات الأعيان (٣/٣٣٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١٤٤)، والأعلام للزركلي (٤/٢٦٣)

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١/٤١٤)

(٤) انظر تهذيب اللغة (١/٣١٠)

الموضع الرابع: قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال البغوي: "فإن قيل: أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر؟

قيل: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيماناً بالله".^(١)

الجواب الأول: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله؛ لا يكون ذلك إيماناً بالله. قال الزجاج: "ومعناها: لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين، لأنهم أقروا بأنه خالقهم وأنه له ولد، وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون"^(٢). وقال الماوردي^(٣): "إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه، وهم لا يقرون بها، فكانوا كمن لا يقربه"^(٤). وقال ابن كثير: "فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد، صلوات الله عليه؛

(١) معالم التنزيل (٤/٣٣)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٤٤١)

(٣) هو علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: أفضى قضاء عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل "أفضى القضاء" في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللا أو يزيل خلافاً. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد سنة (٤٥٠). انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٥٨٧)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٦٤)، والأعلام للزركلي (٤/٣٢٧).

(٤) النكت والعيون (٢/٣٥٠)

لأن جميع الأنبياء الأقدمين بشرى به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به، وهو أشرف الرسل؛ علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء".^(١) وقال الجصاص: "يحتمل أن يكون المراد أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر على الوجه الذي يجرى حكم الله فيه من تخليد أهل الكتاب في النار، وتخليد المؤمنين في الجنة، فلما كانوا غير مؤمنين بذلك أطلق القول فيهم بأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر ومراده حكم يوم الآخر وقضاؤه فيه كما تقول أهل الكتاب غير مؤمنين بالنبى، والمراد بنبوة النبي ﷺ".^(٢) وقال ابن تيمية: "فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله ولا باليوم الآخر وعمل صالحاً".^(٣) يذكر الدكتور سعود الخلف معتقد اليهود والنصارى في اليوم الآخر فيقول: "فاليهود انحرفوا عن هذا الاعتقاد بانحرافهم عن دين الله عزَّجَلَّ، وقد سجَّلَ الله عليهم هذه الانحرافات، وعابهم عليها، وكذبهم فيها، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ قُلُوبُهُمْ غَيَّرْنَا مِنْكُمْ قَلِيلًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٨٠] وزعموا أن الجنة لهم وحدهم، وكذبهم الله بذلك قال عزَّجَلَّ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] هذا ما حكاه الله عزَّجَلَّ عن صالحهم وفاسقيهم من ناحية الإيمان بالبعث والجنة والنار.

أما كتابهم التوراة فقد خلا تماماً من ذكر الجنة والنار، والبعث والنشور، وكذلك سائر الكتب الملحقة فيه إلا نزرأ يسيراً، فمن ذلك صورة غير واضحة وردت في (سفر دانيال) (١٢ / ٢) وهو قولهم: (وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدى).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ / ١٣٢)

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤ / ٢٨٢)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣ / ١٢٤)

ويذكر الدكتور (علي وافي): "أنه لا يوجد في فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر، وفرقة الصادوقيين تنكر قيام الأموات، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم.

وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض؛ ليشتروا في ملك المسيح الذي يأتي آخر الزمان، فهم ينكرون على هذا البعث يوم القيامة." (١)

ومن نظر أدنى نظرة في كتاب اليهود (التوراة) والكتب الملحقة بها يجد أن الوعود الواردة فيه مقابل الأعمال الصالحة والإيمان بالله تدور حول المتعة الدنيوية من انتصار على الأعداء، وكثرة الأولاد، ونماء الزرع، إلى غير ذلك، كذلك الوعيد الوارد على المعاصي والكفر، كله يدور حول انتصار الأعداء عليهم وسبي ذراريهم، وموت زرعهم وماشيتهم إلى غير ذلك من العقوبات الدنيوية، مما يدل على عدم إيمانهم باليوم الآخر حسب التوراة والكتب الملحقة بها.

وهذا يختلف عما لديهم في التلمود؛ حيث صرّحوا بالنعيم والجحيم، فقد ورد فيه: أن الجنة مأوى الأرواح الزكية لا يدخلها إلا اليهود، والجحيم مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء؛ لما فيه من الظلام والعفونة والطين، وأن الجحيم أوسع من النعيم ستين مرة.

كما ورد في نص الأصول الثلاثة عشر التي وضعها موسى بن ميمون، وجعلها أركان الإيمان اليهودي؛ قولهم في الركن الثالث عشر: (أنا أوّمن إيماناً كاملاً بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق - تبارك اسمه وتعالى ذكره - الآن وإلى أبد الأبدين). وهذا ليس فيه تصريح باليوم الآخر؛ لاحتمال أن يقصد بذلك بعثاً دنيوياً على نحو عقيدة الفريسيين السابقة، ولكن ذلك يدل على تغير في العقيدة لديهم عما

(١) انظر اليهود واليهودية لعلي وافي (٤٩)

كان عليه كثير من أسلافهم المتقدمين، ولعله من تأثرهم بعقيدة المسلمين؛ لاحتكاكهم بهم؛ لأن موسى بن ميمون كان طبيياً للأيوبيين في مصر^(١). ثم قال الخلف عن النصارى: "وأما النصارى فيزعمون أن الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح ولا شيء من المتع الحسية، وإنما يعتقدون أن المتعة تكون برؤية الله فقط. فلهذا يقول ميخائيل مينا: (إن نعيم الأبرار هو عبارة عن اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الجزء الأعظم الفائق كل خير، الذي يملأ رغبة كل إنسان، ويشبع شهوات نفسه، بل هو سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره، والتي إليه تتجه كل أشواق قلبه). وإنكارهم هذا يعود إلى أنهم يرون أن الأجساد يوم القيامة ستكون أجساداً روحانية لا تحتاج إلى الطعام والشراب، وليس فيها شهوة الجماع، ولا فرق فيها بين جسد المرأة وجسد الرجل. ويستدلون لذلك بنصين: أحدهما في (إنجيل متى) (٢٢/٢٩) وفيه يقول المسيح: (لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء). والآخر من كلام بولس في كورنثوس الأولى (١٥/٤٤) وهو يتحدث عن قيامة الأموات (يزرع جسمًا حيوانيًا ويقام جسمًا روحانيًا). وهذا الكلام من بولس لا دليل له عليه، وهو من اختراعاته وافترائه العديدة.

أما النص المنسوب إلى المسيح فليس فيه سوى نفي الزواج، وليس فيه نفي الطعام والشراب، وقد ثبت في نصوص الأناجيل إثبات الطعام والشراب في الآخرة، فقد ذكر (لوقا) في (٢٢/٢٩): أن المسيح قال لتلاميذه الذين يؤمنون به: (وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا لتأكلوا وتشربوا على مائدتني، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر).

وفي (إنجيل متى) (٢٦/٢٩) أن المسيح قال لتلاميذه بعد آخر شراب شربه معهم: (وأقول لكم: إنني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي).

(١) انظر دراسات في الأديان لسعود الخلف (١١٧-١١٩) بتصرف.

فهذه النصوص تعارض ذلك النص السابق الذي ينكر النعيم الحسي، وتدل على عدم صحته؛ لأن الحق أن أهل الجنة يتنعمون فيها نعيمًا كاملاً، ذكره الله عزَّجَلَّ في القرآن الكريم، وبيَّنه النبي محمد ﷺ بيانًا شافيًا، وليس هناك مانع عقلي منه، والله على كل شيء قدير وفضله عظيم"^(١). ففي هذه النقول ما يثبت أن إيمانهم بالله واليوم الآخر ليس كإيمان المؤمنين، فهم في الحقيقة لم يؤمنوا بالله واليوم الآخر.

الجواب الثاني: ذكره السمعاني فقال: "إن كفرهم ككفر من لا يؤمن بالله واليوم الآخر في عظم الجرم"^(٢). وذكر هذا الجواب كذلك الجصاص^(٣).

الترجيح:

والأقرب - والله أعلم - هو الجواب الأول، وهو ما ذكره البغوي والماوردي وابن كثير، فاليهود والنصارى لا يؤمنون كإيمان المؤمنين؛ فإنهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيمانًا بالله، وقد اضطربت عقائدهم في الإيمان بالله واليوم الآخر.

(١) دراسات في الأديان لعبدالعزیز الخلف (٣٣٤-٣٣٦) بتصرف.

(٢) تفسير السمعاني (٣٠١/٢)

(٣) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢٨٢/٤)

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

قال البغوي: "فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأحرار والرهبان؟

قلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله، واستحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا؛ فاتخذوهم كالآرباب. روي عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لِي: "يَا عَدِي اطْرَحْ هَذَا الْوَثْنَ مِنْ عُنُقِكَ"، فَطَرَحْتُهُ ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا، قُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ يَحْرَمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحْرَمُونَهُ، وَيَحْلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحْلُونَهُ؟" قَالَ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: "فَتَلِكْ عِبَادَتُهُمْ" (١). (٢)

في هذا الموضع استشهد الإمام البغوي بحديث عدي بن حاتم في تفسير الآية، وهو حديث قد اختلف العلماء في تصحيحه، لكن يؤيد هذا التفسير أنه قد ورد عن جمع من السلف، فقد روى ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] كانوا يعبدونهم؟ قال: «لا، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه» (٣)، وروى ابن جرير كذلك عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية: «لم يأمرهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمرهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسامهم الله بذلك أرباباً» (٤). وعن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [التوبة: ٣١] أنه قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت الربوبية

(١) سبق تخريجه

(٢) معالم التنزيل (٤/٣٩).

(٣) جامع البيان (١١/٤١٨).

(٤) المصدر نفسه (١١/٤٢٠).

التي كانت في بني إسرائيل؟ قال قالوا: "ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنا انتهينا، لقولهم: وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحو الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم"^(١). وورد كذلك عن الحسن، والسدي، والضحاك، وغيرهم^(٢). ولم أقف على تفسير عن أحد من السلف يخالف ذلك، والله أعلم.



(١) المصدر نفسه (١١/٤٢٠)

(٢) انظر الآثار في جامع البيان (١١/٤١٩-٤٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٧٨٤)

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف ذم الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟

قيل: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل، والإيمان منشط." (١)

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً عن التساؤل الذي طرحه وهو:

الجواب الأول: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل، والإيمان منشط. وذكر السمعاني في جوابه نفس الجملة، وزاد بقوله: "ويقال: أصل كل كفر الكسل، وفي المثل: الكسل أحلى من العسل." (٢)

الجواب الثاني: ما ذكره بعض المفسرين من أن الآيات في ذم المنافقين، ومن المعلوم أنهم يؤدون الصلاة، فقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يصلون ويزكون (٣)، لكن الله تعالى ذمهم على أنهم يأتونها متثاقلين بها؛ لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً، وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين، فإذا آمنوهم لم يقيموها. (٤) قال ابن كثير: "هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها، ولا خشية، ولا يعقلون معناها." (٥)

(١) معالم التنزيل (٤/٥٨)

(٢) انظر تفسير السمعاني (٢/٣١٧).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٧/٤٧٠)

(٤) انظر جامع البيان (١١/٤٩٩)

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٣٨)

❖ الترجيح:

والجواب الثاني هو الأقرب؛ فهم يؤدون الصلاة ظاهراً إذا كانوا مع المسلمين، وكما أخبر سبحانه أنهم يؤدونها رياء، ولا يبتغون بها وجه الله سبحانه، وسبب حصول الكسل لديهم في الصلاة هو عدم إيمانهم بالله جَلَّ وَعَلَا، وهذا ما ذكره الإمام البغوي، ولعل مراده بقوله "لا صلاة لهم" هو أنه لا ثواب لهم فيها، وليس بمعنى أنهم لا يؤدونها مطلقاً، وعلى هذا الاحتمال لا يكون بين الجوابين اختلاف. والله أعلم.

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

قال البغوي: "فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟

قيل: قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.
وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد.

وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه، والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمد، ثم يقدم على ملك لا يعذره".^(١)

ذكر الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ أربعة أجوبة عن التساؤل الذي طرحه، وهو كيف يكونون معذبين بالمال والولد، وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ وهذه الأجوبة كالتالي:
الجواب الأول: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وهو مروى عن ابن عباس^(٢) وقتادة^(٣) والسدي^(٤)، ورجحه ابن قتيبة^(٥). فيكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها^(٦). فالضمير يعود في قوله تعالى: "بها" على المال دون الولد.^(١)

(١) معالم التنزيل (٤/٥٩)

(٢) انظر جامع البيان (١١/٥٠٠)

(٣) انظر المصدر نفسه (١١/٥٠٠)

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨١٤)

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن (ص: ١٣١)

(٦) زاد المسير في علم التفسير (٢/٢٦٨)

ورد الطبري هذا قائلاً: "وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر؛ لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجهها يوجهه إليه، وقال: كيف يعذبهم بذلك في الدنيا، وهي لهم فيها سرور، وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه؛ إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس، ولا راجع من الله جزاء، ولا من الآخذ منه حمداً ولا شكراً على ضجر منه وكره".^(٢) وقال ابن القيم: "ولم يصب من قال: "إن الآية على التقديم والتأخير".^(٣)

الجواب الثاني: أن التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد. وهو قول ابن زيد.^(٤)

الجواب الثالث: أن المعنى: ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله، ونسبه البغوي للحسن، ورواه عنه كذلك الطبري.^(٥) وقد رجح الطبري هذا التفسير إذ قال: "وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا التأويل الذي ذكرنا عن الحسن؛ لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل، فصرف تأويله إلى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته".^(٦) وقال ابن كثير: "وهو القول القوي الحسن"^(٧). قال ابن عطية عن الجوابين الثاني والثالث: "وهذا القول (أي الجواب الثاني) وإن كان يستغرق قول الحسن فإن قول الحسن يتقوى تخصيصه بأن تعذيبهم بإلزام الشريعة أعظم من تعذيبهم بسائر

(١) انظر المحرر الوجيز (٤٥ / ٣)

(٢) جامع البيان (٥٠١ / ١١)

(٣) إغائة اللفهان من مصائد الشيطان (٣٥ / ١)

(٤) انظر جامع البيان (٥٠١ / ١١)

(٥) انظر المصدر نفسه (٥٠١ / ١١).

(٦) المصدر نفسه (٥٠١ / ١١)

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٣ / ٤)

الرزايا وذلك لاقتران الذلة والغلبة بأوامر الشريعة لهم".^(١)

الجواب الرابع: أن المعنى يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه، والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ثم يقدم على ملك لا يعذره. ذكره النسفي^(٢)، والثعلبي^(٣)، وحسن هذا القول القرطبي^(٤). ورجحه الطاهر ابن عاشور^(٥)، وابن القيم، وقال: "والصواب - والله أعلم - أن يقال: تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة: بالحرص على تحصيلها، والتعب العظيم في جمعها، ومقاساة أنواع المشاق في ذلك؛ فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه وهو حريص بجهده على تحصيلها، والعذاب هنا هو الألم والمشقة والنصب كقول: "السفر قطعة من العذاب"^(٦)، وقوله: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"^(٧)؛ أي يتألم ويتوجع، لأنه يعاقب بأعمالهم، وهكذا من الدنيا كل همه أو أكبر همه، كما قال في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٥/٣)

(٢) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٨٧/١)

(٣) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥٤/٥)

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٤/٨)

(٥) انظر التحرير والتنوير (٢٨٦/١٠)

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة. صحيح البخاري (٦٣٩/٢) أبواب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب، برقم (١٧١٠). صحيح مسلم (٥٥/٦) كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله، برقم (٥٠٠٠)

(٧) متفق عليه من حديث ابن عمر. صحيح البخاري (٤٣٢/١) كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، برقم (١٢٢٦). صحيح مسلم (٤٢/٣) كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، برقم (٢١٠٤)

جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له" (١)، ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل، وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب" (٢). وقال الطاهر ابن عاشور: "وكذلك الشأن في أولادهم إذ كانوا في فتنه من الخوف على إيمان بعض أولادهم، وعلى خلاف بينهم وبين بعض أولادهم الموفقين إلى الإسلام: مثل حنظلة بن أبي عامر الملقب غسيل الملائكة، وعبد الله بن عبد الله بن أبي فكان ذلك من تعذيب أبيهما" (٣).

وقد ذكر بعض العلماء جواباً خامساً، وهو:

الجواب الخامس: ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم، ذكره الماوردي وقال: "قاله بعض المتأخرين" (٤).

الترجيح:

الظاهر - والله أعلم - أن الآية تشمل المعاني التي في الجواب الثاني والثالث والرابع والخامس، وقد جمع ذلك الزمخشري حيث قال: "إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب، بأن عرّضه للتغنم والسبي، وبلاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب

(١) أخرجه الترمذي في سننه من حديث أنس (٤/٢٢٤). كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ برقم (٢٤٦٥). ولم يحكم عليه الترمذي، وفي سننه الربيع بن صبيح وهو صدوق سيء الحفظ. انظر تقريب التهذيب (ص: ٢٠٦)، وفيه كذلك يزيد الرقاشي قال عنه ابن حجر: ضعيف. انظر تقريب التهذيب (ص: ٥٩٩). وله شاهد من حديث زيد بن ثابت عند ابن ماجه في سننه (٥/٢٢٧) وعند الطبراني في المعجم الكبير (٥/١٤٣)، وجود إسناده الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين المسمى "المغني عن حمل الأسفار" (٢/١٠٩٩)، وصحح إسناده الأرئوط في تخريجه لابن ماجه (٥/٢٢٧)، وله شاهد آخر من حديث ابن عباس عند الطبراني كذلك في المعجم الكبير (١١/٢٦٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٣٦)

(٣) التحرير والتنوير (١٠/٢٨٦)

(٤) النكت والعيون (٢/٣٧٢)

الخير، وهم كارهون له على رغم أنوفهم، وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه
واكتسابه وفي تربية أولادهم".^(١)

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٨٠)

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَآئِفَةً بِآثِمِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال: كفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: معناه: أظهرتم الكفر بعدما أظهرتم الإيمان".^(١)

لم يذكر البغوي هنا غير جواب واحد عن التساؤل الذي طرحه، وهو كيف أن الله تعالى وصف المستهزئين بالإيمان مع أنهم لم يكونوا كذلك؟ وهذا الجواب هو:

الجواب الأول: أظهرتم الكفر بعدما أظهرتم الإيمان. فهم لم يكونوا مؤمنين حقيقة، وإنما كانوا مؤمنين ظاهراً كافرين باطناً، ولذلك أظهروا هذا الكفر باستهزائهم بالنبي ﷺ وأصحابه. وهذا الجواب هو قول كثير من المفسرين؛ فقد قال به الواحدي^(٢) والزمخشري^(٣) وأبو حيان^(٤) والبيضاوي^(٥) والرازي^(٦) والطاهر ابن عاشور، وقال: "وقوله: "قد كفرتم" يدل على وقوع الكفر في الماضي؛ أي قبل الاستهزاء، وذلك أنه قد عرف كفرهم من قبل. والمراد بإسناد الإيمان إليهم: إظهار الإيمان، وإلا فهم لم يؤمنوا إيماناً صادقاً. والمراد بإيمانهم: إظهارهم الإيمان، لا وقوع حقيقته. وقد أنبأ عن ذلك إضافة الإيمان إلى ضميرهم دون تعريف الإيمان باللام المفيدة للحقيقة، أي بعد إيمان هو من شأنكم، وهذا تعريض بأنه الإيمان الصوري غير الحق"^(٧).

(١) معالم التنزيل (٤/ ٧٠)

(٢) انظر الوجيز للواحدى (ص: ٤٧١)

(٣) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٨٦)

(٤) انظر البحر المحيط في التفسير (٥/ ٤٥٤)

(٥) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٨٧)

(٦) انظر مفاتيح الغيب (٦/ ٩٦)

(٧) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٢)

وذكر بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن المعنى أنهم كفروا بعد إيمانهم، فقد كان عندهم إيمان لكنهم خرجوا منه باستهزائهم بالرسول ﷺ وأصحابه. وهذا اختيار ابن جرير، حيث قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ يقول: قد جحدتم الحق بقولكم ما قلت في رسول الله ﷺ والمؤمنين به ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يقول: بعد تصديقكم به وإقراركم به^(١). ونصر هذا القول ابن تيمية حيث قال: "ولهذا ذم الله المنافقين بأنهم دخلوا في الإيمان ثم خرجوا منه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ﴿اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - إلى قوله - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٢-٣] وقال في الآية الأخرى ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ أَيْلَهُ وَعَايِنُهُ ءَ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٥] ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦] فقد أمره أن يقول لهم: قد كفرتم بعد إيمانكم. وقول من يقول عن مثل هذه الآيات: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا؛ بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق، وتكلموا بالاستهزاء؛ صاروا كافرين بعد إيمانهم، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين^(٢). وقال مفرقا بين قوله تعالى: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، وقوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]: "وهؤلاء الصنف الذين كفروا بعد إسلامهم غير الذين كفروا بعد إيمانهم، فإن هؤلاء حلفوا بالله ما قالوا وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد إسلامهم، وهم بما لم ينالوا وهو يدل على أنهم سعوا في ذلك فلم يصلوا إلى

(١) جامع البيان (١١/٥٤٦)

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٧٢)

مقصودهم؛ فإنه لم يقل: هموا بما لم يفعلوا لكن ﴿يَمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤] فصدر منهم قول وفعل، قال تعالى: ﴿سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فاعترفوا واعتذروا؛ ولهذا قيل: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَدِّبُ طَائِفَةٌ بِأَيِّهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرا بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف" (١).

الترجيح: ح:

الأظهر أن الجواب الثاني هو الأقوى، وهو أن المعنى أنهم كفروا بعد إيمانهم، فقد كان عندهم إيمان لكنهم خرجوا منه باستهزائهم بالرسول ﷺ وأصحابه؛ حيث إن ظاهر الآية هو إثبات إيمان لهؤلاء المستهزئين وإن كان ضعيفا إذ لم يردعهم عن الاستهزاء بالدين، وأنهم خرجوا من الإيمان بسبب ذلك. ولا يصرف الدليل عن ظاهره إلا بدليل آخر. وهو اختيار ابن جرير وابن تيمية، والله أعلم.

(١) المصدر نفسه (٧/ ٢٧٣)

سورة يونس

وفيها ثلاثة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

قال البغوي: "فإن قيل: أليس قد قال: ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]؟

فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى هاهنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله عزَّ وجلَّ مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع".^(١)

التساؤل الذي طرحه البغوي هنا هو عن إثبات الولاية للكافرين في موضع ونفيها في موضع الآخر، وقد ذكر الجواب عن ذلك باختلاف المراد بالولاية في الموضعين؛ فالولاية المثبتة هي ولاية الملك، فالله تعالى مالك كل شيء، والولاية المنفية هي ولاية النصر، وهذه الولاية خاصة بالمؤمنين. قال أبو حيان: "قوله تعالى: "مولاهم الحق" لا ما زعموه من أصنامهم؛ إذ هو المتولي حسابهم. فهو مولاهم في الملك والإحاطة، لا في النصر والرحمة".^(٢) وقد سبق الكلام عن هذا التساؤل في الموضع الأول من سورة الأنعام.

(١) معالم التنزيل (٣/ ١٥٢)

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٢)

الموضع الثاني: فكما خاطبوه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَّ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال: "إلا أن يهدي"، والصنم لا يتصور أن يهدي ولا أن يهدى؟

قيل: معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال؛ أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنقل، يتبين به عجز الأصنام.

وجواب آخر وهو: أن ذكر الهداية على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة، وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل؛ عبر عنها بما يعبر عمن يعلم ويعقل، ووصفت بصفة من يعقل".^(١)

في هذا الموضع ذكر الإمام البغوي جوابين للتساؤل الذي طرحه، وهو أن الصنم لا يتصور أن يهدي ولا أن يهدى، فكيف قال سبحانه "إلا أن يهدي"؟ والجوابان هما:

الجواب الأول: أن معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال؛ أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنقل، يتبين به عجز الأصنام. فلا يكون معنى الهداية بمعنى الإرشاد. قال الفراء: "معنى قوله تعالى: أمن لا يهدي إلا أن يهدى؛ يقول: يعبدون ما لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلا أن ينقلوه".^(٢) وقد قال طرفه^(٣):

(١) معالم التنزيل (٤/١٣٣)

(٢) معاني القرآن (١/٤٦٤)، وانظر لسان العرب (١٥/٣٥٤)، وتهذيب اللغة (٦/٢٠١)

(٣) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبير (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبير، شاباً، في (هجر) قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين. أشهر شعره معلقته. توفي نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ. انظر الأعلام للزركلي (٣/٢٢٥)، وتاريخ التراث العربي لسزكين (٢/١٥)

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه^(١)

ويقال: هَدَيْتُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا هِدَاءً، وَقَدْ هُدِيَتْ إِلَيْهِ، إِذَا نَقَلْتَ إِلَيْهِ.^(٢) وذكر الزمخشري هذا المعنى، وذكر معنيين للانتقال، هذا المعنى، والمعنى الثاني أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه.^(٣) واختار هذا القول ابن الجوزي.^(٤)

الجواب الثاني: أن ذكر الهداية على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة، وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل؛ عبر عنها بما يعبر عن من يعلم ويعقل، ووصفت بصفة من يعقل. واختار هذا القول ابن عطية^(٥) إلا أنه حمل قراءة حمزة والكسائي (يهدي) -بفتح الياء وسكون الهاء- على احتمال أن يكون المعنى أمن لا يهدي أحداً إلا أن يهدي ذلك الأحد بهداية من عند الله.^(٦)

وقد ذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: قال الرازي: لا يبعد أن يكون المراد من قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهٗ﴾ [يونس: ٣٤] هو الأصنام، والمراد من قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] رؤساء الكفر والضلالة والدعاة إليها، والدليل عليه قوله

(١) ديوان طرفة بن العبد لمهدي ناصر الدين (٧٣). لكن الحريري فسر البيت بمعنى أن الساق ترشد القدم وتدله، وليس بمعنى الانتقال، وفي لسان العرب (٣٥٧/١٥) والهادي: الدليل لأنه يقدم القوم. وهداه أي تقدمه؛ قال طرفة:

للفتى عقل يعيش به... حيث تهدي ساقه قدمه. وانظر الصحاح (٢٥٣٤/٦)

(٢) انظر مفاتيح الغيب (٢٥١/٦) وفي الصحاح (٢٥٣٣/٦) أورد الجوهري هذا المثال في بيان معنى الهدى الرشاد والدلالة.

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٣٤٦/٢)، وتفسير النسفي (٢٢/٢)

(٤) انظر زاد المسير في علم التفسير (٣٣٠/٢)

(٥) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١١٩/٣)

(٦) المصدر نفسه (١١٩/٣)

سبحانه: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا بِإِذْنِ اللَّهِ وَحَدًّا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] (١). وقال الألويسي (٢): "وليس بالبعيد فيما أرى، ويؤيده التعبير بالاتباع، فإنه يقتضي العمل بأوامرهم والاجتناب عن نواهيهم، وهذا لا يعقل في الأوثان إلا بتكلف" (٣).
الجواب الرابع: قول مجاهد بأن الله يهدي من الأوثان ومن غيرها من شاء لمن شاء (٤).

الجواب الخامس: يحمل ذلك على التقدير، يعني أنها لو كانت بحيث يمكنها أن تهدي، فإنها لا تهدي غيرها إلا بعد أن يهديها غيرها (٥).

الترجيح:

يظهر - والله أعلم - أن الجواب الأول هو الأقرب، وهو أن معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال؛ أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنقل، يتبين به عجز الأصنام، وهو اختيار ابن الجوزي لدلالة اللغة على معنى الهداية، وهو أولى من القول

(١) مفاتيح الغيب (٦/ ٢٥٠)

(٢) هو محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان مجتهداً. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة ١٢٦٢ هـ) إلى الموصل، فالأستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهراً وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي (١٢٧٠هـ). انظر الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦)، ومعجم المؤلفين لعمر بن رضا كحالة (١٢/ ١٧٥)

(٣) روح المعاني (٦/ ١٠٨)

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٨٠)

(٥) انظر مفاتيح الغيب (٦/ ٢٥٠)

بالمجاز أو التقدير أو القول بالتمييز في المخاطب لعدم الحاجة لذلك مع صحة المعنى اللغوي للهداية بأن من معانيها الانتقال.



الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال: إن كنتم في شك، وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟

قيل: كان فيهم شاكون، فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ".^(١)

أجاب الإمام البغوي عن التساؤل الذي طرحه بجوابين، وهما:

الجواب الأول: كان فيهم شاكون، فهم المراد بالآية. وقد ذكر ابن قتيبة عند قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤] أن الناس كانوا في عصر النبي ﷺ أصنافاً: منهم كافر به مكذب، لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل، وآخر مؤمن به مصدق يعلم أن ما جاء به الحق، وشاك في الأمر لا يدري كيف هو، فهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى. فخطب الله سبحانه هذا الصنف من الناس.^(٢)

الجواب الثاني: أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ.

وذكر الجوابين كذلك السمعاني^(٣) وابن عادل^(٤).

وذكر ابن عطية جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: ذكر ابن عطية أن الآية هي خطاب عام للناس أجمعين إلى يوم

(١) معالم التنزيل (٤/١٥٤)

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن (ص: ١٦٨)

(٣) انظر تفسير السمعاني (٢/٤٠٨)

(٤) انظر اللباب لابن عادل (١٠/٤٢٠)

القيامة، يدخل تحتها كل من اتصف بالشك في دين الإسلام.^(١)

❖ الترجيح:ح:

والآية - والله أعلم - تحتمل الأوجه الثلاثة، فتحتمل أن الخطاب كان للشاكين من المشركين، أو أنهم لما رأوا الآيات أصابهم الشك بصحة نبوة محمد ﷺ، ويحتمل أن تكون الآية عامة لكل من اتصف بالشك في دين الإسلام إلى قيام الساعة، وعموم الخطاب أولى من حصره في وقت معين.



(١) انظر المحرر الوجيز (١٤٦/٣)

سورة هود

وفيها موضعان



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال في سورة يونس: ﴿قُلْ فَآتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، وقد عجزوا عنه فكيف قال: ﴿فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهما فيعجز، فيقول: أعطني عشرة؟

الجواب: قد قيل سورة هود نزلت أولاً. وأنكر المبرد هذا، وقال: بل نزلت سورة يونس أولاً، وقال: معنى قوله في سورة يونس: ﴿قُلْ فَآتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد؛ فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة".^(١)

ذكر الإمام البغوي جوابين للتساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن سورة هود نزلت قبل سورة يونس، وعلى هذا فلا إشكال في ذكر التحدي بعشر سور قبل ذكر التحدي بسورة. ثم نقل إنكار المبرد أن تكون سورة هود نزلت قبل سورة يونس. والقول بأن هود نزلت قبل يونس هو اختيار ابن عطية حيث قال: "وقال بعض الناس: هذه - أي آية يونس - مقدمة في النزول على تلك - أي آية هود -، ولا يصح أن يعجزوا في واحدة فيكلفوا عشرًا؛ والتكليفان سواء".^(٢)

وهو رأي الزمخشري^(٣) والبيضاوي^(٤) والرازي^(٥) وابن تيمية^(٦)

(١) معالم التنزيل (٤/ ١٦٥)

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٤٠٤)

(٣) انظر الكشاف (٢/ ٣٨٣)

(٤) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٣٠)

(٥) انظر مفاتيح الغيب (٦/ ٣٢٥)

(٦) انظر مجموع الفتاوى (١٥/ ٩٢)

وابن القيم^(١) وأبي حيان^(٢) وابن كثير^(٣) وابن عاشور^(٤) حيث ذكروا أن التحدي بعشر سور متقدم على التحدي بسورة، ونسبه ابن عاشور لجمهور المفسرين^(٥).

وقد ذكر الفيروز آبادي^(٦) أن سورة يونس نزلت قبل سورة هود^(٧)، وذكره وكذلك الزركشي في البرهان^(٨). وبناء على هذا الترتيب قال المبرد الجواب التالي:

الجواب الثاني: أن معنى قوله في سورة يونس: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا، فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة. ففرق بين الموضوعين، فالتحدي بالسورة بخصوص مضمونها، وأما التحدي بالعشر فهو بخصوص مجرد البلاغة، وهو اختيار السمعاني^(٩). ورده ابن عطية حيث قال: "هكذا قول جماعة من المتكلمين، وفيه عندي نظر، وكيف يجيء التحدي بمماثلة في الغيوب رداً على قولهم: "افتراه"، وما وقع

(١) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص: ١٢٠)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٣٠)

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٦٩)

(٤) انظر التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠)

(٥) المصدر نفسه (١٢/ ٢٠)

(٦) هو محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي، ولد سنة (٧٢٩) في شيراز، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، رحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وله عدة مؤلفات منها: بصائر ذوي التمييز، وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس، والقاموس المحيط، وغيرها. كان له نظم ونثر بالعربي والفارسي. توفي في مكة سنة (٨١٧هـ). انظر الضوء اللامع للسخاوي (١٠/ ٨١) وبغية الوعاة للسيوطي (١/ ٢٧٣)

(٧) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (١/ ٩٨)

(٨) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٩٣)

(٩) تفسير السمعاني (٢/ ٤١٧)

التحدي في الآيتين هذه وآية العشر السور إلا بالنظم والرصف والإيجاز في التعريف بالحقائق، وما أُلزموا قط إتياناً بغيب".^(١) قال ابن عاشور عن قول المبرد: "ليس بالقوي".^(٢)

وقد ذكر الدكتور فهد الرومي جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: أن القولين السابقين قاما على تصور أن الإتيان بمثل القرآن أصعب من الإتيان بمثل عشر سور، وأن الإتيان بالعشر أصعب من الإتيان بسورة وهذا غير صحيح؛ لأن القرآن كله قليله وكثيره على حد سواء في الإعجاز، فليس الإتيان بسورة أسهل من الإتيان بالقرآن كله، فالتحدي في القرآن بالكيف لا بالكم، وبالنوع لا بالمقدار، فلا يهم إذاً أن يكون التحدي بسورة جاء قبل التحدي بعشر سور أو قبل التحدي بالقرآن كله.

واستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور، واستحالة المجيء بمثل القرآن كله على حد سواء، فكل ذلك متعذر؛ ولذا فلا أثر للاختلاف في ترتيب آيات التحدي ما دام لا يترتب عليه أثر في قوة التحدي، والعجز كان عن الإتيان بجنس القرآن لا عن مقداره.^(٣)

❖ الترجيح:ح:

ويظهر - والله أعلم - أن الجواب الأول في ترتيب التحدي بالعشر قبل السورة هو الأقوى من جهة النظر، خصوصاً أنه قول جمهور العلماء، وليست ثمة دليل قاطع على تقدم نزول آية سورة يونس على آية سورة هود.

(١) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٣٥٩)

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠)

(٣) دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي (ص: ٢٩٥)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟

قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني إن تستجهلونني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم. وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخرتكم"^(١).

ذكر الإمام البغوي جوابين:

الجواب الأول: أن رد نبي الله تعالى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو من قبيل ازدواج الكلام أي المشاكلة، فالمقصود من سخريته بهم أي استجهالهم له، وإنه سيستجهلهم إذا نزل بهم العذاب. وهو قول الزجاج^(٢). يقول ابن عاشور: "وسخرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين من الكافرين من سفه عقولهم وجهلهم بالله وصفاته. فالسخريةتان مقترنتان في الزمن. وبذلك يتضح وجه التشبيه في قوله: "كما تسخرون" فهو تشبيه في السبب الباعث على السخرية، وإن كان بين السببين بون"^(٣). وهذا القول اختيار الماوردي^(٤) وابن عطية^(٥) والشوكاني^(٦) وأبي السعود وقال: "إن سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم عليه ولم يكن يُجيبهم في كل مرة وإلا لقليل ويقول إن تسخروا منّا..... إلخ بل إنما أجابهم بعد بلوغ أذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف، فكأن سائلاً سأل فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ، فقيل: "قال إن تسخروا منّا" إن تنسبونا فيما نحن بصدده من

(١) معالم التنزيل (٤ / ١٧٥)

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٣ / ٣٤٧)

(٣) التحرير والتنوير (١٢ / ٦٨)

(٤) انظر النكت والعيون (٢ / ٤٧١)

(٥) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٧٠)

(٦) انظر فتح القدير للشوكاني (٢ / ٥٦٤)

التأهب المباشرة لأسباب الخلاص من العذاب إلى الجهل، وتسخروا منا لأجله، فإننا ننسبكم إليه فيما أنتم فيه من الإعراض عند استدفاعه بالإيمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي، والتعرض لأسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم إيانا وسخريتكم منا".^(١)

الجواب الثاني: أن المعنى أنهم سيرون عاقبة سخريتهم بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى وهي:

الجواب الثالث: إن تسخروا منا في الدنيا، فإننا نسخر منكم في الآخرة، وهو قول ابن جريج^(٢)، واختاره ابن جرير، وقال: "يقول تعالى ذكره: ويصنع نوح السفينة، وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه، يقول: هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحولت نجارا بعد النبوة، وتعمل السفينة في البر فيقول لهم نوح: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ [هود: ٣٨] إن تهزءوا منا اليوم، فإننا نهزأ منكم في الآخرة كما تهزءون منا في الدنيا"^(٣).

الجواب الرابع: إن تسخروا منا، فانا نستنصر الله عليكم، فسمى هذا سخرية. قال ابن الجوزي: "ليتنق اللفظان كما بينا في قوله تعالى: الله يستهزئ بهم، هذا قول ابن الأنباري"^(٤).

الجواب الخامس: إن سخريته منهم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كانت لجزائهم من جنس صنعهم؛ لم تقبح فلا حاجة لارتكاب خلاف الظاهر. ذكره الألويسي^(٥).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/٢٠٧)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (٦/١٥٠)

(٣) جامع البيان (١٢/٣٩٣)

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٢/٣٧٢)

(٥) انظر روح المعاني (٦/٢٥٠)

❖ الترجيح:

والذي يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الأول، فالمقصود بالسخرية هو الاستجهاال، فقد كان الكفار يستجهلون نوحا وقومه بصنعهم السفينة على اليابسة، فرد نوح بأنهم يستجهلونهم كذلك من استمرارهم في الكفر والمعاصي. والجواب الثالث تحتمله الآية لكون السخرية من الكفار يوم القيامة حاصلة، كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤].

سورة يوسف

وفيها خمسة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا بَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٧].

قال الإمام البغوي: "فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟

قيل: معناه إنك تتهمنا في هذا الأمر؛ لأنك خفتنا في الابتداء، واتهمتنا في حقه.

وقيل: معناه لا تصدقنا؛ لأنه لا دليل لنا على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله^(١)."

أجاب الإمام البغوي بجوابين عن التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن الذي حمل أبناء يعقوب على قول: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٧] هو أن يعقوب خاف من أن يهملوا يوسف حين قال: ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٣]، واتهمهم فيه. وهذا اختيار الطبري حيث قال: "وإنما معنى ذلك: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يتهمون لسوء ظنك بنا، وتهمتك لنا"^(٢). وقال به كذلك ابن جزي^(٣) وابن كثير، وقال: "يقولون: ونحن نعلم أنك لا تصدقنا - والحالة هذه - لو كنا عندك صادقين، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك، لأنك خشيت أن يأكله الذئب، فأكله الذئب"^(٤).

الجواب الثاني: أنهم قالوا ليعقوب ذلك لأنه لم يكن لديهم دليل على صدقهم، فتبقى التهمة باقية في حقهم، وقولهم "ولو كنا صادقين" أي عند الله تعالى.

وذكر بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثالث: المعنى أنك لا تصدقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقعة

(١) معالم التنزيل (٤/ ٢٢٢)

(٢) جامع البيان (١٣/ ٣٤)

(٣) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٨٣)

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٧٥)

الشديدة عليه. ^(١) قال الزجاج: "والمعنى: لو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبناك". ^(٢)

❖ الترجيح: ح:

والذي يظهر - والله أعلم - إمكانية الجمع بين هذه الأجوبة، فليس بينها تعارض. قال ابن عطية: "وقيل: المعنى: ولو كنت تعتقد ذلك فينا في جميع أقوالنا قديماً لما صدقتنا في هذه النازلة خاصة لما لحقك فيها من الحزن، ونالك من المشقة، ولما تقدم من تهمتك لنا. ثم قال: ولا ينكر أن يعتقد الأنبياء عليهم السلام صدق الكاذب، وكذب الصادق ما لم يوح إليهم، فإنما هو بشر - أي يعقوب -، كما قال ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه» ^(٣). فهذا يقتضي أنه جوز على نفسه أن يصدق الكاذب، وكذلك قد صدق عليه السلام عبدالله بن أبي حين حلف على مقالة زيد بن أرقم وكذب زياداً ^(٤)، حتى نزل

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ص: ٣٩٥)

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٩٦)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٥٥) من حديث أم سلمة. باب إذا غضب جارية فزعم أنها ماتت فقصي بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها، فهي له، ويرد القيمة، ولا تكون القيمة ثمناً، برقم (٦٥٦٦).

(٤) يشير إلى ما رواه البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول ((لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)) فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقته؛ فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّفِقُونَ ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ، فقال إن الله قد صدقك يا زيد)). صحيح البخاري (٤/ ١٨٥٩) باب قوله ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ الآية، برقم (٤٦١٧)، وصحيح مسلم (٨/ ١١٩) باب ذكر المنافقين، برقم (٧١٢٤).

الوحي، فظهر الحق".^(١) وقال الزمخشري: "ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة، لشدة محبتك ليوسف، فكيف وأنت سيئ الظن بنا، غير واثق بقولنا؟"^(٢) فيكون تكذيب يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم لتهمته لهم، مع غلبة الشفقة على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولأنه لم يكن لديهم دليل على ما ذكروه.



(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٢٢٧)

(٢) الكشاف (٢/٤٥١)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٣) [يوسف: ٧٣].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟

قيل: قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحداً شيئاً، فاسألوا عنا من مررنا به: هل ضررنا أحداً؟

وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها.

وقيل: قالوا ذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كمنوا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئاً من حروث الناس"^(١).

ذكر الإمام البغوي ثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أنهم لم يضرروا أحداً ممن مروا به أثناء توجههم إلى مصر.

الجواب الثاني: أنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، فلو كانوا سارقين ما ردوا تلك البضاعة، فهذا دليل على أمانتهم.

الجواب الثالث: أنهم قالوا ذلك لأنهم معروفون بأنهم لا يأخذون ما ليس لهم، فإنهم كانوا إذا دخلوا مصر كمنوا أفواه دوابهم؛ لكيلا تتناول شيئاً من حروث الناس.

❖ الترجيح: ح:

وعند التأمل نجد أنه لا تعارض بين الأجوبة، فيمكن الجمع بينها، وهكذا فعل بعض المفسرين، فقد قال الزمخشري: "وإنما" قالوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ" فاستشهدوا بعلمهم، لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومدخلتهم للملك، ولأنهم

(١) معالم التنزيل (٤/ ٢٦١)

دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة^(١)؛ لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم "وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ" وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا".^(٢) وقال النسفي: "استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة؛ لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم".^(٣) وقال الثعلبي: "لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض إنا منذ قطعنا هذا الطريق لم نزل عند أحد ولا أفسدنا شيئاً وسلوا عنا من مررنا به، هل ضررنا أحداً؟ أو هل أفسدنا شيئاً؟ وإنا قد رددنا الدراهم كما وجدنا في رحلنا، فلو كنا سارقين ما رددناها".^(٤)

-
- (١) الكِعَام: شيء يجعل في فم البعير. يقال: كَعَمَتِ البعير، إذا شددت فمه بالكعام، وهو شيء يجعل في فم البعير عند هياجه. الصحاح في اللغة للجوهري (١١٧/٢)
- (٢) الكشاف للزمخشري (٤٩٠/٢)
- (٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٥/٢)
- (٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٤٠/٥)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه، وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه، وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة؟

قيل: قد أكثر الناس فيه، والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله ﷻ، أمره بذلك؛ ليزيد في بلاء يعقوب، فيضاعف له الأجر، ويلحقه في الدرجة بأبائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته؛ لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه. والأول أصح^(١).

في هذا الموضع ذكر البغوي جوابين، وجزم بصحة الجواب الأول؛ والجوابان هما: الجواب الأول: أنه عمل ذلك بأمر الله ﷻ، أمره بذلك؛ ليزيد في بلاء يعقوب، فيضاعف له الأجر، ويلحقه في الدرجة بأبائه الماضين. وهو اختيار القرطبي^(٢)، والخازن^(٣)، وابن الجوزي حيث قال: "والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى، ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء."^(٤)

الجواب الثاني: أنه لم يظهر نفسه لإخوته؛ لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه.

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: أن يوسف خشي إن هو تركهم إلى اختيارهم أن يكيدوا لبنيامين،

(١) معالم التنزيل (٤/٢٦٧)

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٢٢٢)

(٣) انظر لباب التأويل للخازن (٢/٥٤٧)

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٢/٤٦٦)

فيزعموا أنهم يرجعون جميعاً إلى أبيهم، فإذا انفردوا بنيامين أهلكوه في الطريق.^(١)

الجواب الرابع: قد كان بين القبط وبين الكنعانيين في تلك المدة عداوة، فخاف إن هو جلب عشيرته إلى مصر أن تتطرق إليه وإيهم ظنون السوء من ملك مصر، فترث إلى أن يجد فرصة لذلك، وكان الملك قد أحسن إليه، فلم يكن من الوفاء له أن يفعل ما يكرهه أو يسيء ظنه، فترقب وفاة الملك أو السعي في إرضائه بذلك.^(٢)

الجواب الخامس: أنه أراد أن يستعلم من أخيه في مدة الانفراد به أحوال أبيه وأهلهم لينظر كيف يأتي بهم أو ببعضهم.^(٣)

الجواب السادس: أن الحزن كان قد غلب على يعقوب غلبة لا يؤثر فيها فقد أخيه كل التأثير، أو لا تراه لما فقد أخاه قال: يا أسفى على يوسف.^(٤)

الجواب السابع: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف عليهما السلام.^(٥)

الجواب الثامن: لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.^(٦)

الجواب التاسع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته؛ لميل كان منه إليه.^(٧)

(١) انظر التحرير والتنوير (٣٨ / ١٣)

(٢) انظر المصدر نفسه (٣٨ / ١٣)

(٣) انظر المصدر نفسه (٣٨ / ١٣)

(٤) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٦٥ / ٥)

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٢ / ٩)

(٦) انظر المصدر نفسه (٢٢٢ / ٩)

(٧) انظر المصدر نفسه (٢٢٢ / ٩)

الترجيح:

الجواب الأول - الذي رجحه البغوي - هو الأظهر، وهو أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عمل ذلك بأمر الله ﷻ، أمره بذلك، ليزيد في بلاء يعقوب، فيضاعف له الأجر، ويلحقه في الدرجة بأبائه الماضين؛ حيث إنه لا يعقل أن يجعل والده يتوجد عليه وعلى أخيه، وهو بلا شك ظاهره العقوق، إلا أن يكون ذلك بأمر إلهي تقدم فيه طاعة الله تعالى على كل شيء، والله في ذلك حكمة، وهو إنما يتبلي عباده الصالحين ليزدادوا ثوابا. والله أعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه، وما كان منهم إلى أخيه، وهم لم يسعوا في حبسه؟

قيل: قد قالوا له في الصباح ما يزال لنا بلاء، وقيل: ما رأينا منكم يا بني راحيل خيراً. وقيل: لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف".^(١)

أجاب الإمام البغوي بثلاث إجابات عن تساؤله الذي طرحه، وهو عن قول يوسف لإخوته عما فعلوه في أخيه بنيامين، وهذه الأجوبة كالتالي:

الجواب الأول: أنهم قد قالوا له في الصباح ما يزال لنا بلاء.

الجواب الثاني: أنهم قالوا ما رأينا منكم يا بني راحيل خيراً، وراحيل هي والدة يوسف وأخيه.

الجواب الثالث: أنهم كانوا يؤذون بنيامين من بعد يوسف لأنهم من أم واحدة.^(٢)

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الرابع: أنهم فرقوا بينه وبين يوسف، فنغصوا عيشه بذلك. ذكره ابن الجوزي^(٣) وابن عطية^(٤) والواحدي.^(٥)

(١) معالم التنزيل (٤/ ٢٧٣)

(٢) انظر تفسير الجلالين (ص: ٣١٧)

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٦٨)

(٤) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٧٦)

(٥) انظر الوجيز للواحدى (ص: ٥٥٨)

الترجيح:

قد جمع بعض العلماء بين بعض الأجوبة، فقد قال الرازي: وأما قوله: وَأَخِيهِ فالمراد ما فعلوا به من تعريضه للغم بسبب إفراده عن أخيه لأبيه وأمه، وأيضا كانوا يؤذونه ومن جملة أقسام ذلك الإيذاء قالوا في حقه: "إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ"^(١). وقال البيضاوي: "وفعلهم بأخيه إفراده عن يوسف، وإذلاله حتى لا يستطيع أن يكلمهم إلا بعجز وذلة"^(٢). ويرى ابن عطية ألا علاقة لقصة صواع الملك بقول يوسف هذا؛ لأنهم ليس لهم علاقة به، وقال: "وقوله: "فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ" يريد من التفريق بينهما في الصغر والتمرس بهما وإذاية بنيامين بعد مغيب يوسف، فإنهم كانوا يذلمونه ويشتمونه، ولم يشر إلى قصة بنيامين الآخرة لأنهم لم يفعلوا هم فيها شيئا"^(٣). فقد جمع بين القول بأن الأذى الذي لحق أخا يوسف هو التفريق بينه وبين يوسف، وإذلالهم له. وهو الأقرب، والله أعلم

(١) مفاتيح الغيب (٦/٥٠٤)

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/١٧٥)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٢٧٦)

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ

أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: ٩٩].

قال البغوي: "فإن قيل: فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه فكيف قال

﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ بعدما أخبر أنهم دخلوها؟ وما وجه هذا الاستثناء،

وقد حصل الدخول؟

قيل: إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر. وفي الآية

تقديم وتأخير، والاستثناء يرجع إلى الاستغفار، وهو من قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر

لكم ربي إن شاء الله وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا لا يدخلون

مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمنين من الجواز إن شاء الله تعالى، كما قال:

﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقيل: "إن" ها هنا بمعنى إذ، يريد: إذ شاء الله، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: إذ كنتم مؤمنين" (١).

أجاب البغوي عن التساؤل الذي طرحه بجواب واحد وهو:

الجواب الأول: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لو لديه ادخلوا مصر حين تلقاهم قبل

دخولهم مصر. وهو قول السدي (٢)، واختاره الطبري (٣).

ثم ذكر البغوي ثلاثة توجيهات للاستثناء في الآية، وهي:

الوجه الأول: أن الاستثناء يرجع إلى قول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: "سوف أستغفر لكم

ربي"، وهو قول ابن جريج (٤) فيكون من باب التقديم والتأخير، ورد الطبري القول بأن

(١) معالم التنزيل (٤/ ٢٧٩)

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٥٠ / ١٣)

(٣) المصدر نفسه (٣٥١ / ١٣)

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٥١ / ١٣)

الاستثناء يرجع إلى قول يعقوب، حيث قال: "والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السدي، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم؛ لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة".^(١) ورده كذلك الزمخشري^(٢).

الوجه الثاني: أن الاستثناء يرجع إلى الأمن، لأنه لم يكن يدخل أحد مصر إلا بجواز^(٣) من ملوكهم، فيكون المعنى: آمنين من الجواز إن شاء الله، ومثل بقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧].

الوجه الثالث: أن "إن" بمعنى "إذ" فيكون معنى الآية: إذ شاء الله. ومثل ابن الجوزي بمثال آخر وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنًا﴾ [النور: ٣٣].^(٤)

وذكر بعض العلماء جواباً آخر عن معنى قول يوسف ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ **ءَامِنِينَ** ^(٥١)، وهو:

الجواب الثاني: ذكره ابن كثير، فبعد أن أورد قول الطبري بأن تلقي يوسف لوالديه كان قبل دخول مصر، قال: "وفي هذا نظر أيضاً؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل، كقوله: ﴿ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ وفي الحديث: "من آوى محدثاً"^(٥)، وما المانع أن يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم إليه: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ وضمته: اسكنوا مصر ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾

(١) المصدر نفسه (٣٥١/١٣)

(٢) انظر الكشاف (٥٠٦/٢)

(٣) في زاد المسير "من الجوار" حيث قال ابن الجوزي "فلا يدخلون إلا بجوارهم" بدلا من الجواز انظر زاد المسير (٤٧٣/٢)، وعند القرطبي الجواز. انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٢٦٣)

(٤) انظر زاد المسير في علم التفسير (٤٧٣/٢)

(٥) رواه مسلم من حديث علي. صحيح مسلم (٨٤/٦) باب لعن الله من ذبح لغير الله برقم (٥١٦٦).

ءَامِنِينَ ﴿١﴾ أي: مما كنتم فيه من الجهد والقحط؟" ^(١) وقال ابن عطية: "وقوله: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ معناه: تمكنوا واسكنوا واستقروا لأنهم كانوا قد دخلوا عليه". ^(٢) وقد قال تعالى لبني إسرائيل: "ادخلوا هذه القرية" كما في سورة البقرة، وفي آية الأعراف: "اسكنوا". وذكر القرطبي كذلك أن المراد بالاستثناء من الجهد والقحط. ^(٣)

الترجيح: ح

الأظهر - والله أعلم - هو الجواب الرابع الذي ذكره ابن كثير، فالإيواء في الآية ضُمَّنْ معنى السكنى، ويكون الاستثناء في الآية من الجهد والقحط، ولا حاجة للتقديم والتأخير كما ذكره بعض المفسرين، وكذلك ليس هناك دليل قاطع على أن يوسف استقبل والديه قبل دخولهم مصر، وعلى هذا الجواب تنتفي الإشكالات التي تورَد على الآية.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤١١)، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم (٤/٧١)

(٢) المحرر الوجيز (٣/٢٨١)

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٢٦٣)

سورة الرعد

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال البغوي: "فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟

قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه" (١).

في هذا التساؤل ذكر الإمام البغوي الجمع بين قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهو أن الطمأنينة في القلب تكون عند ذكر الوعد والثواب، وتكون حالة الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب. وذكر ذات الجواب السمعاني (٢)، وقد قال الشنقيطي: "واعلم أن وجل القلوب عند ذكر الله أي: خوفها من الله عند سماع ذكره لا ينافي ما ذكره جلّ وعلا، من أن المؤمنين تطمئن قلوبهم بذكر الله كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ووجه الجمع بين الشاء عليهم بالوجل الذي هو الخوف عند ذكره جلّ وعلا، مع الشاء عليهم بالطمأنينة بذكره، والخوف والطمأنينة متنافيان؛ هو ما أوضحناه في كتابنا «دفع إيهاام الاضطراب عن آيات الكتاب» (٣)، وهو أن الطمأنينة بذكر الله تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، وصدق ما جاء به الرسول ﷺ فطمأنتهم بذلك قوية؛ لأنها لم تتطرقها الشكوك، ولا الشبه، والوجل عند ذكر الله تعالى يكون بسبب خوف الزيغ عن الهدى، وعدم تقبل

(١) معالم التنزيل (٤/ ٣١٦)

(٢) انظر تفسير السمعاني (٣/ ٩٢)

(٣) انظر دفع إيهاام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٠٣)

الأعمال؛ كما قال تعالى عن الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٦٠) [المؤمنون: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿نَقَشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ولهذا كان ﷺ يقول في دعائه: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١). وقال الرازي: "فإن قيل: إنه تعالى قال ها هنا: ﴿وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] فكيف الجمع بينهما؟ وأيضاً قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] قلنا: الاطمئنان إنما يكون عن ثلج اليقين، وشرح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل إنما يكون من خوف العقوبة، ولا منافاة بين هاتين الحالتين، بل نقول: هذان الوصفان اجتماعاً في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿نَقَشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، والمعنى: تقشعر الجلود من خوف عذاب الله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثواب الله"^(٢). وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة وهو الجمع بين الخوف والرجاء في قلب المؤمن. قال ابن تيمية: "والمحبة ما لم تقترن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها بل تضره؛ لأنها توجب التواني والانبساط وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أن استغنوا بها عن الواجبات وقالوا: المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على الله، ومحبته له فإذا حصل المقصود فلا اشتغال بالوسيلة باطل"^(٣). ثم قال: "ولهذا قال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالحب والخوف

(١) رواه الترمذي في سننه من حديث أنس وحسنه (٤/١٦). باب ما جاء في أن القلوب بين أصبعي الرحمن

برقم (٢١٤٠)

(٢) أضواء البيان (٥/٢٥٩)

(٣) مفاتيح الغيب (٥/٤٥٠ - ٤٥١)

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/١٥)

والرجاء فهو مؤمن. والمقصود أن تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب، فإذا اقترن بالخوف جمعه على الطريق ورده إليها كلما كَلَّها شيء كالخائف الذي معه سوط يضرب به مطيته؛ لئلا تخرج عن الطريق. والرجاء حاد يحدوها يطلب لها السير والحب قائدها وزمامها الذي يشوقها، فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصا يرددها إذا حادت عن الطريق خرجت عن الطريق وضلت عنها. فما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبه فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يرجئ صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه^(١). والله أعلم.



(١) المصدر نفسه (٢١/١٥)

سورة إبراهيم

وفيها ثلاثة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ إلى كافة الخلق؟

قيل: بعث من العرب بلسانهم، والناس تبع لهم، ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويترجمون لهم بألسنتهم" (١).

طرح الإمام البغوي جواباً واحداً عن التساؤل الذي طرحه، وهو:

أن بعث النبي ﷺ للناس باللسان العربي لا ينافي بعثه للخلق كافة، فالناس تبع للعرب، فغير العرب تصلهم الرسالة بترجمتها لهم. وقال القرطبي: "ولا حجة للعجم، وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلوات الله وسلامه عليه ترجمة يفهمها لزمته الحجة" (٢). وذكر بعض العلماء بعض الوجوه التي من أجلها بعث النبي ﷺ باللسان العربي، وهي:

الوجه الأول: أنه لو نزل القرآن بجميع لغات من أرسل إليهم، وبينه رسول الله لكل قوم بلسانهم لكان ذلك مظنة للاختلاف وفتحا لباب التنازع لأن كل أمة قد تدعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وربما كان ذلك أيضاً مفضياً إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوي الباطلة التي يقع فيها المتعصبون (٣).

الوجه الثاني: أنه لو نزل بالأسنة الثقيلين كلها - مع اختلافها وكثرتها، وكان مستقلاً بصفة الإعجاز في كل واحد منها، وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزاً - لكان ذلك أمراً قريباً من الإلجاء والقسر (٤).

(١) معالم التنزيل (٤/ ٣٣٥)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٤٠)

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ١١٣)

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٣٩) وانظر مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل،

الوجه الثالث: أنه جرت سنة الله أن يختار أمة واحدة ويعدها لتهديب الأمم الأخرى، كما يعد فرداً واحداً منها لتهديب سائر أفرادها. ولما كانت الأمة العربية هي المختارة لتهديب الأمم، وتعديل عوجها، وإقامة منار العدل في ذلك العالم المظلم؛ فقد وجب أن التهذيب الإلهي ينزل بلغتها خاصة حتى تستعد وتتهيأ لأداء وظيفتها. وقد أتم الله نعمته عليها، فقامت بما عهد إليها بما أدهش العالم أجمع. ^(١) والله أعلم.

= لمحمد بن عبد القادر الرازي الحنفي ص (١٥٧-١٥٨)

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٦/٢٩٩)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال البغوي: "فإن قيل: قد كان إبراهيم عليه السلام معصوماً من عبادة الأصنام، فكيف
يستقيم السؤال؟ وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟

قيل: الدعاء في حق إبراهيم عليه السلام لزيادة العصمة والتثبيت، وأما دعاؤه لبيته:
فأراد بنيه من صلبه، ولم يعبد منهم أحد الصنم. وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمناً من
بنيه"^(١).

طرح الإمام البغوي تساؤلين في هذا الموضع، وهما:

التساؤل الأول: إن الأنبياء معصومون من عبادة الأصنام، فكيف يستقيم لإبراهيم
عليه السلام سؤال الله تعالى أن يجنبه عبادة الأصنام؟

وأجاب بأن الدعاء في حق إبراهيم من باب زيادة العصمة والتثبيت. وذكر هذا
الجواب الزمخشري.^(٢) وقال الرازي: "أنه عليه السلام وإن كان يعلم أنه تعالى يعصمه من
عبادة الأصنام إلا أنه ذكر ذلك هضمًا للنفس وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل
المطالب".^(٣) ولا تعارض بين الجوابين. والله أعلم.

التساؤل الثاني: أن إبراهيم دعا الله لبيته أن يجنبهم عبادة الأصنام، ومع ذلك عبد
كثير من بنيه الأصنام، مما يعني أن الله تعالى لم يستجب دعاءه. وأورد جوابين عن هذا
السؤال، وهما:

الجواب الأول: أن المراد بدعائه لبيته هم بنوه من صلبه، ولم يعبد منهم أحد

(١) معالم التنزيل (٤/٣٥٤)

(٢) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/٥٥٨)

(٣) مفاتيح الغيب (٧/١٠١)

الأصنام. وهذا اختيار ابن عطية حيث قال: "وأراد إبراهيم بنى صلبه، وكذلك أجيبت دعوته فيهم، وأما باقي نسله فعبدوا الأصنام"^(١). واختار هذا القول كذلك النسفي^(٢) والقرطبي^(٣).

الجواب الثاني: أن المراد بدعائه لبنيه أي لمن كان منهم مؤمناً. قال الشنقيطي: "وقد بين - تعالى - في آية «الزخرف» هذه - أي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨] - أن الله لم يجب دعوة إبراهيم في جميع ذريته، ولم يجعل الكلمة باقية في جميع عقبه؛ لأن كفار مكة الذين كذبوا بنينا ﷺ من عقبه بإجماع العلماء، وقد كذبوه ﷺ وقالوا: إنه ساحر. وكثير منهم مات على ذلك. وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ [الزخرف: ٢٩] يعني كفار مكة وآباءهم، ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]، هو محمد ﷺ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠]. وما دلت عليه آية «الزخرف» هذه من أن بعض عقب إبراهيم لم يجعل الله الكلمة المذكورة باقية فيهم"^(٤). قال الرازي: "والدليل عليه أنه قال في آخر الآية: ﴿فَمَنْ يَبْعِنِي فِإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فإنه ليس منه، ونظيره قوله تعالى لنوح: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]."^(٥) وقال ابن عادل: "ونظيره قوله تعالى في حق إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]"^(٦).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٤١)

(٢) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ١٧٥)

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٦٨)

(٤) أضواء البيان (٧/ ١٠٤)

(٥) مفاتيح الغيب (٧/ ١٠٢)

(٦) اللباب لابن عادل (١١/ ٣٩٥)

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: قال به مجاهد^(١)، وهو أنه لم يعبد أحد من ولد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ صنماً، والصنم هو التمثال المصور، وما ليس بمصور فهو وثن، وكفار قريش ما عبدوا التمثال، وإنما كانوا يعبدون أحجاراً مخصوصة وأشجاراً مخصوصة.. ونُقل عن سفيان بن عيينة القول به إلا أنه خصه بولد إسماعيل؛ لأن سياق الآيات في ذريته التي نزلت مكة^(٢). قال الرازي: "وهذا الجواب ليس بقوي، لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يجوز أن يريد بهذا الدعاء إلا عبادة غير الله تعالى والحجر كالصنم في ذلك"^(٣).

الجواب الرابع: أراد من أولاده وأولاد أولاده كل من كانوا موجودين حال الدعاء^(٤). قال الرازي: "ولا شبهة أن دعوته مجابة فيهم"^(٥).

❖ الترجيح: ح:

الذي يظهر أن الآية تحتمل أنه أراد بنيه من صلبه، أو من ذريته ممن كان منهم مؤمناً، أو ذريته وذريتهم الموجودين حال الدعاء، ومن المعلوم أن الله تعالى استجاب دعاءه في هؤلاء. أما الجواب الثالث فبعيد، فإنه من المعلوم أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد بهذا الدعاء السلامة من الشرك سواء كان وثناً أو صنماً، لا أنه أراد نوعاً معيناً من الشرك، فالشرك قبيح كله، وإعمال مفهوم العموم أولى، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٨٧/١٣)

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/٨): وأخرج عن سفيان دون تسمية من أخرجه. وذكر في الرسائل العشر تخريج ابن أبي حاتم للأثر. انظر الرسائل العشر للسيوطي ص (١٧٥). ولم أجد الأثر في تفسير ابن أبي حاتم المطبوع.

(٣) انظر مفاتيح الغيب (١٠٢/٧)

(٤) المصدر نفسه (١٠٢/٧)

(٥) المصدر نفسه (١٠٢/٧)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟

قيل: قد قيل إن أمه أسلمت. وقيل: أراد إن أسلما وتابا.

وقيل: قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه، وقد بين الله تعالى عذر خليله ﷺ في استغفاره لأبيه في سورة التوبة" (١).

ذكر الإمام البغوي ثلاثة أجوبة للتساؤل الذي طرحه، وهي:

الجواب الأول: أن أمه أسلمت، ولذلك دعا لها.

الجواب الثاني: أن الدعاء لهما مشروط بإسلامهما. ورد هذا القول للزمخشري قائلاً: "ويأباه قوله تعالى: ﴿الْأَقْوَلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المنحة: ٤]؛ لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه، فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم" (٢).

الجواب الثالث: أنه دعا لهما قبل أن يبين له أمر أبيه. وقد دل على ذلك قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. واختار هذا القول ابن جرير (٣) وابن جزري (٤) وابن كثير حيث قال: "وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل" (٥).

(١) معالم التنزيل (٤/٣٥٨)

(٢) الكشاف للزمخشري (٢/٥٦٢)

(٣) انظر جامع البيان (١٣/٧٠٣)

(٤) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١/٤١٣)

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٥١٤)

وزاد بعض العلماء أجوبة أخرى وهي:

الجواب الرابع: أن المراد بوالديه هما آدم وحواء. ^(١) وهذا صرف للآية عن ظاهرها بلا دليل.

الجواب الخامس: أن المراد نوح وأم إبراهيم. ^(٢) ويقال فيه ما قيل في الذي قبله.

❁ الترجيح: ح:

الأظهر - والله أعلم - هو الجواب الثالث، وهو أنه دعا لهما قبل أن يبين له أمر أبيه، وهذا الجواب متضمن للجواب الأول، الذي يذكر إسلام أمه، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا نُبِنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

(١) انظر مدارك التنزيل للنسفي (٢/١٧٧)، وزاد المسير (٢/٥١٦)

(٢) انظر تفسير السمعاني (٣/١٢١)

سورة الحجر

وفيها أربعة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (١)

[الحجر: ١].

قال البغوي: "فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ وكلاهما واحد؟ قلنا: قد قيل كل واحد يفيد فائدة أخرى، فإن الكتاب: ما يكتب، والقرآن: ما يجمع بعضه إلى بعض.

وقيل: المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل، وبالقرآن هذا الكتاب" (١).

ذكر الإمام البغوي جوابين عن التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن كل واحد يفيد فائدة أخرى، فالكتاب: ما يكتب، والقرآن: ما يجمع بعضه إلى بعض. فعطفه عطف الصفات. وهذا اختيار ابن جزي (٢) والرازي (٣) وابن عاشور، وقال: "وعطف «قرآن» على «الكتاب» لأن اسم القرآن جعل علماً على ما أنزل على محمد ﷺ للإعجاز والتشريع" ... ثم قال: "وللإشارة إلى ما في كل من العلمين من معنى ليس في العلم الآخر حسن الجمع بينهما بطريق العطف، وهو من عطف ما يعبر عنه بعطف التفسير لأن «قرآن» بمنزلة عطف البيان من «كتاب» وهو شبيه بعطف الصفة على الموصوف، وما هو منه، ولكنه أشبهه لأن المعطوف متبوع بوصف وهو مبين. وهذا كله اعتبار بالمعنى" (٤).

الجواب الثاني: أن المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل والكتب السابقة، وبالقرآن هذا الكتاب. فيكون "ال" في "الكتاب" للجنس. وهذا القول مروى عن مجاهد، وقتادة (٥)،

(١) معالم التنزيل (٤/٣٦٤)

(٢) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١/٤١٥)

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٧/١١٦)

(٤) التحرير والتنوير (٩/١٤)

(٥) رواهما ابن جرير في تفسيره (٦/١٤)

وهو اختيار ابن جرير^(١).

وزاد بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثالث: أن قوله تعالى "تلك آيات الكتاب" المراد به هذه السورة. ذكره صديق حسن خان^(٢)، واختاره البيضاوي^(٣).

❁ الترجيح:

والجوابان الأول والثاني هما الأقوى، وهما أن كلا من الكتاب والقرآن كل منهما يفيد فائدة في المعنى، أو أن المراد بالكتاب الكتب السابقة، والقرآن هو هذا الكتاب، ويقوي الجواب الثاني تفسير التابعين مجاهد وقتادة. والله أعلم.



(١) انظر جامع البيان (٥/١٤)

(٢) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان (١٤٣/٧)

(٣) انظر أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٦/٣)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

[الحجر: ٢].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال "ربما" وهي للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار؟

قلنا: قد تذكر "ربما" للتكثير، أو أراد: أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم أحياناً"^(١).

طرح الإمام البغوي جوابين عن التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن "ربما" تستعمل للتكثير كما أنها تستعمل للتقليل^(٢). قال ابن عطية: "وقد تجيء شاذة للتكثير، وقال قوم: إن هذه من ذلك، ومنه: رَبِّ رَفِدِ هَرَقْتَهُ"^(٣). ومنه: رب كأس هرقت يا ابن لؤي"^(٤). وقال القرطبي: "وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير، أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، قاله الكوفيون"^(٥). وقال جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي^(٦)، المعروف بالأبرش:

(١) معالم التنزيل (٤/٣٦٨)

(٢) انظر تفسير الجلالين (ص: ٣٣٨)

(٣) صدر بيت للأعشى يقول فيه:

رَبِّ رَفِدِ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمُ . . . مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعَشِرٍ أَقْتَالِ

والرشد بفتح الراء القدح العظيم. انظر جامع البيان لابن جرير (١٢/٥٦٥)

(٤) صدر بيت قيل لكعب بن لؤي يرثي أخاه سامة وقيل لغيره. يقول فيه:

رَبِّ كَأْسِ هَرَقْتَهَا ابْنَ لُؤَيٍّ . . . حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مَهْرَاقَهُ

انظر التذكرة الحمدونية (٧/٣٧٦)

(٥) المحرر الوجيز (٣/٣٤٩)

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١ - ٢)

(٧) هو جذيمة بن مالك بن تيم الأزدي، من ملوك العرب بشاطئ الفُرات، ملك ستين سنة وقيل خمسا

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شَمَالَاتُ

قال السيوطي في (شرح شواهد المغني): وهذا الموضع اللائق به التكثير، لأنه المناسب للمدح.^(١) فهو يصف نفسه أنه يحفظ أصحابه في رأس جبل إذا خافوا من عدو فيكون طليعة لهم. والعرب تفخر بهذا لأنه دال على شهامة النفس وحدة النظر، وخص الشمال بالذكر لأنها تهب بشدة، وجعلها ترفع ثوبه لإشراف الرقبة التي يربأ فيها لأصحابه.^(٢)

ورد هذا القول الزجاج حيث يرى أن "ربما" تستعمل فقط للتقليل، حيث قال: "وأما قول من قال أن (رب) تقع للتكثير فلا يعرف في كلام العرب".^(٣)

الجواب الثاني: أن "ربما" على بابها في التقليل، وإنما قالوا ذلك لأنهم مشغولون بالعذاب^(٤)، فأهوال القيامة وما يقع بهم من الأهوال تكثر عليهم، فإذا عادت إليهم عقولهم؛ ودوا ذلك.^(٥)

وزاد بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: أن (رب) على بابها في التقليل، فالمشركون يقولون هذه العبارة إذا رأوا الجهنميين يخرجون من النار، فقد ذكر ابن جرير في تفسيره عدة آثار عن ابن عباس

= وتسعين سنة. وكان به برص، فيقال له جُدَيْمَةُ الوضاح والأبرش وقد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين سماهما الضيزنين ومكانهما بالحيرة معروف. وهو أول من ملك قضاة بالحيرة واستجمع له الملك بالعراق وغزا. توفي نحو (٣٦٦ ق هـ). انظر سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/٤٠٨)، والأعلام للزركلي (٢/١١٤)

(١) شرح شواهد المغني (١/٣٩٣)

(٢) انظر المصدر نفسه (١/٣٩٣)

(٣) معاني القرآن (٤/٩)

(٤) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/٢٥٣)

(٥) انظر زاد المسير في علم التفسير (٢/٥٢٣)

وأنس وابن مسعود وأبي موسى الأشعري ومجاهد وغيرهم تفيد ذلك. فقد أخرج عن ابن عباس وأنس بن مالك أنهما كانا يتأولان هذه الآية: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] يتأولانها "يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار، قال: فيقول لهم المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا، قال: فيغضب الله لهم بفضل رحمته، فيخرجهم، فذلك حين يقول: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، وعن ابن مسعود أنه قال: «هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار»، عن مجاهد، قال: "يقول أهل النار للموحدين: ما أغنى عنكم إيمانكم؟ قال: فإذا قالوا ذلك قال: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة فعند ذلك ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]"^(١).

الجواب الرابع: قول الزمخشري إذ قال: "إن ذلك وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في تدمه، ولا يقصدون تقليبه، ولكنهم أرادوا: لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل، لأنّ العقلاء يتحرّزون من التعرّض للغم المظنون، كما يتحرّزون من المتيقن ومن القليل منه، كما من الكثير، وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة، فبالأحرى أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين."^(٢)

✽ الترجيح ح:

الأظهر - والله أعلم - أن (ربما) تأتي للتكثير كما تأتي للتقليل، وعلى هذا لا يرد الإشكال في أنها لا تنافي كثرة تمني الكفار لأن يكونوا مسلمين. ويحتمل كذلك المعاني التي ذكرت فيما لو كانت على بابها في التقليل.

(١) انظر الآثار في جامع البيان (١٤/٨-١٣)

(٢) الكشف (٢/٥٧٠)، وانظر كذلك مفاتيح الغيب (٧/١١٧)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠].

قال البغوي: فإن قيل: لم قال ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ وقد حصل المقصود بقوله فسجد

الملائكة؟

قلنا: زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيدا.

وذكر المبرد: أن قوله: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم

فذكر "كلهم" ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله "أجمعون"^(١).

ذكر الإمام البغوي جوابين للتساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: قول الخليل وسيبويه، وهو أن الله تعالى قال "كلهم أجمعون"

تأكيدا لسجود الملائكة، وذلك لزيادة تمكين المعنى وترسيخه في الذهن^(٢). قال البيضاوي: "أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص"^(٣)، واختار هذا القول الزجاج حيث قال: "وقول الخليل، وسيبويه أجود"^(٤)

الجواب الثاني: قول المبرد، وهو: أن قوله ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ ﴾ كان من المحتمل

أنه سجد بعضهم فذكر "كلهم" ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله "أجمعون". فيكون قوله تعالى "كلهم" لئلا يتوهم أن بعضهم لم يسجد، وقوله: "أجمعون" لبيان أن السجود كان في زمان واحد. ورد هذا القول بعض العلماء حيث قال ابن عرفة: "وتقدم لنا الرد عليه أنه لو اقتضى الجمعية

(١) معالم التنزيل (٤/ ٣٨٠)

(٢) انظر إعراب القرآن وبيانه لمحبي الدين درويش (٥/ ٢٣٧)

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٢١٠)

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٧٩)

في الزمان للزم انتصابه على الحال".^(١) وقال ابن عطية: "والقراءة بالرفع تأبى قوله"^(٢)
وقال البيضاوي: "وفيه نظر إذ لو كان الأمر كذلك كان الثاني حالاً لا تأكيداً".^(٣)

❁ الترجيح: ح:

الجواب الأول هو الأظهر، وهو أن الله تعالى قال "كلهم أجمعون" تأكيداً لسجود
الملائكة، وذلك لزيادة تمكين المعنى وترسيخه في الذهن، وهو قول الخليل وسيبويه،
حيث لو كان المراد بسجودهم في زمان واحد لُنصبت كلمة "أجمعون" على الحال. والله
أعلم.



(١) تفسير ابن عرفة (١/٢٣٢)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٣٦١)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٢١٠)

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَسَّأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[الحجر: ٩٢-٩٣].

قال البغوي: فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فَوَمِيزَ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْ وَلَا جَانَ﴾ (٣٩) [الرحمن: ٣٩]؟ قيل: قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم بهم منهم ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ واعتمده قطرب فقال: السؤال ضربان: سؤال استعلام، وسؤال توبيخ، فقوله تعالى: ﴿فَوَمِيزَ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْ وَلَا جَانَ﴾ (٣٩) [الرحمن: ٣٩]. يعني: استعلاماً. وقوله: "لنسألنهم أجمعين" يعني توبيخاً وتقريراً.

وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف يسألون في بعض المواقف، ولا يسألون في بعضها. نظيره قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) [المرسلات: ٣٥]، وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ﴾ (٣١) [الزمر: ٣١].^(١)

ذكر الإمام البغوي جوابين في الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَسَّأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَوَمِيزَ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْ وَلَا جَانَ﴾ (٣٩)، وهما:

الجواب الأول: أن السؤال نوعان: النوع الأول: سؤال استعلام كقول القائل: هل فعلتم كذا وكذا؟ والنوع الثاني: سؤال توبيخ وتقرير كقول القائل: لم فعلتم كذا وكذا؟ فيحمل السؤال المنفي في قوله تعالى: ﴿فَوَمِيزَ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْ وَلَا جَانَ﴾ على سؤال الاستعلام، ويحمل السؤال المثبت في قوله: "لنسألنهم أجمعين" على سؤال التقرير والتوبيخ. ونسب هذا القول لابن عباس^(٢). واختاره ابن جرير حيث قال: "إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة استرشاد ولا مسألة تعرف منهم ما هو به غير عالم، وإنما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر، كما يقول الرجل للرجل: ألم أحسن إليك فأسأت؟

(١) معالم التنزيل (٤/ ٣٩٥)

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ١٤١)

وألم أصلك فقطعت؟" ^(١) ثم قال: "فأما الذي هو عن الله منفي من مسألته خلقه فالمسألة التي هي مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسئول، ليعلم السائل علم ذلك من قبله. فذلك غير جائز أن يوصف الله به، لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها". ^(٢) واختاره كذلك ابن جزري ^(٣) والرازي ^(٤) وابن عطية ^(٥) والشنقيطي. ^(٦)

الجواب الثاني: أن السؤال يكون في موقف من مواقف يوم القيامة، وعدم السؤال في موقف آخر، فيوم القيامة يوم طويل. ونسب ذلك لابن عباس كذلك. قال السيوطي: "وقد أخرج عبد بن حميد ^(٧) عن عكرمة أنه سئل عن قوله: ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] قال: ألا أخبركم بأشد مما تسألون عنه قال ابن عباس وذكر ﴿يَوْمَ مِذْيَ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] و﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]، قال ابن عباس: إنها أيام كثيرة في يوم واحد، فيصنع الله فيها ما يشاء فمنها يوم لا ينطقون ومنها يوم عبوسا قمطيرا ^(٨)، وعند الحاكم عن عكرمة أن نافع

(١) جامع البيان (١٠ / ٦٥)

(٢) المصدر نفسه (١٠ / ٦٦)

(٣) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٤٢١)

(٤) انظر مفاتيح الغيب (١٠ / ٣٦٧)

(٥) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ٢٣٢)

(٦) انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٠٠)

(٧) هو عبد بن حميد بن نصر، أبو محمد: من حفاظ الحديث. قيل اسمه عبد الحميد، وخفف. حدث عنه:

مسلم، والترمذي، والبخاري تعليقا. من بلاد السند. له كتاب في تفسير القرآن وله مسند. توفي سنة (٥٢٤٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢ / ٢٣٥)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٢٣٨)،

والأعلام للزركلي (٣ / ٢٦٩)

(٨) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨ / ٣٨٧)

بن الأزرق^(١) سأل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن قوله عَزَّجَلَّ: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [المرسلات: ٣٥]. و﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿١٠٨﴾ [طه: ١٠٨]، و﴿وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الصفات: ٢٧]، و﴿هَآؤُمْ أَقْرَبُوا كُنْيَةَ﴾ ﴿١٩﴾ [الحاقة: ١٩]؛ فما هذا؟ قال: ويحك هل سألت عن هذا أحدا قبلي؟ قال: لا قال: أما أنك لو كنت سألت هلكت، أليس قال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الحج: ٤٧]، قال: بلى، وأن لكل مقدار يوم من هذه الأيام لون من هذه الألوان.^(٢) والشاهد من الأثر الذي أخرج به الحاكم هو تعدد الأحوال يوم القيامة.

وزاد بعض العلماء أجوبة أخرى وهي:

الجواب الثالث: أن قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩] يفيد النفي، وفي قوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ يعود إلى المقتسمين، وهذا خاص، فيقدم على العام. ذكره ابن عادل^(٣). لكن يرد على هذا القول أن الله تعالى ذكر السؤال في غير هذا الموضع، فقد قال سبحانه: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ [الصفات: ٢٤]، وكذلك أنه يمكن الجمع بين الآيات دون الحاجة إلى التخصيص.

الجواب الرابع: قول مجاهد أن معنى قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩]: لا يسأل الملائكة عن المجرم، يعرفون بسيماهم. قال ابن كثير: "وكان هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها - أي النار - ويلقون فيها، كما قال تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي

(١) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقههم. من أهل البصرة. صحب في أول أمره عبد الله بن عباس. وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية. توفي سنة (٥٦٥هـ) انظر لسان الميزان لابن حجر (٨/ ٢٤٧)، والأعلام للزركلي (٧/ ٣٥١).

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤/ ٦١٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) انظر الباب لابن عادل (١١/ ٤٩٤)

وَالْأَقْدَامُ ﴿٤١﴾ [الرحمن: ٤١] أي: بعلامات تظهر عليهم".^(١)

الجواب الخامس: ما نقله الشنقيطي عن الحلبي^(٢) من أن إثبات السؤال محمول على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، وقال: ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].^(٣)

الترجيح:

أقوى الأجوبة؛ الجواب الأول، وهو أن السؤال نوعان: النوع الأول: سؤال استعلام كقول القائل: هل فعلتم كذا وكذا؟ والنوع الثاني: سؤال توبيخ وتقريع كقول القائل: لم فعلتم كذا وكذا؟ وكذلك الجواب الثاني، وهو أن السؤال يكون في موقف من مواقف يوم القيامة، وعدم السؤال في موقف آخر، فيوم القيامة يوم طويل. ويمكن الجمع بينهما، وهو أن يقال إن السؤال سؤال توبيخ وتقريع، ويكون في موقف من مواقف يوم القيامة. والله أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٩ / ٧)

(٢) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي أبو عبد الله الحلبي البخاري أوحد الشافعيين بما وراء النهر، وأنظرهم، وآدابهم، بعد أستاذه أبي بكر القفال، والأوداني، وكان مقداً، فاضلاً كبيراً له مصنفات مفيدة، فنقل منها الحافظ البيهقي كثيراً، وسمع: أبا بكر محمد بن أحمد بن حبيب، وبكر بن محمد المروزي، وغيرهما، وعنه: الحاكم مع تقدمه، وأبو سعد الكنجرودي، وأبو زكريا عبد الرحيم البخاري، كان مولده بجرجان، وقيل: ببخارى. توفي سنة (٤٠٣هـ). انظر طبقات الشافعيين لابن كثير (ص: ٣٥٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣١ / ١٧)

(٣) انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ٣٩)

سورة النحل

وفيها موضعان



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَنْفَيثُوا ظُلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

قال البغوي: "فإن قيل لم وحد اليمين وجمع الشمائيل؟

قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: "ما خلق الله". ولفظ "ما" واحد، والشمائيل: يرجع إلى المعنى^(١).

طرح الإمام البغوي جوابين للتساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن من شأن العرب أنه إذا اجتمعت علامتان يكتفى بواحدة، فذكر الجمع في "الشمائيل" يعني عن ذكره في "اليمين"، ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. قال القرطبي: "ومثل هذا في الكلام كثير. قال الشاعر:

الْوَارِدُونَ وَنَيْمٌ فِي ذُرَا سَبِيٍّ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ^(٢)
ولم يقل جلود"^(٣).

الجواب الثاني: وحد اليمين بالنظر إلى لفظ "ما"، وجمع الشمائيل بالنظر إلى المعنى، فجمع الشمائيل مراد به تعدد جنس جهة الشمال بتعدد أصحابها^(٤). وهذا اختيار

(١) معالم التنزيل (٥/ ٢٢)

(٢) البيت لجريير. انظر ديوان جريير بشرح محمد بن حبيب (١/ ١٣٠)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٢)

(٤) انظر التحرير والتنوير (١٤/ ١٦٩)

الطبري حيث قال: "أما توحيد اليمين في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [النحل: ٤٨] فجمعها^(١)، فإن ذلك إنما جاء كذلك؛ لأن معنى الكلام: أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلال ما خلق من شيء عن يمينه؛ أي ما خلق، وشمائله، فلفظ «ما» لفظ واحد، ومعناه معنى الجمع، فقال: «عن اليمين» بمعنى: عن يمين ما خلق، ثم رجع إلى معناه في الشمائل^(٢). " واختاره كذلك الفراء^(٣).

وزاد بعض العلماء أجوبة أخرى وهي:

الجواب الثالث: أن المراد باليمين: النقطة التي هي مشرق الشمس، وأنها واحدة. والشمائل: عبارة عن الانحراف في فلك الإضلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة، وإنما عبر عن المشرق باليمين لأن أقوى جانبي الإنسان يمينه، ومنه تظهر الحركة القوية^(٤).

الجواب الرابع: أن اليمين جهة الخير والفلاح بخلاف الشمال فهي جهة الباطل، لذلك أفردت اليمين وجمعت الشمال، ونظير هذا أفراد النور وجمع الظلمات. واختاره ابن القيم حيث قال: "ولما كانت اليمين جهة الخير والفلاح وأهلها هم الناجون أفردت ولما كانت الشمال جهة أهل الباطل وهم أصحاب الشمال جمعت في قوله عن اليمين والشمائل"^(٥).

(١) هكذا في المطبوعة وكذلك طبعة شاكر

(٢) جامع البيان (١٤/٢٤٣-٢٤٤)

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/١٠٢)

(٤) انظر اللباب لابن عادل (١٢/٧٠) وفتح القدير للشوكاني (٣/١٩٩).

(٥) بدائع الفوائد (١/١٢٧)

الترجيح:

الأقرب مما سبق قوة ثلاثة أجوبة، وهي الجواب الأول والثاني والرابع، فالجواب الأول، وهو أن من شأن العرب أنه إذا اجتمعت علامتين يكتفى بواحدة، فذكر الجمع في "الشمال" يغني عن ذكره في "اليمين"، والجواب الثاني وهو أنه وحد اليمين بالنظر إلى لفظ "ما"، وجمع الشمال بالنظر إلى المعنى، فجمع الشمال مراداً به تعدد جنس جهة الشمال بتعدد أصحابها، وكذلك الجواب الرابع وهو أن اليمين جهة الخير والفلاح بخلاف الشمال فهي جهة الباطل، لذلك أفردت اليمين وجمعت الشمال، فالآية محتملة لهذه الأجوبة كلها، حيث لا منافاة بينها. والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

قال البغوي: "إن قيل: قد قال: "إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون"، فما معنى قوله "وأولئك هم الكاذبون"؟

قيل: "إنما يفترى الكذب": إخبار عن فعلهم، "وهم الكاذبون" نعت لازم لهم، كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب؛ أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب." (١)

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً على التساؤل الذي طرحه، وهو أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ إخبار عن فعلهم، و﴿هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ نعت لازم لهم، وضرب مثلاً لذلك بقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب؛ أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب. وقد قال ابن عطية: "وكرر المعنى في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ لفائدة إيقاع الصفة بالكذب عليهم إذ الصفة بالشيء أبلغ من الخبر به، لأن الصفة تقتضي الدوام أكثر مما يقتضيه الخبر فبدأ في هذه الآية بالخبر، ثم أكد بالصفة." (٢) وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ هذا مبالغة في وصفهم بالكذب؛ أي كل كذب قليل بالنسبة إلى كذبهم. ويقال: كذب فلان ولا يقال إنه كاذب؛ لأن الفعل قد يكون لازماً، وقد لا يكون لازماً. فأما النعت فيكون لازماً؛ ولهذا يقال: عصي آدم ربه فغوي، ولا يقال: إنه عاص غاو. فإذا قيل: كذب فلان، فهو كاذب، كان مبالغة في الوصف بالكذب." (٣) وقال الرازي: "الفعل قد يكون لازماً وقد يكون مفارقاً، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

(١) معالم التنزيل (٥/ ٤٥)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٢٢)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٧٩)

﴿٣٥﴾ [يوسف: ٣٥] ذكره بلفظ الفعل، تنبيهاً على أن ذلك السجن لا يدوم. وقال فرعون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لِيْنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ [الشعراء: ٢٩] ذكره بصيغة الاسم تنبيهاً على الدوام، وقال أصحابنا: إنه تعالى قال: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿١٢١﴾ [طه: ١٢١]، ولا يجوز أن يقال إن آدم عاص وعاو؛ لأن صيغة الفعل لا تفيد الدوام، وصيغة الاسم تفيد. ^(١)

سورة الإسراء

وفيها خمسة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلِبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: "إن الله لا يأمر بالفحشاء"؟

قيل: هذا على طريق التهديد كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وكقول القائل: افعَل ما شئت فسترئ^(١).

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً على التساؤل الذي ذكره، وهو:

الجواب الأول: أن هذا على طريق التهديد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وكقول القائل: افعَل ما شئت فسترئ. وهذا ما ذكره العلماء، فقد قال الواحدي: "وهذه الأنواع من الأمر كلها أمر تهديد"^(٢). وقال ابن الجوزي: "الآية لفظها لفظ الأمر، ومعناها التهديد، ومثلها في الكلام أن تقول للإنسان: اجهد جهدك فسترئ ما ينزل بك"^(٣). قال الزجاج: "إذا تقدمه نهي عما يؤمر به فالمعنى في الأمر الوعيد والتهديد؛ لأنك قد تقول: لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول أن يدخلها قلت: ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخولها، ولكنك توعدده وتهدهه وهذا في اللغة والاستعمال كثير موجود، ومثله في القرآن: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، وقد نهوا أن يتبعوا أهواءهم وأن يعملوا بالمعاصي"^(٤). وقال الشوكاني: "وهذه الأوامر للشيطان من باب التهديد والوعيد

(١) معالم التنزيل (١٠٦/٥)

(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٦٤٠)

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٣٨/٣)

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٥١/٣)

الشديد".^(١)

وقد ذكر بعض العلماء جوابا آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن هذه الأوامر هي على طريقة الاستخفاف بالشیطان وبمن تبعه.^(٢)

✽ الترجيح: ح:

الذي يظهر أن الأمر هنا للتهديد، ويحتمل كذلك الجواب الثاني وهو أن الأوامر تكون للاستخفاف بالشیطان وأتباعه، والله أعلم.



(١) فتح القدير للشوكاني (٣/٢٨٨)، وانظر مفاتيح الغيب (٧/٣٦٨)

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/٢٨٨)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

قال البغوي: "إن قيل: كان النبي ﷺ معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟ قيل: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزمًا وقد غفر^(١) الله عز وجل عن حديث النفس.

قال قتادة: كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك: "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين"^(٢).

والجواب الصحيح هو أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، وقد ثبته الله ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، وقد تفضل فلم يتبعوا^(٣).

ذكر الإمام البغوي جوابين على التساؤل الذي طرحه، وصحح الجواب الثاني، والجوابان هما:

الجواب الأول: أن الركون كان ذلك بخاطر قلب، ولم يكن عزمًا، وقد غفر الله عز وجل عن حديث النفس. واختاره ابن عطية حيث قال: "وهذا الهم من النبي عليه السلام إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه"^(٤).

الجواب الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، وقد ثبته الله ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، وقد تفضل فلم يتبعوا. وقد

(١) في طبعة إحياء التراث (عفا الله عز وجل عن حديث النفس) ولعله المناسب لسياق العبارة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/١٥)، وهو مرسل.

(٣) معالم التنزيل (١١٢/٥)

(٤) المحرر الوجيز (٤٧٥/٣)

رجح البغوي هذا الجواب. ورجحه كذلك ابن عاشور، وقال: "فركون النبي ﷺ إليهم غير واقع ولا مقارب الوقوع لأن الآية قد نفتته بأربعة أمور، وهي: (لولا) الامتناعية. وفعل المقاربة المقتضي أنه ما كان يقع الركون ولكن يقع الاقتراب منه، والتحقير المستفاد من شيئاً، والتقليل المستفاد من قليلاً. أي لولا إفهامنا إياك وجه الحق لخشي أن تقترب من ركون ضعيف قليل ولكن ذلك لم يقع. ودخلت (قد) في حيز الامتناع فأصبح تحقيقها معدوماً؛ أي لولا أن ثبتناك لتحقق قرب ميلك القليل، ولكن ذلك لم يقع لأننا ثبتناك"^(١). وقال الشنقيطي: "هذه الآية الكريمة أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا ﷺ من مقارنة الركون إلى الكفار، فضلاً عن نفس الركون؛ لأن (لولا) حرف امتناع لوجود؛ فمقاربة الركون منعتها (لولا) الامتناعية لوجود التثبيت من الله جَلَّ وَعَلَا لأكرم خلقه ﷺ، فصح يقينا انتفاء مقارنة الركون فضلاً عن الركون نفسه. وهذه الآية تبين ما قبلها، وأنه لم يقارب الركون إليهم البتة؛ لأن قوله: ﴿لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾، أي قاربت تركن إليهم - هو عين الممنوع بـ(لولا) الامتناعية كما ترى، ومعنى ﴿تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ تميل إليهم"^(٢). وقال ابن جزري: "لولا تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدللت هنا على امتناع مقارنة النبي ﷺ الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته، وكدت تقتضي نفي الركون، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أي: أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربتة، فليس في ذلك نقص من جانب النبي ﷺ، لأن التثبيت منعه من مقارنة الركون، ولو لم يثبت الله لكانت مقاربتة للركون إليهم شيئاً قليلاً، وأما منع التثبيت فلم يركن قليلاً ولا كثيراً، ولا قارب ذلك"^(٣). وقال أبو السعود: "أي لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئاً يسيراً من الميل اليسير لقوة خدعهم، وشدة احتيالهم، لكن أدركتك العصمة فممنعك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم، فضلاً عن نفس الركون. وهذا صريح في أنه ﷺ ما هم

(١) التحرير والتنوير (١٧٦/١٥)

(٢) أضواء البيان (١٧٩/٣)

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٥٢/١)

بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، ودليلٌ على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته.^(١)

وزاد بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثالث: أن معنى الآية: لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنت. نسبة ابن عطية لابن الأنباري^(٢)، وذكر هذا الجواب القرطبي حيث قال: "كادوا يخبرون عنك أنك ملت إلى قولهم، فنسب فعلهم إليه مجازاً واتساعاً كما تقول لرجل: كدت تقتل نفسك! أي كاد الناس يقتلونك بسبب ما فعلت".^(٣) قال ابن عطية عن هذا الجواب: "أنه حمل اللفظ ما لا يحتمل، وقوله تعالى: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٤) يبطل ذلك".^(٤)

❖ الترجيح ————— ح:

الأقرب - والله أعلم - أن الجواب الثاني هو الأقوى، وهو أن النبي صل الله عليه وسلم لم يركن إليهم مطلقاً، كما دلت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ﴾ فانتهى الركون لوجود تثبيت الله تعالى له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعلى هذا فلسنا بحاجة إلى صرف الركون إلى حديث النفس، ولا أن الخبر عن ظن المشركين فالآية لا تحتاج إلى هذين التأويلين، بل هي على ظاهرها.

(١) إرشاد العقل السليم (١٨٨/٥)

(٢) انظر المحرر الوجيز (٤٧٥/٣)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٠/١٠)

(٤) المحرر الوجيز (٤٧٥/٣)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال البغوي: "فإن قيل: فما معنى التخصيص، وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه ﷺ؟"

قيل: التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفارة لذنوبهم، والنبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات".^(١)

طرح البغوي تساؤلاً بناه على القول الذي يرى أن معنى النافلة هنا أي التطوع، فتساءل عن سبب تخصيص النبي ﷺ بذلك رغم أن التهجد مسنون لكل المسلمين، وأما على القول بأن معنى قوله تعالى ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي فضيلة^(٢) زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك؛ فلا يرد هذا التساؤل الذي طرحه، وتفسيره بأنه فريضة زائدة هو قول ابن عباس، أخرجه عنه الطبري واختاره^(٣)، واختاره كذلك ابن عاشور^(٤)، والزمخشري^(٥). قال ابن القيم: "والمقصود أن النافلة في الآية لم يرد بها ما يجوز فعله وتركه، كالمستحب والمندوب، وإنما المراد بها الزيادة في الدرجات، وهذا قدر مشترك بين الفرض والمستحب، فلا يكون قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ نافية لما دل عليه الأمر من الوجوب".^(٦) ورده

(١) معالم التنزيل (١١٥/٥)

(٢) في طبعة طيبة (١١٥/٥) (فضيلة) وفي طبعة إحياء التراث (١٥٠/٣) (فريضة)، وفي تفسير ابن جرير طبعة هجر (٤٠/١٥): نافلة لك: أي فضلاً لك من الفرائض التي فرضتها عليك عما فرضت على غيرك.

(٣) انظر جامع البيان (٤٠/١٥)

(٤) انظر التحرير والتنوير (١٨٥/١٥)

(٥) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٦٨٧/٢)

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣١٣/١)

القرطبي حيث قال: "وفي هذا التأويل - أي تفسير النافلة بالفريضة - بُعد لوجهين:
أحدهما: تسمية الفرض بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة.

الثاني: قوله النبي ﷺ: "خمس صلوات فرضهن الله على العباد"^(١)، وقوله تعالى: "هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي"^(٢) وهذا نص فكيف يقال افترض عليه صلاة زائدة على الخمس؟! هذا ما لا يصح.^(٣) ومما يدل على عدم وجوب قيام الليل في حق النبي ﷺ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ إذ قال لها سعد بن هشام: «أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: أألسنت تقرأ: يا أيها المزمّل؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله عزَّجَلَّ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة».^(٤) قال النووي: قولها "فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة" هذا ظاهره أنه صار تطوعاً في حق رسول الله ﷺ والأمة، فأما الأمة فهو تطوع في حقهم بالإجماع، وأما النبي ﷺ فاختلفوا في نسخه في حقه، والأصح عندنا نسخه."^(٥)

- (١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٦/٣٧) في مسند عبادة بن الصامت برقم (٢٢٦٩٣)، ومالك في الموطأ (١٢٣/١) باب الأمر بالوتر برقم (٤٠٠)، وابن ماجه في سننه (٤٠٨/٢) باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس برقم (١٤٠٠)، ويشهد له ما في الصحيحين من حديث طلحة بن عبيدالله في قصة الأعرابي الذي سأل النبي ﷺ عن الإسلام. صحيح البخاري (٢٥/١) باب الزكاة من الإسلام برقم (٢٥)، صحيح مسلم (٣١/١) باب السؤال عن الإسلام برقم (٨)
- (٢) متفق عليه من حديث أنس في قصة الإسراء والمعراج. صحيح البخاري (١٣٥/١)، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، برقم (٣٤٢)، صحيح مسلم (٩٩/١) باب الإسراء والمعراج، برقم (٣٣٠)
- (٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٨/١٠)
- (٤) صحيح مسلم (١٨٦/٢)، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم (١٦٨٦)
- (٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣٩/٦)

وأما على القول بأن معنى نافلة أي تطوع؛ فقد أجاب الإمام البغوي بجواب واحد على سبب تخصيص النبي ﷺ بذلك، مع أن التهجد نافلة لعامة المسلمين، والجواب الذي ذكره هو:

الجواب الأول: أن النوافل قد تكون تكفيراً للسيئات أو رفعة للدرجات، ولأن النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فلم يكن إلا رفعة درجاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وهو قول مجاهد^(١)، واختاره الواحدي^(٢). وقد رد هذا القول ابن جرير حيث قال: "فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك؛ فقول لا معنى له، لأن رسول الله ﷺ فيما ذكر عنه أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عَزَّجَلَّ عَلَيْهِ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفح: ٢]، وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية، وأنزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] عام قبض. وقيل له فيها ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] فكان يُعَدُّ له ﷺ في المجلس الواحد استغفار مائة مرة^(٣)، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد.^(٤)

وذكر بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن النافلة للنبي ﷺ وأمته، والمعنى: ومن الليل فتهجدوا به نافلة

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٤١ / ١٥)

(٢) انظر الوجيز للواحدي (ص: ٦٤٤)

(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجه في سننهما من حديث ابن عمر. سنن أبي داود (٢ / ٦٢٦)، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه، باب في الاستغفار، برقم (١٥١٥)، سنن ابن ماجه (٤ / ٧١٩)، باب الاستغفار، برقم (٣٨١٤). وفي مسلم (٤ / ٢٠٧٥) عن الأغر المزني أن رسول الله ﷺ قال: "إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، برقم (٢٧٠٢).

(٤) جامع البيان (٤١ / ١٥)

لكم، فخطوب النبي ﷺ بخطاب أمته. ذكره ابن الأنباري.^(١) واختار هذا القول الشوكاني حيث قال: فالأمر له أمر لأمته، فهو شرع عام، ومن ذلك الترغيب في صلاة الليل، فإنه يعم جميع الأمة، والتصريح بكونه نافلة يدل على عدم الوجوب، فالتهجّد من الليل مندوب إليه ومشروع لكل مكلف.^(٢) وقال ابن عطية: وتحتل الآية أن يكون هذا على وجه الندب في التنفل، ويكون الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته كخطابه في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [الإسراء: ٧٨] الآية.^(٣)

الترجيح:

والذي يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الثاني، وهو أن النافلة للنبي ﷺ وأمته، والمعنى: ومن الليل فتهدوا به نافلة لكم، فخطوب النبي ﷺ بخطاب أمته، فقد دلت الأدلة المتوافرة على أن الأمر للنبي ﷺ أمر لأمته إلا ما دل الدليل على تخصيصه، فيكون الأمر للنبي ﷺ أمر للأمة بقيام الليل، وهو في حقه ﷺ مستحب، كما دل عليه قول عائشة "فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة"^(٤)، فلا يكون ثمة تخصيص في الآية. وأما على القول بأنه رفعة لدرجاته بخلاف غيره من المسلمين من أنه تكفير للسيئات، ورفعة للدرجات، فيرده ما قاله ابن جرير من أن النبي ﷺ أمر بالاستغفار حتى بعد نزول آية الفتح، ومن المعلوم أن قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] نزلت قبيل وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأنها كانت نعيًا له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٥)، فلا يقال في حقه أنه لم يشرع

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير (٤٧/٣)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢٩٩/٣)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٧٨/٣)

(٤) سبق تخريجه

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير، باب قوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾،

برقم (٤٦٨٦)

الاستغفار لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولا يعارض ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، فإن معنى الآية كما قال ابن جرير هو: "ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح، وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته".^(١) فتبين من ذلك أن الأمر للنبي ﷺ في الآية أمر له ولأئمة، وأن قيام الليل في حقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تطوع كما هو الحال لأئمة، فلا يكون ثمة تخصيص في الآية.

(١) جامع البيان (٢١/٢٣٦)

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ [الإسراء: ٨٦-٨٧].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟

قيل: المراد منه: محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور.

وقال عبد الله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ قال يسري عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً ثم يفيضون في الشعر^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك وهو أعلم؟ فيقول: يا رب أتلى ولا يعمل بي.^{(٢) (٣)}

في هذا الموضع أورد البغوي جواباً واحداً عن التساؤل الذي طرحه، ودل على جوابه بأثرين الأول عن ابن مسعود، والآخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفيهما بيان أن القرآن يرفع من الصدور ويمحى من الصدور، فلا شيء يمنع من ذهابه. قال ابن عطية: "أراد ابن مسعود بتلاوة الآية - أي قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] - أن يبدي أن الأمر جائز الوقوع؛ ليظهر مصداق خبره من كتاب الله تعالى^(٤)". وقد أخرج ابن ماجه والحاكم عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤ / ١٥)

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ١٨٨)

(٣) معالم التنزيل (١٢٧ / ٥)

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٨٢ / ٣)

وليسرى على كتاب الله عَزَّجَلَّ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها". فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: "يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثاً".^(١)

(١) سنن ابن ماجه (٥/١٧٣)، باب ذهاب القرآن والعلم، برقم (٤٠٤٩)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٤/٥٢٠) كتاب الفتن والملاحم برقم (٨٤٣٩) وقال: إسناده على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/١٩٤)، والأرنؤوط في تخريجه لسنن ابن ماجه.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَآ وَبِكَمَا وَصَّمَا مَا وَنَهَمُ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم ووصم وقد قال: ﴿وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وقال: ﴿دَعُوا هَذَا لِكِ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] وقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] أثبت الرؤية والكلام والسمع؟

قيل: يحشرون على ما وصفهم، الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء.

وجواب آخر قال ابن عباس: عميا لا يرون ما يسرهم، بكما لا ينطقون بحجة، صما لا يسمعون شيئاً يسرهم.

وقال الحسن: هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار.

وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: ﴿قَالَ أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فيصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون، ولا ينطقون، ولا يسمعون^(١).
ذكر الإمام البغوي أربعة أجوبة، وهي:

الجواب الأول: أن حالهم حال الحشر، وهو أن يكونوا عميا وبكما وصما، ثم يعاد إليهم السمع والبصر والكلام، واستظهر هذا القول أبو حيان^(٢) والشنقيطي^(٣).

الجواب الثاني: ما أورده عن ابن عباس^(٤) بأنه قال: عميا لا يرون ما يسرهم، بكما لا ينطقون بحجة، صما لا يسمعون شيئاً يسرهم. وقد نسب هذا القول للحسن الألويسي في

(١) معالم التنزيل (١٣٢/٥)

(٢) انظر البحر المحيط في التفسير (١١٥/٧)

(٣) انظر أضواء البيان (١٢٨/٤)

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٣/١٥)

روح المعاني^(١)، واختاره الزمخشري^(٢). وجوز الجوابين الطبري^(٣).

الجواب الثالث: قول الحسن بأن حشرهم بهذه الصفة حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار.

الجواب الرابع: قول مقاتل بأن هذا حين يقال لهم: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون^(٤).

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الخامس: ما ذكره ابن القيم من التفصيل في حال الحشر حيث قال: "وفصل الخطاب: أن الحشر هو الضم والجمع، ويراد به تارة: الحشر إلى موقف القيامة، كقول النبي ﷺ «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً»^(٥) وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، ويراد به الضم والجمع إلى دار المستقر. فحشر المتقين: جمعهم وضمهم إلى الجنة. وحشر الكافرين: جمعهم وضمهم إلى النار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٢٣] من دون الله فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ [٢٣] [الصفافات: ٢٢-٢٣]، فهذا الحشر هو بعد حشرهم إلى الموقف، وهو حشرهم وضمهم إلى النار. لأنه قد أخبر عنهم أنهم قالوا: يا ويلنا هذا يوم

(١) انظر روح المعاني (١٦٦/٨)

(٢) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٦٩٥/٢)

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير (٩٤-٩٣/١٥)

(٤) انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٥٥١/٢)

(٥) متفق عليه من حديث ابن عباس. صحيح البخاري (٢٣٩١/٥) باب كيف الحشر،

برقم (٦١٦٠)، صحيح مسلم (١٥٦/٨) باب صفة الحشر، برقم (٧٣٠٢)

الدين. هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون، ثم قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(١) وهذا الحشر الثاني. وعلى هذا فهم ما بين الحشر الأول من القبور إلى الموقف، والحشر الثاني من الموقف إلى النار، فعند الحشر الأول: يسمعون ويبصرون، ويجادلون، ويتكلمون، وعند الحشر الثاني: يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً. فلكل موقف حال يليق به، ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته. فالقرآن يصدق بعضه بعضاً ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً^(٢). وذكر هذا القول الرازي^(٣).

الترجيح:

الأقرب - والله أعلم - الجواب الخامس، وهو أن الحشر هو الضم والجمع، ويراد به تارة: الحشر إلى موقف القيامة، ويراد به الضم والجمع إلى دار المستقر. فحشر المتقين: جمعهم وضمهم إلى الجنة. وحشر الكافرين: جمعهم وضمهم إلى النار. وهذا فيه الجمع بين الآيات دون الحاجة إلى صرفها عن ظاهرها.

(١) مفتاح دار السعادة (١/٤٥)

(٢) انظر مفاتيح الغيب (٧/٤١١)

سورة الكهف

وفيها ستة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

قال البغوي: "فإن قيل: أي: زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟

قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى.

وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة وهم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء، وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار كما قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزْيِنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].^(١)

طرح الإمام البغوي أربعة أجوبة على التساؤل الذي طرحه، أحدها فيه إعمال لعموم الآية، والبقية فيها تخصيص، والأجوبة هي:

الجواب الأول: أن خلقه الحيات والعقارب والشياطين تدل على وحدانية الله تعالى، فهي زينة بهذا الاعتبار؛ لأنه يدل على وجود خالقه، واتصافه بصفات الكمال والجلال، ووجود ما يحصل به هذا العلم في شيء زينة له^(٢). وهذا القول هو اختيار القرطبي، فقد قال: "والقول بالعموم أولى، وأن كل ما على الأرض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه وإحكامه"^(٣). وهو الذي دل عليه تفسير مجاهد حيث قال: "ما عليها من شيء"^(٤).

الجواب الثاني: أن المراد بالزينة في الآية هو الرجال. وقد نسبه إلى مجاهد، والصحيح أنه مروى عن ابن عباس^(٥)، وسعيد بن جبير^(٦)، وأما المروى عن مجاهد فهو

(١) معالم التنزيل (١٤٤/٥)

(٢) انظر أضواء البيان (٢٠٣/٣)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥٤/١٠)

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٢/١٥) وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٤٥/٧)

(٥) في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣٦١/٥) "أخرجه ابن المنذر وابن مردويه".

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٤٥/٧)

ما سبق ذكره في الجواب الأول.

الجواب الثالث: أن المراد بالزينة في الآية هو العلماء والصلحاء. وهو مروى عن ابن عباس^(١).

الجواب الرابع: أن المراد بالزينة هو الزينة بالنبات والأشجار والأنهار كما قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤]. وهو قول مقاتل^(٢).

وذكر الزمخشري جواباً خامساً، وهو:

الجواب الخامس: أن المراد بالزينة أي ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها^(٣). واختاره النسفي^(٤).

❁ الترجيح: ح:

الجواب الأول هو الأظهر، وهو أن خلقة الحيات والعقارب والشياطين تدل على وحدانية الله تعالى، فهي زينة بهذا الاعتبار؛ لأنه يدل على وجود خالقه، واتصافه بصفات الكمال والجلال، ووجود ما يحصل به هذا العلم في شيء زينة له؛ لأنه فيه إعمالاً بعموم الآية، والأجوبة الأخرى داخل ضمن الجواب الأول، فيكون تفسيرها من قبيل ذكر أفراد العام، والله أعلم.

(١) في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٣٦١) قال السيوطي: أخرجه أبو نصر السجزي في الإبانة.

(٢) انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٣)

(٣) انظر الكشاف (٢/ ٧٠٤)

(٤) انظر مدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٢٨٦)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّبَهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

قال البغوي: "فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة.

قيل: معناه موضع الباب والعتبة، كان الكلب قد بسط ذراعيه، وجعل وجهه عليهم.

قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم، وإذا انقلبوا إلى

اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وورقدها عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسرى وورقدها عليها^(١)."

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً لتساؤله الذي طرحه، وهو:

الجواب الأول: أن المقصود بمعنى الوصيد هو موضع الباب والعتبة، حيث إن

الكهف ليس له باب ولا عتبة. وهذا جواب ابن الجوزي^(٢) والشوكاني^(٣).

وقد ذكر الشنقيطي جواباً آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن الباب يطلق على المدخل الذي يدخل للشيء منه؛ فلا مانع من

تسمية المدخل إلى الكهف باباً.^(٤)

❖ الترجيح:

الظاهر أن المعنى يحتمل الجوابين، فالمدخل يعتبر باباً للكهف، وهو كذلك يعتبر

موضع الباب والعتبة للكهف، والله أعلم.

(١) معالم التنزيل (٥/١٥٨)

(٢) انظر زاد المسير (٣/٧١)

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/٣٢٦)

(٤) انظر أضواء البيان (٣/٢٢٥)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا

[الكهف: ٢٥].

قال البغوي: "فإن قيل: لم قال ثلاثمائة سنين ولم يقل سنة؟

قيل: نزل قوله: "ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة" فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟ فنزلت

"سنين".

قال الفراء: ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة.

وقيل: معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة^(١).

ذكر الإمام البغوي ثلاث أجوبة على التساؤل الذي طرحه، وهو سبب قوله تعالى:

"سنين" بدلا من سنة، والأجوبة هي:

الجواب الأول: استعملت كلمة "سنين" ردا على سؤال المشركين عن الثلاثمائة

أهي أيام أو شهور أو سنين. وقد ورد عن ابن عباس أنه قال: "لما نزلت هذه الآية: ولبثوا

في كهفهم ثلاث مائة قيل: يا رسول الله أياماً أم أشهراً أم سنين؟ فأنزل الله سنين وازدادوا

تسعا^(٢)".

الجواب الثاني: أنه جار في لسان العرب وضع سنين في موضع سنة. ونسب هذا

الكلام للفراء^(٣). وهذا على قراءة حمزة والكسائي بإضافة «مائة» إلى «سنين»، وترك

التنوين، قال ابن عطية: "وكانهم جعلوا «سنين» بمنزلة سنة؛ إذ المعنى بهما واحد. قال

أبو علي - أي الفارسي -^(٤): إذ هذه الأعداد التي تضاف في المشهور إلى الأحاد نحو

(١) معالم التنزيل (٥/ ١٦٥)

(٢) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٣٧٩) حيث نسب تخريجه لابن مردويه.

(٣) انظر معاني القرآن (٢/ ١٣٨). سيتبين من النقل القادم عن الفراء ذكره التفصيل.

(٤) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي الفسوي النحوي ولد بفسا، وقدم بغداد وسكنها،

وأخذ عن علمائها كالزجاج، وأبي بكر السراج، وأبي بكر مبرمان، وأبي بكر الخياط، ودخل الشام

⇐ =

ثلاثمائة رجل وثوب، قد تضاف إلى الجموع".^(١)

الجواب الثالث: أن تقدير الكلام هو ولبشوا في كهفهم سنين ثلاثمائة. قال ابن الجوزي: وهو قول الفراء^(٢) وأبو عبيدة^(٣) والكسائي^(٤) والزجاج^(٥). وقد قرأ الجمهور «ثلاثمائة سنين» بتنوين مائة ونصب «سنين» على البدل من «ثلاثمائة» أو عطف بيان^(٦)، وأما حمزة والكسائي فقد قرأها بغير تنوين^(٧).

الترجيح:

يظهر - والله أعلم - أن الأجوبة الثلاثة محتملة، فقد يكون استعمال كلمة "سنين" رداً على سؤال المشرّكين عن الثلاثمائة أهي أيام أو شهور أو سنين، وأنه جارٍ في لسان

= وأقام بطرابلس، ثم بحلب، وخدم سيف الدولة، ثم رجع إلى بغداد، وأقبل على الإشغال [ص: ٤٣٩] والتصنيف، وعلت منزلته في النحو حتى فضله بعض تلامذته على المبرّد. توفي سنة (٣٧٧هـ). انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٤٣٨ / ٨)، وبغية الوعاة للسيوطي (٤٩٦ / ١)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (١٥ / ٢).

(١) المحرر الوجيز (٥١٠ / ٣)

(٢) قال الفراء في معاني القرآن (١٣٨ / ٢) "وقد قرأ كثير من القراء (ثلاث مائة سنين) يريدون ولبشوا في كهفهم سنين ثلاثمائة فينصبونها بالفعل. ومن العرب من يضع السنين في موضع سنة فهي حينئذ في موضع خفض لمن أضاف. ومن نون على هذا المعنى يريد الإضافة نصب السنين بالتفسير للعدد كقول عنترة: فيها اثنتان وأربعون حلوبة... سودا كخافية الغراب الأسحم. فجعل (سوداً) وهي جمع مفسرة كما يفسر الواحد."

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٩٨ / ١)

(٤) انظر معاني القرآن للكسائي إعداد د. عيسى شحاتة (ص ١٨٦)

(٥) انظر زاد المسير في علم التفسير (٧٨ / ٣)

(٦) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥١٠ / ٣)

(٧) انظر التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ص: ٩٩)

العرب وضع سنين في موضع سنة، ويجوز أن الكلام تقديره: ولبثوا في كهفهم سنين
ثلاثمائة.



الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

قال البغوي: "فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟
قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي﴾، وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام معترض.

وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾^(١).

ذكر الإمام البغوي جوابين عن التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن جواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هو قوله تعالى في الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ جملة معترضة.

الجواب الثاني: أن في الآية تقديراً، وهو: (بل نجازيهم) ثم بين الجزاء بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ قال ابن جرير: "وجائز أن يكون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٦٢] جزء، فيكون معنى الكلام: إن من عمل صالحاً فإننا لا نضيع أجره، فتضمير الفاء في قوله «إنا»^(٢)"

وذكر بعض العلماء جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: أن «إن» الثانية واسمها وخبرها، كل ذلك خبر «إن» الأولى. قال الشنقيطي: "ونظير الآية من القرآن في الإخبار عن «إن» بـ «إن» وخبرها واسمها قوله تعالى في سورة «الحج»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ

(١) معالم التنزيل (١٦٩/٥)

(٢) جامع البيان لابن جرير (٢٥٤/١٥)

أَشْرَكُوا إِيَّاكَ اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... الآية ﴿[الحج: ١٧]﴾، وقول الشاعر:

إن الخليفة إن الله ألبسه

سربال ملك به ترجى الخواتيم^{(١)(٢)}

وقال الزمخشري: "فإن قلت: إذا جعلت إنا لا نُضِيعُ خبراً، فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ؟ قلت: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَنْتَظِمُهُمَا مَعْنَى واحد، فقام مَنْ أَحْسَنَ مقام الضمير. أو أردت: من أحسن عملاً منهم، فكان كقولك: السمن منوان بدرهم. من الأولى للابتداء، والثانية للتبيين".^(٣) وقال ابن عطية: "ومذهب سيبويه أن الخبر في قوله "لا نُضِيعُ" على حذف العائد، وتقديره: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا منهم".^(٤)

الترجيح:

الأقرب هو جواز هذه الأوجه، وهو اختيار ابن جرير^(٥)، فيجوز أن يكون جواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هو قوله تعالى في الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، ويجوز يكون أن في الآية تقدير وهو (بل نجازيهم) ثم بين الجزاء بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، ويجوز أن تكون «إن» الثانية واسمها وخبرها، كل ذلك خبر «إن» الأولى، والله أعلم.

(١) البيت لجرير. انظر ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٢/٦٧٢)

(٢) أضواء البيان (٣/٢٧١)

(٣) الكشف (٢/٧٢٠)

(٤) المحرر الوجيز (٣/٥١٤)

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/٢٥٤)

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦].

قال البغوي: "إن قيل: كيف قال: "ولئن رددت إلى ربي" وهو منكر البعث؟

قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي - على ما تزعم أنت - يعطيني هنالك خيراً منها؛ فإنه لم يعطيني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها^(١)."

لم يذكر البغوي في هذا الموضع غير جواب واحد، وهو: أن قول صاحب الجنتين "ولئن رددت" على سبيل افتراض صدق زعم صاحبه، فإذا كان قد أعطاني هذه الجنة في الدنيا، فسيعطينيها في الآخرة. قال الزمخشري: "قوله تعالى: "وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي" إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه"^(٢) وقال ابن جزري: "قوله: "وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي" إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي"^(٣) ويقول ابن عادل: "فإن قيل: كيف قال: "ولئن رددت إلى ربي" وهو ينكر البعث؟ فالجواب: معناه: ولئن رددت إلى ربي على زعمك، يعطيني هنالك خيراً منها"^(٤) قال أبو حيان: "ثم أقسم على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير، وقياس الأخرى على الدنيا، وكما يزعم صاحبه؛ ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا تطمعا، وتمنيا على الله، وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين في الدنيا إلا لاستحقاقه، وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه"^(٥). وقاله البيضاوي^(٦)، والشوكاني^(١)،

(١) معالم التنزيل (١٧٢ / ٥)

(٢) الكشاف (٧٢٢ / ٢)

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٦٦ / ١)

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٤٨٨ / ١٢)

(٥) البحر المحيط في التفسير (١٧٦ / ٧)

(٦) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٨١ / ٣)

وغيرهم من أهل العلم.



الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنَّ يٰجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْاَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلٰى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ﴾ [الكهف: ٩٤].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفقهون؟

قيل: كلم عنهم مترجم، دليله: قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولاً قال الذين من دونهم يا ذا القرنين^(١)".

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً على التساؤل الذي طرحه، وهو:

الجواب الأول: أن هؤلاء القوم كان يتحدث إليهم ذو القرنين عبر مترجم، ودل على ذلك بقراءة ابن مسعود: "لا يكادون يفقهون قولاً قال الذين من دونهم يا ذا القرنين". قال ابن عطية: "فقهوا وأفهموا بالترجمة ونحوه"^(٢).

وأجاب غيره بأجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: أن معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣] أنهم لا يعرفون شيئاً من قول غيرهم، فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة بحيث لا يعرفها تراجمة ذي القرنين؛ لأن شأن الملوك أن يتخذوا تراجمة ليرجموا لغات الأمم الذين يحتاجون إلى مخاطبتهم، فهؤلاء القوم كانوا يتكلمون بلغة غريبة لانقطاع أصقاعهم عن الأصقاع المعروفة، فلا يوجد من يستطيع إفهامهم مراد الملك، ولا هم يستطيعون الإفهام.^(٣) وعلى هذا المعنى يكون إعرابهم عما في نفوسهم من الأغراض مثل إعراب الأطفال.^(٤)

(١) معالم التنزيل (٥/٢٠١-٢٠٢)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٥٤١)، وانظر نظم الدرر للبقاعي (٤/٥٠٤)

(٣) انظر التحرير والتنوير (١٦/٣١)

(٤) المصدر نفسه (١٦/٣٢)

الجواب الثالث: المعنى أنهم قوم متوغلون في البداوة والبلاهة فلا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم.^(١) وعلى هذا يكون أنه لا يفهم مرادهم إلا بعد مشقة. وهذا الجواب نحا إلى أن العلة هي صعوبة فهم المراد، حتى لو فقهوا كلام المتحدث إليهم. وهذان الجوابان - الثاني والثالث - ذكرهما ابن عاشور، وهو على معنى أنهم لا يفهمون قول غيرهم مطلقاً.

الجواب الرابع: أن فهم ذي القرنين لكلامهم من جملة الأسباب التي أعطاها الله.^(٢)

❖ الترجيح:

الراجح هو الجواب الأول، وهو: أن هؤلاء القوم كان يتحدث إليهم ذو القرنين عبر مترجم، وقد دل عليه قراءة ابن مسعود، وهي بمثابة التفسير للقرآن كما هو متقرر عند أهل العلم، قال الزركشي: "فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله إنما يعرف ذلك العلماء"^(٣). "والله أعلم.

(١) المصدر نفسه (١٦ / ٣١)

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣ / ٣٦٨)

(٣) البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٣٧)

سورة مريم

وفيها موضعان



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾

[مريم: ١٨].

قال البغوي: "فإن قيل إنما يستعاذ من الفاجر، فكيف قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً؟"

قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني؛ أي: ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم، وكذلك ها هنا".^(١)

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً عن التساؤل الذي طرحه، وهو:

الجواب الأول: أن معنى الاستعاذة بالله من التقي، هو تذكيره بأنه ينبغي أن يكون إيمانه رادعاً له عن الظلم والفجور. قال ابن جرير: "تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه، لأن من كان لله تقياً، فإنه يجتنب ذلك".^(٢) وقال ابن عاشور: "ومجيء هذا التذكير بصيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه قصد لتهييج خشيته، وكذلك اجتلاب فعل الكون الدال على كون التقوى مستقرة فيه. وهذا أبلغ وعظ وتذكير وحث على العمل بتقواه".^(٣) وقد أخرج الطبري عن ابن زيد أنه قال: "قد علمت أن التقي ذو نهية حين قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾"^(٤).

وأجاب بعض العلماء بأجوبة أخرى، وهي:

(١) معالم التنزيل (٥/٢٢٣)

(٢) جامع البيان (١٥/٤٨٧)

(٣) التحرير والتنوير (١٦/٨١)

(٤) جامع البيان (١٥/٤٨٧)

الجواب الثاني: أنها شكت في حاله، فقالت ما قالت علي الشك.^(١)

الجواب الثالث: أن كنت متقياً يعني: ما كنت متقياً جئت دخلت علي في هذه

الحالة، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ أي: ما كان للرحمن ولد.^(٢)

الجواب الرابع: أن رجلا اسمه "تقي"، وأن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ظنته إياه، فتعوذت بالله

منه. قال ابن عطية: "وهو ضعيف ذاهب مع التخرص".^(٣) وضعفه كذلك ابن جزي.^(٤)

❖ الترجيح:

الأظهر هو الجواب الأول، وهو أن معنى الاستعاذة بالله من التقي، هو تذكيره بأنه

ينبغي أن يكون إيمانه رادعاً له عن الظلم والفجور. قال ابن الجوزي: "إن كنت تتقي الله،

فستنتهي بتعوذي منك، هذا هو القول عند المحققين".^(٥) والله أعلم.

(١) انظر تفسير السمعاني (٢٨٣/٣)

(٢) المصدر نفسه (٢٨٣/٣)

(٣) المحرر الوجيز (٩/٤)

(٤) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٨/١)

(٥) زاد المسير في علم التفسير (١٢٤/٣)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

قال البغوي: "فإن قيل: لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟

قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال، وقيل: بالاستكثار من الخير".^(١)

طرح الإمام البغوي جوابين للتساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن معنى الأمر بالزكاة أي لو كان له مال. قال ابن عاشور: "أي أن يصلي ويتصدق في أوقات التمكن من ذلك".^(٢)

الجواب الثاني: أن الأمر بالزكاة أمر بالاستكثار من الخير.

وزاد بعض العلماء جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: أن المعنى الأمر بالطهارة من الذنوب. ذكره ابن جرير^(٣). ومن المعلوم أن من معاني الزكاة الطهارة. وقال الأزهري: "الزكاة: زكاة المال، وهو تطهيره، والفعل منه: زكى يزكي تزكية، والزكاة: الصلاح".^(٤) وقال ابن فارس: "وقال بعضهم: سميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة".^(٥)

(١) معالم التنزيل (٥/ ٢٣٠)

(٢) التحرير والتنوير (١٦/ ١٠٠)

(٣) انظر جامع البيان (١٥/ ٥٣١)، وانظر كذلك تفسير ابن عطية (٤/ ١٤)، وتفسير ابن جزي (١/ ٤٨٠)

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١٧٥)

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٧)

❖ الترجيح:ح:

يظهر أن الأجوبة كلها محتملة؛ لاحتمال معنى الزكاة الأجوبة الثلاثة، فزكاة المال واجبة في حال وجود عينها، والأمر بالزكاة يشمل الاستكثار من الخير، والطهارة من الذنوب في المعنى العام للزكاة. والله أعلم.



سورة طه

وفيها أربعة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ وقد سبق علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟

قيل: معناه اذهباً على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما.

وقال الحسين بن الفضل^(١): هو ينصرف إلى غير فرعون، مجازة: لعله يتذكر متذكر، ويخشى خاش إذا رأى بري وألطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية. وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق^(٢): "لعل" من الله واجب^(٣)، ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية، وذلك حين أجمه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين"^(٤).

ذكر الإمام البغوي ثلاث أجوبة على التساؤل الذي طرحه، وهي:

الجواب الأول: أن معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ مع سابق علمه بأن فرعون لن يتذكر ولن يسلم؛ هو اذهباً على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما.

(١) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي: العلامة، المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره. قال الحاكم: كان إمام عصره في معاني القرآن. أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، وأنزله واليها عبد الله بن طاهر، في دار اشتراها له (سنة ٢١٧)، فأقام فيها يعلم الناس ٦٥ سنة. توفي سنة (٥٢٨٢هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/٤١٤)، ولسان الميزان لابن حجر (٢٠١/٣)، والأعلام للزركلي (٢/٢٥١).

(٢) هو محمد بن عمر الوراق الترمذي أبو بكر، مؤدب الأولياء، صوفي، ولد بترمذ، وأقام ببلخ، وصحب أحمد بن خضرويه البلخي توفي سنة (٢٤٠هـ). انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (١٠/٢٣٥)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١١/٩٧).

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن (٤/٣٩٢).

(٤) معالم التنزيل (٥/٢٧٥).

وهذا اختيار الزجاج حيث قال: "كأنه قال اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما، والله عَزَّجَلَّ من وراء ذلك وعالم بما يؤول إليه أمر فرعون"^(١). واختاره سيبويه.^(٢) وقال ابن الجوزي: "وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى، إلا أن الحجة إنما تجب عليه بالآية والبرهان، وإنما تبعث الرسل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيقبل منها، أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم، ومعنى «لعل» متصور في أنفسهم، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة"^(٣).

الجواب الثاني: بأن المراد هو غير فرعون، فالمعنى: لعله يتذكر متذكر، ويخشى خاش إذا رأى بري وألطافي بمن خلقته، وأنعمت عليه، ثم ادعى الربوبية. ونسب هذا القول للحسين بن الفضل.

الجواب الثالث: وهو جواب أبي بكر الوراق أن "لعل" من الله واجب، ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية، وذلك حين ألجمه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين.

وزاد بعض العلماء جواباً، وهو:

الجواب الرابع: "لعل" ها هنا بمعنى الاستفهام. والمعنى: فانظرا هل يتذكر أو يخشى.^(٤) وهو قول ابن عباس.^(٥)

الترجيح:

ويظهر قوة الجواب الأول، وهو: أن معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٤٤)

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٩٨)

(٢) انظر الكتاب لسيبويه (ص: ٦٧)

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٣/١٦٠)

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢٠٠)

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٧٥)

مع سابق علمه بأن فرعون لن يتذكر ولن يسلم، هو اذهباً على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما، فهذا الجواب هو الذي يوافق ظاهر القرآن، ومعنى "لعل" على ما وضع له في اللغة أنها للترجي بالنسبة لموسى وهارون، والجواب الثالث والرابع فيهما قوة كذلك، وأما الجواب الثاني ففيه تكلف وصرف عن ظاهر القرآن، والله أعلم.



الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾^(١) والله خير وأبقى ﴿٧٣﴾ [طه: ٧٣].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قالوا هذا، وقد جاءوا مختارين يحلفون بعزة فرعون أن لهم الغلبة؟"

قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله، وقد كان أكرههم في الابتداء.

وقال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل، كان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾^(٢)

وقال عبد العزيز بن أبان^(١): قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾^(٢).

ذكر البغوي جوابين على التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: نسبه للحسن^(٣)، وهو أن فرعون كان يكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله، وقد كان أكرههم في الابتداء. قال الشنقيطي: "ولا ينافي ذلك أنهم

(١) هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص الأموي، أبو خالد: فقيه، من رجال الحديث. متهم بوضعه. تركه ابن معين وأحمد بن حنبل والبخاري. كان مقيماً في الكوفة، وولي قضاء واسط في أيام المأمون العباسي، ثم عزل وقدم بغداد. وتوفي بها سنة (٢٠٧). انظر الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٥٠٣/٦) وتاريخ بغداد للخطيب (٢٠٣/١٢) والأعلام للزركلي (١٢/٤).

(٢) معالم التنزيل (٢٨٥/٥)

(٣) لم أجده.

فعلوا ما فعلوا من السحر بعد تعلمهم وكبرهم طائعين" ^(١) وقد روى الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال عن السحرة: "غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة، تعلمهم السحر بالفرما" ^(٢) وروى الطبري كذلك عن ابن زيد أنه قال في قوله: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ [طه: ٧٣]: "أمرهم بتعلم السحر، قال: تركوا كتاب الله، وأمروا قومهم بتعليم السحر" ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ [طه: ٧٣] قال: أمرتنا أن نتعلمه" ^(٣). ونقل الإمام البغوي قول مقاتل في أنه كانت السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل، كان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ ^(٤).

الجواب الثاني: قول عبدالعزيز بن أبان؛ وهو: أن قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ ^(٥).

وزاد بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: ذكره الشنقيطي واستظهره، وهو: أن فرعون أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم، فلما أكرهوا على القدوم وأمروا بالسحر أتوه طائعين، فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر، فانفكت الجهة، وبذلك ينتفي التعارض، ويدل لهذا قوله: ﴿وَأَبَعْتُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ^(٣٦)

(١) أضواء البيان (٤/ ٦٦)

(٢) انظر جامع البيان (١٦/ ١١٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٨)

(٣) انظر جامع البيان (١٦/ ١١٧)

(٤) الذي ورد في تفسير مقاتل هو ذكر الإجماع دون ذكر العدد. انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣)

(٥) ذكره كذلك الثعلبي في تفسيره. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٢٥٤)

[الشعراء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَأَرْسَلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]^(١).

الجواب الرابع: ذكره السعدي واستظهره، وهو: أن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١] أثر معهم ووقع منهم موقعا كبيرا ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام والموعظة، ثم إن فرعون ألزمهم ذلك وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق قبل إتيانهم حيث قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا نِسْحِرَانِ يَأْتِيَانِي إِذَا نَحْنُ نَسْتَعِينُ﴾ [طه: ٦٣] فجروا على ما سنه لهم وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة التي قامت بقلوبهم من كراحتهم لمعارضة الحق بالباطل، وفعلهم ما فعلوا على وجه الإغماض؛ هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووقفهم للإيمان والتوبة.^(٢)

الترجيح: ح

الذي يظهر هو الجواب الأول، وهو أن الإكراه كان ابتداء في تعليمهم السحر، حيث فسر ابن عباس الآية بذلك، وهو الذي يجمع بين النصين؛ حيث أكرهوا على تعلمه في البداية، وأتوه طائعين لما بعث إليهم ليواجهوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والجواب الثالث قريب منه، وهو كما قال الشنقيطي يجمع بين الآيات. والله أعلم.

(١) انظر أضواء البيان (٤/٦٦).

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٩).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس؟

قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعت في الكهف حذرا عليه، فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة"^(١).

لم يجب الإمام البغوي غير جواب واحد بعد أن قرر أن المراد بالرسول في الآية هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَام^(٢)، والجواب هو:

الجواب الأول: أن أم السامري لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعت في الكهف حذرا عليه، فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة. وقد روى الطبري: عن ابن جريج قال: "لما قتل فرعون الوالدان قالت أم السامري: لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أدري قتله، فجعلته في غار، فأتى جبريل، فجعل كف نفسه في فيه، فجعل يرضعه العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: "فقبضت قبضة من أثر الرسول"^(٣).

وزاد بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: ما ذكره السمعاني من أن جبريل كان على فرس حصان أبلق، وكان ذلك الفرس تسمى فرس الحياة، وكان كلما وضع الفرس حافره على موضع أخضر ما تحت حافره، فعرف أنه فرس الحياة، وكان سمع بذكره، وأن الذي عليه جبريل، فأخذ

(١) معالم التنزيل (٥/ ٢٩٢)

(٢) خالف في ذلك أبو مسلم الأصفهاني فإنه يرى أن المراد بالرسول هو موسى عَلَيْهِ السَّلَام، فيكون المعنى: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول؛ أي شيئا من سنتك ودينك فقدفته أي طرحته. انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢٢/ ٩٥)

(٣) رواه الطبري. انظر جامع البيان (١٦/ ١٤٨)

القبضة. (١)

الجواب الثالث: ما ذكره الزمخشري من أنه حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل ركباً حيزوم فرس الحياة ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إن لهذا شأنًا، فقبض قبضة من تربة موطئه، فلما سأله موسى عن قصته قال: قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد، ولعله لم يعرف أنه جبريل. (٢) ولهذا لم يسمه بجبريل، وإنما قال "أثر الرسول". وعلى هذا التفسير لا يرد سؤال الإمام البغوي في أنه كيف عرف السامري جبريل.

❖ الترجيح:ح:

هذا الموضوع من المواضع التي أبهم الله تعالى كيفية معرفة السامري لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يرد في بيان ذلك شيء صحيح، فهو من الغيبات التي لا نستطيع الجزم بالجواب عنها. والله أعلم.

(١) انظر تفسير السمعاني (٣/٣٥٢)

(٢) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/٨٤)

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا

[طه: ١١٥].

قال البغوي: "فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟
قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن
الإنسان، بل كان مؤاخذاً به، وإنما رفع عنا.

وقيل: نسي عقوبة الله، وظن أنه نهي تنزيهاً^(١).

ذكر الإمام البغوي جوابين عن التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن النسيان المراد به هنا الذي هو ضد الذكر، وهو في شريعة من
قبلنا ليس معفوا عنه كما هو الحال في أمة محمد ﷺ. واستظهر هذا القول الشنقيطي حيث
قال: "وأظهر أوجه الجواب عندي عن ذلك: أن آدم لم يكن معذوراً بالنسيان. وقد بينت
في كتابي (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) الأدلة الدالة على أن العذر بالنسيان
والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة. كقوله هنا: "فنسي" مع قوله: "وعصى" فأسند
إليه النسيان، والعصيان؛ فدل على أنه غير معذور بالنسيان. ومما يدل على هذا ما ثبت في
صحيح مسلم من حديث ابن عباس وأبي هريرة: أن النبي ﷺ لما قرأ ربنا "لا تؤاخذنا إن
نسينا أو أخطأنا"، قال الله: "نعم قد فعلت"^(٢). فلو كان ذلك معفواً عن جميع الأمم لما
كان لذكره على سبيل الامتنان وتعظيم المنة عظيم موقع. ويستأنس لذلك بقوله: كما
حملته على الذين من قبلنا، ويؤيد ذلك حديث: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ،
والنسيان وما استكرهوا عليه»^(٣). فقوله «تجاوز لي عن أمتي» يدل على الاختصاص بأتمته.

(١) معالم التنزيل (٥/٢٩٨)

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/٨٠). باب بيان أنه ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق، برقم (٢٤٤)

(٣) رواه ابن ماجه في سننه عن ابن عباس (٣/٢٠٠). باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٥)، والحاكم
في المستدرک (٢/١٩٨) كتاب الطلاق برقم (٢٨٠١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين
ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/١٢٣).

وليس مفهوم لقب. لأن مناط التجاوز عن ذلك هو ما خصه الله به من التفضيل على غيره من الرسل".^(١) وهذا القول مروى عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير.^(٢) قال الرازي: "وإنما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان."^(٣)

الجواب الثاني: نسي عقوبة الله، وظن أنه نهي تنزيها. وهذا القول فيه بُعد، فالله تعالى قد قال لآدم وحواء "ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" ومن ارتكب المكروه لا يعد ظالما لنفسه.

وزاد بعض العلماء جوابا، وهو:

الجواب الثالث: أن النسيان: أطلق هنا على إهمال العمل بالعهد عمدا، كقوله في قصة السامري فنسي، فيكون عصيانا، وهو الذي يقتضيه قوله تعالى: وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. ذكره ابن عاشور^(٤). فيكون النسيان هنا ضد الترك. وهو اختيار الطبري^(٥)، وابن عطية^(٦). وأخرج الطبري في تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَنَىٰ﴾ [طه: ١١٥] يقول: فترك.^(٧) وهو قول مجاهد^(٨).

(١) أضواء البيان (٤/ ١٠٤ - ١٠٥)

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ١٨٣)

(٣) مفاتيح الغيب (٨/ ١٠٦)

(٤) انظر التحرير والتنوير (١٦/ ٣١٩)

(٥) انظر جامع البيان (١٦/ ١٨٢)

(٦) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٦٦)

(٧) انظر جامع البيان (١٦/ ١٨٢)

(٨) المصدر نفسه (١٦/ ١٨٢)

الترجيح:

يتبين مما سبق قوة الجواب الثالث، ويؤيده وجهان:

الوجه الأول: أن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وقوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] يدلان على أنه ما نسي - الذي هو ضد الذكر - النهي حال الإقدام.

الوجه الثاني: أنه لو كان ناسياً لما عوتب على ذلك الفعل^(١). والله أعلم.



(١) انظر الباب لابن عادل (١/١٥٢)

سورة الأنبياء

وفيها أربعة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَنَقَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قال البغوي: "فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟

قيل: هذا على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوقة من الماء أو بقاؤه بالماء"^(١).

ذكر البغوي جواباً واحداً على التساؤل الذي طرحه، وهو:

الجواب الأول: أن قوله تعالى: ﴿فَفَنَقَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] هو من قبيل التكثير. فالمخلوقات أكثرها مخلوقة من الماء أو بقاؤها بالماء. والجزء الثاني، وهو قوله: (أو بقاؤه بالماء) يوافق ما سيأتي في الجواب الرابع - إن شاء الله -.

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: ذكره السمعاني وهو: أن الماء هنا هو النطفة، والحي هو الأدمي، ومعناه: كل شيء حي من الأدمي.^(٢) وعلى هذا فهو من العام المخصوص.^(٣) وهذا رأي أبي العالية^(٤).

الجواب الثالث: أن الآية على عمومها، فالحيوانات إما مخلوقة من الماء مباشرة كبعض الحيوانات التي تتخلق من الماء، وإما غير مباشرة؛ لأن النطف من الأغذية، والأغذية كلها ناشئة عن الماء، وذلك في الحبوب والثمار ونحوها ظاهر، وكذلك هو في

(١) معالم التنزيل (٥/٣١٦)

(٢) انظر تفسير السمعاني (٣/٣٧٧)

(٣) انظر أضواء البيان (٤/١٤٢)

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٥١)

اللحوم، والألبان، والأسمان ونحوها؛ لأنه كله ناشئ بسبب الماء. ^(١) قال الرازي: "وهذا القول أليق بالمعنى المقصود. ودل على أن النبات يسمى حيا بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠]" ^(٢). وعن خروج آدم والملائكة والجن وعيسى عن هذا العموم يقول الرازي: "اللفظ وإن كان عاما إلا أن القرينة المخصصة قائمة؛ فإن الدليل لا بد وأن يكون مشاهدا محسوسا ليكون أقرب إلى المقصود، وبهذا الطريق تخرج عنه الملائكة والجن وآدم وقصة عيسى عليهم السلام، لأن الكفار لم يروا شيئا من ذلك." ^(٣)

الجواب الرابع: أن معنى الآية: وأحيينا بالماء الذي نزله من السماء كل شيء. وهذا رأي ابن جرير، وقد بنى هذا التفسير على أن معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] هو أن السماء كانت رتقا لا تمطر، والأرض كانت رتقا لا تنبت، فقد قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث، والأرض بالنبات، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] على ذلك، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه." ^(٤)

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الرابع، وهو أن معنى الآية: وأحيينا بالماء الذي نزله من السماء كل شيء؛ حيث إن السياق يدل على أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] هو أن سبب بقاء الحياة هو

(١) انظر أضواء البيان (٤/ ١٤٢)

(٢) مفاتيح الغيب (٨/ ١٣٨)

(٣) المصدر نفسه (٢٢/ ١٣٨)

(٤) جامع البيان (١٦/ ٢٥٩)

الماء. ونسب ابن الجوزي هذا القول لأكثرية المفسرين حيث قال: "والمعنى: جعلنا الماء سبباً لحياة كل حي، قاله الأكثرون".^(١) وخالفه الشوكاني فنسب القول بأن القول بأن المقصود بالماء النطفة لأكثرية المفسرين، حيث قال: "وقيل: المراد بالماء هنا النطفة، وبه قال أكثر المفسرين".^(٢)



(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٨٩)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٧٨)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ مِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاء والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت^(١)".
ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً، وهو:

الجواب الأول: أن الريح كانت تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت. وضرب الشنقيطي مثالا لذلك فقال: "كأن تعصف ويشد هبوبها في أول الأمر حتى ترفع البساط الذي عليه سليمان وجنوده، فإذا ارتفع سارت به رخاء حيث أصاب"^(٢). وذكر هذا الجمع كذلك الزمخشري^(٣) وأبو السعود^(٤) والنسفي^(٥) والشوكاني، وقال: إنه الأول في الجمع بين الآيتين^(٦).

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: ما ذكره الزمخشري حيث قال: "كانت في نفسها رحية طيبة كالنسيم، فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة، على ما قال: ﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]. فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها، مع طاعتها لسليمان، وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم^(٧).

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٣٥)

(٢) أضواء البيان (٤/ ٢٣٥)

(٣) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٣٠)

(٤) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٨٠)

(٥) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤١٥)

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٩٧)

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٣٠)

الجواب الثالث: كانت رخاء في ذهابه، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع. ذكره ابن جزي.^(١)

✻ الترجيح: ح:

الآية تحتمل هذه الأجوبة الثلاثة، وقد وهب الله تعالى النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ملكاً لم يهبه لأحد غيره، ولا منافاة بين هذه الأجوبة، والله أعلم.



(١) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٧)

الموضع الثالث: قوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

قال البغوي: "فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ و﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ [ص: ٤١]؟

قيل: ليس هذا شكاية، إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق، فأما الشكوى إلى الله عزَّجَلَّ فلا يكون جزعاً ولا ترك صبر كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً^(١)، كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: "أجدني مغموماً وأجدني مكروباً"^(٢).

وقال لعائشة حين قالت وارسأه: "بل أنا وارسأه"^(٣).

ذكر الإمام البغوي جوابين على التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن قول أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مسنى الضر" لا يعد شكوى، بل هو دعاء بدليل قوله تعالى: "فاستجبنا له" فالشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر. وقال ابن سعدي:

(١) وجدت ذكره في أكثر من تفسير لكنني لم أعثر على من رواه.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٢٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه عبد الله بن ميمون القداح، وهو ذاهب الحديث. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٣٥)، قال ابن حجر عن القداح: منكر الحديث متروك. تقريب التهذيب (ص: ٣٢٦)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١/ ٦٤٢).

(٣) رواه البخاري من حديث عائشة (٥/ ٢١٤٥). باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وارسأه أو اشتد بي الوجع وقول أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣)، برقم (٥٣٤٢)

"إن أيوب توسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه^(١). قال ابن القيم: والشكوى إلى الله عزَّوجلَّ لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وعد بالصبر الجميل، والنبى إذا وعد لا يخلف، ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وكذلك أيوب أخبر الله عنه أنه وجد صابراً مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله^(٢)."

الجواب الثاني: هو قول سفيان بأن إظهار الشكوى إلى الناس، وهو راض بقضاء الله تعالى؛ لا يكون ذلك جزعاً، واستدل على قوله بالسنة بحديث جبريل وحديث عائشة. قال القرطبي: "فأما إظهار البلوى على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر"^(٣).

✻ الترجيح ————— ح:

الذي يظهر أنه لا تعارض بين الجوابين، فأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما أظهر الشكوى إلى الله تعالى، من باب الدعاء، وتوسل إليه بحاله، كما أن إظهار الشكوى إلى الناس، مع الرضى بقضاء الله تعالى؛ لا يكون جزعاً. والله أعلم.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٢٨)

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٦٠)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٧٤)

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ

[الأنبياء: ١١٢].

قال البغوي: "فإن قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم إلا بالحق؟

قيل: الحق هاهنا بمعنى العذاب، كأنه استعجل العذاب لقومه؛ فعذبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقال أهل المعاني: معناه رب احكم بحكمك الحق، فحذف الحكم، وأقيم الحق مقامه، والله تعالى يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه الحق^(١)."

ذكر الإمام البغوي جوابين، هما:

الجواب الأول: أن معنى الحق في الآية هو العذاب، فكأنه استعجل العذاب لقومه، فعذبوا يوم بدر، ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]. قال ابن الجوزي: "ومعنى «احكم بالحق» أي: بعذاب كفار قومي الذي نزوله حق، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدر وفيما بعده من الأيام. والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق"^(٢). وهو رأي ابن عباس فقد أخرج ابن جرير عنه قوله: "لا يحكم بالحق إلا الله، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا، يسأل ربه على قومه"^(٣). واختار هذا القول ابن جرير^(٤).

الجواب الثاني: أن الحق صفة للحكم، فالمعنى احكم بحكمك الحق، فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه. ونسب هذا القول لأهل اللغة. وقد قال أبو عبيدة: "الصفة ههنا

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٦٠)

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢١٩)

(٣) جامع البيان (١٦/ ٤٤٣)

(٤) المصدر نفسه (١٦/ ٤٤٥)

أقيمت مقام الموصوف، والتقدير: رب احكم بحكمك الحق". ذكره القرطبي عنه.^(١)
وقد قال الطبري: "وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: "رب احكم بالحق" قل: رب احكم
بحكمك الحق، ثم حذف الحكم الذي الحق نعت له، وأقيم الحق مقامه.
ولذلك وجه".^(٢)

الترجيح:

الجواب الأول هو الأقرب، فالحق هاهنا بمعنى العذاب؛ لأنه استعجل العذاب
لقومه. فسره بذلك ابن عباس، وقد قال الطبري عن هذا الجواب: "إنه أوضح وأشبه بما
قاله أهل التأويل، فلذلك اخترناه".^(٣)



(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٣٥١). ولم أجده في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة
المطبوع.

(٢) جامع البيان (١٦/٤٤٥)

(٣) المصدر نفسه (١٦/٤٤٥)

سورة الحج

وفيها ثلاثة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].

قال البغوي: هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة:

أولها قالوا: قد قال الله في الآية الأولى "يدعو من دون الله ما لا يضره"، وقال هاهنا: "لمن ضره أقرب"، فكيف التوفيق بينهما؟

قيل قوله في الآية الأولى: "يدعو من دون الله ما لا يضره" أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: "لمن ضره أقرب" أي: ضر عبادته.

فإن قيل: قد قال: "لمن ضره أقرب من نفعه"، ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟

قيل: هذا على عادة العرب، فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيداً، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]؛ أي: لا رجوع أصلاً، فلما كان نفع الصنم بعيداً، على معنى: أنه لا نفع فيه أصلاً؛ قيل: ضره أقرب؛ لأنه كائن.

السؤال الثالث: قوله: ﴿لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ما وجه هذه اللام؟ اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هي صلة، مجازها: يدعو من ضره أقرب، وكذلك قرأها ابن مسعود. وقيل: "لمن ضره" أي إلى الذي ضره أقرب من نفعه. وقيل: "يدعو" بمعنى يقول: والخبر محذوف؛ أي يقول: لمن ضره أقرب من نفعه هو إله. وقيل: معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو، فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى، ولو قلت: يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب، ثم يحذف الأخير جاز. وقيل: على التوكيد، معناه: يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه. وقيل: "يدعو من" صلة قوله: "ذلك هو الضلال البعيد"، يقول: ذلك هو الضلال البعيد يدعو، ثم استأنف فقال: "لمن ضره أقرب من نفعه"، فيكون "من" في محل رفع بالابتداء وخبره: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ﴾^(١).

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٦٩ - ٣٧٠)

في هذا الموضوع توسع الإمام البغوي في طرح الأسئلة؛ حيث طرح ثلاثة تساؤلات:

التساؤل الأول:

قد قال الله في الآية الأولى: "يدعو من دون الله ما لا يضره"، وقال هاهنا: "لمن ضره أقرب"، فكيف التوفيق بينهما؟ وقد أجاب عن هذا التساؤل بجواب واحد وهو:

الجواب الأول: أن قوله في الآية الأولى: "يدعو من دون الله ما لا يضره" أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: "لمن ضره أقرب" أي: ضر عبادته. فحمل كل آية على معنى.

وذكر غيره أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: ما ذكره أبو حيان بأن حمل الآية الأولى على من يعبد الأصنام، والآية الثانية على من عبد الطواغيت الذين دعوا إلى عبادة أنفسهم؛ لذلك اختلف التعبير، ففي الآية عبر بـ "ما" لغير العاقل، والثانية بـ "من" التي هي للعاقل، فقال: ونفى هنا الضر والنفع، وأثبتهما في قوله لمن ضره أقرب من نفعه؛ وذلك لاختلاف المتعلق، وذلك أن قوله ما لا ينفعه هو الأصنام والأوثان، ولذلك أتى التعبير عنها بما التي لا تكون لأحد من يعقل. وقوله "يدعو لمن ضره" هو من عبد باقتضاء، وطلب من عابديه من المدعين الإلهية كفرعون وغيره من ملوك بني عبید الذين كانوا بالمغرب ثم ملكوا مصر، فإنهم كانوا يدعون الإلهية، ويطاف بقصرهم في مصر، وينادون بما ينادى به رب العالمين من التسبيح والتقديس، فهؤلاء وإن كان منهم نفع ما لعابديهم في دار الدنيا فضررهم أعظم وأقرب من نفعهم؛ إذ هم في الدنيا مملوكون للكفار وعابدون لغير الله، وفي الآخرة معذبون العذاب الدائم ولهذا كان التعبير هنا بمن التي هي لمن يعقل^(١). وقال بوجاهة هذا الجواب الشنقيطي.^(٢)

الجواب الثالث: ما ذكره ابن جزى حيث قال: "أن الضر المنفي أو لا يراد به ما

(١) انظر البحر المحيط في التفسير (٧/٤٨٩)، وانظر كذلك مفاتيح الغيب (٨/٢٠٩)

(٢) انظر أضواء البيان (٤/٢٨٥)

يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئاً، والضرر الثاني: يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره".^(١) وقالوا: وذلك يكفي في إضافة الضرر إليها، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنهِنَّ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، فأضاف الإضلال إليهم من حيث كانوا سبباً للضلال.^(٢) واختار هذا التوجيه ابن تيمية فقال: "وهذا كقول الخليل عن الأصنام: ﴿رَبِّ إِنهِنَّ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، فنسب الإضلال إليهن والإضلال هو ضرر لمن أضلننه وكذلك قوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ﴾ [هود: ١٠١]، وهذا كما يقال: أهلك الناس الدرهم والدينار وأهلك النساء الأحمران الذهب والحديد، وكما يقال للمحبوب المعشوق الذي تضرر محبته وعشقه: إنه عذب هذا وأهلكه وأفسده وقتله وعثره، وإن كان ذاك المحبوب قد لا يكون شاعراً بحال هذا ألبتة؛ وكذلك يقال في المحسود: إنه يعذب حاسديه وإن كان لا شعور له بهم".^(٣) وقال ابن عاشور: "ولما كان الضرر الحاصل من الأصنام ليس ضراً ناشئاً عن فعلها بل هو ضرر ملابس لها؛ أثبت الضرر بطريق الإضافة للضمير دون طريق الإسناد إذ قال تعالى: "لمن ضره أقرب من نفعه"، ولم يقل: لمن يضر ولا ينفع، لأن الإضافة أوسع من الإسناد فلم يحصل تناف بين قوله ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ وقوله ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾".^(٤)

الجواب الرابع: ما ذكره الزمخشري حيث قال: "إن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به، ثم قال^(٥): يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ، حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها "لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣٤ / ٢)

(٢) انظر مفاتيح الغيب (٢٠٩ / ٨)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧٤ / ١٥)

(٤) التحرير والتنوير (٢١٦ / ١٧)

(٥) هكذا في المطبوع، وفي نقل ابن تيمية عنه في الفتاوى "قام" بدلا من "قال".

لِبَسِّ الْمَوْلَى وَلِبَسِّ الْعَشِيرِ" أو كرّر يدعو، كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبس المولى".^(١) ورد أبو حيان هذا الجواب فقال: "والذي أقول: إن الصنم ليس له نفع ألبتة حتى يقال ضره أقرب من نفعه".^(٢) ورده كذلك الشنقيطي فقال: "ولا يخفى أن جواب الزمخشري هذا غير مقنع؛ لأن المعبود من دون الله ليس فيه نفع ألبتة، حتى يقال فيه: إن ضره أقرب من نفعه".^(٣)

❖ الترجيح — ح:

الجواب الثالث هو الأقرب إلى الصواب، وهو ما ذكره ابن جزري من أن الضر المنفي أولاً يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئاً، والضر الثاني: يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره، وهو اختار ابن تيمية. وأما الجواب الأول وهو أن قوله في الآية الأولى: "يدعو من دون الله ما لا يضره" أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: "لمن ضره أقرب" أي: ضر عبادته، فهو صرف عن ظاهر الآية دون دليل. وأما ما ذكره أبو حيان من التفريق بين "ما" و"من" فيقال إنه لا أحد يملك النفع والضر غير الله تعالى سواء كان المعبود عاقلاً أو غير عاقل، وقد قال ابن تيمية عن الآية: "هو نفي لكون المدعو المعبود من دون الله يملك نفعاً أو ضراً وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن والكواكب والأوثان كلها، فإن ما سوى الله لا يملك لا لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً".^(٤) والله أعلم.

(١) الكشف (١٤٧/٣)

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤٩٠/٧)

(٣) أضواء البيان (٢٨٥/٤)

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧٣/١٥)

التساؤل الثاني:

إن الله تعالى قد قال: "لمن ضره أقرب من نفعه" ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟

وأجاب الإمام البغوي بجواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن هذا جرى على عادة العرب، فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيداً، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:٣]؛ أي: لا رجوع أصلاً، فلما كان نفع الصنم بعيداً، على معنى: أنه لا نفع فيه أصلاً. واختاره النحاس^(١) وابن الجوزي^(٢).

وذكره بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن ذكر النفع من باب التسليم، فكأنه ﷺ بين في الآية الأولى أنها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع، ثم قال في الآية الثانية: لو سلمنا كونها ضارة نافعة، لكن ضررها أكثر من نفعها.^(٣) قال القرطبي: قال: ضره أقرب من نفعه ترفيعاً للكلام؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤].^(٤)

الترجيح:

الآية تحتمل الجوابين، فكلا الوجهين جائز في لغة العرب، والله أعلم.

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/٣٨٤)

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير (٣/٢٢٦)

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٨/٢٠٩)

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٨)

التساؤل الثالث:

قوله تعالى ﴿لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ﴾ ما وجه هذه اللام؟ ثم ذكر ست إجابات، وهي:

الجواب الأول: هي صلة، مجازها: يدعو من ضره أقرب، وكذلك قرأها ابن مسعود. وذكر هذا الجواب الفراء^(١).

الجواب الثاني: أن قوله تعالى: "لمن ضره" أي إلى الذي ضره أقرب من نفعه.

الجواب الثالث: أن قوله تعالى: "يدعو" بمعنى يقول: والخبر محذوف، أي يقول: لمن ضره أقرب من نفعه هو إله. وهو قول الأخفش^(٢). قال النحاس: أحسن ما قيل في الآية عندي^(٣).

الجواب الرابع: أن معنى الآية: يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو، فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى، ولو قلت: يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب، ثم يحذف الأخير جاز. وجوزه الفراء^(٤)، والزجاج^(٥).

الجواب الخامس: أن اللام للتوكيد، فالمعنى: يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه. ذكره الفراء^(٦) والكسائي^(٧) والزجاج^(٨)، وضعفه النحاس^(٩).

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/٢١٧)

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش (٢/٤٥٠)

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٣/٦٣)

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/٢١٧)

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١٩)

(٦) انظر معاني القرآن للفراء (٢/٢١٧)

(٧) انظر إعراب القرآن للنحاس (٣/٦٣)

(٨) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٤١٥)

(٩) انظر إعراب القرآن للنحاس (٣/٦٣)

الجواب السادس: "يدعو من" صلة قوله: "ذلك هو الضلال البعيد" يقول: ذلك هو الضلال البعيد يدعو، ثم استأنف فقال: "لمن ضره أقرب من نفعه" فيكون "من" في محل رفع بالابتداء وخبره: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾.

الترجيح:

قال محيي الدين الدرويش بعد أن أورد الأقوال في إعراب الآية: وإنما أوردنا هذه الآراء لنخلص إلى القول إن هذه الآية من المشكلات التي شغلت علماء النحو والتفسير ولم يأتوا فيها بما ينفع الغليل، وكلام الله المعجز أسمى من أن تطاله القواعد التي وضعها الإنسان.^(١) والله أعلم.

(١) إعراب القرآن وبيانه لدرويش (٦/٤٠٤)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

قال البغوي: "فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين، وقال جل ذكره في القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] يعني إبليس؟

قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه، فقال بعضهم: إن الرسول ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه. وقال قتادة: أغفى النبي ﷺ إغفاءً، فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان، ولم يكن له خبر.

والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو، والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه".^(١)

ذكر الإمام البغوي ثلاثة أجوبة على التساؤل الذي طرحه، وقبل ذكرها أذكر اختلاف العلماء في معنى كلمة (تمنى) في الآية، فقد اختلفوا على قولين:

القول الأول: معنى "تمنى" في الآية أي تلا وقرأ، واستشهدوا بقول حسان بن ثابت عن عثمان بن عفان:

تمنى كتاب الله أول ليله وأخرها لاقى حمام المقادر^(٢)

(١) معالم التنزيل (٣٩٤/٥)

(٢) نسبه أبو حيان في تفسيره (٢٧٧/٥) لحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ليس في ديوانه المطبوع. وقد ذكر البيت في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٧٧/٥) ولسان العرب لابن منظور (٢٩٤/١٥) وكتاب الأفعال للمعافري (٢١٧/٤) بلا نسبة، والبيت في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الشنقيطي: "وهو قول أكثر المفسرين"^(١). وقد قال به مجاهد والضحاك^(٢).

القول الثاني: أن معنى (تمنى) من الأمنية، وبناء على هذا ذهبوا إلى معنى غير المعنى المشهور عن الآية وهو: أن النبي إذا تمنى هدي قومه أو حرص على ذلك فلقى منهم العناد، وتمنى حصول هداهم بكل وسيلة ألقى الشيطان في نفس النبي خاطر اليأس من هداهم؛ عسى أن يقصر النبي من حرصه أو أن يضجره، وهي خواطر تلوح في النفس ولكن العصمة تعترضها فلا يلبث ذلك الخاطر أن ينقشع ويرسخ في نفس الرسول ما كلف به من الدأب على الدعوة والحرص على الرشد.^(٣) قال الشنقيطي: "ومعنى كون الإلقاء في أمنيته على هذا الوجه: أن الشيطان يلقي وساوسه وشبهه ليصد بها عما تمناه الرسول أو النبي، فصار الإلقاء كأنه واقع فيها بالصد عن تمامها والحيلولة دون ذلك"^(٤). وبناء على هذا المعنى لا يرد التساؤل الذي ذكره البغوي.

وأما الأجوبة التي ذكرها البغوي، فهي:

الجواب الأول: أن الرسول ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه. وهذا اختيار الطبري حيث قال لما ذكر أن معنى "تمنى" أي قرأ وتلا: "وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] على ذلك؛ لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيلة، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه. فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث وتكلم؛ ألقى الشيطان في

(١) أضواء البيان (٥/ ٢٨٤)

(٢) رواه عنهما ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٦١٠)

(٣) انظر التحرير والتنوير (١٧/ ٢٩٩)

(٤) أضواء البيان (٥/ ٢٨٤)

كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم. يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله^(١). واختاره ابن العربي^(٢) والقرطبي^(٣) وابن جزري^(٤) وابن كثير^(٥).

الجواب الثاني: قول قتادة: أغفى النبي ﷺ إغفاء؛ فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر.^(٦)

الجواب الثالث: ونسبه للجمهور، وهو أنه جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان، ولم يلبث أن نبهه الله عليه. وهو قريب من الجواب الثاني. وقد أبطل الشنقيطي القول بأن الشيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ في تلاوته لسورة النجم فقال: "وقد قدمنا في هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، ويكون في الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول، ومثلنا لذلك: بأمثلة متعددة، وهذا القول الذي زعمه كثير من المفسرين: وهو أن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ، هذا الشرك الأكبر والكفر البواح الذي هو قولهم: تلك الغرائق العلا وإن

(١) جامع البيان (١٦/٦١٠)

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٥/٤٣٤). ابن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، فكان ذا شدة وسطوة، ثم عزل فأقبل على التأليف ونشر العلم. ومات سنة (٥٤٣هـ) بقرب فاس، ودفن بها. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/١٩٧)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٤٦٩)، والأعلام للزركلي (٦/٢٣٠).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٨٣)

(٤) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤٣)

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/٤٤٣)

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٨١)

شفاعتهن لترتجى^(١)؛ يعنون: اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، الذي لا شك في بطلانه في نفس سياق آيات «النجم» التي تخللها إلقاء الشيطان المزعوم قرينة قرآنية واضحة على بطلان هذا القول؛ لأن النبي ﷺ قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قوله تعالى في اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]، وليس من المعقول أن النبي ﷺ يسب آلهتهم هذا السب العظيم في سورة النجم متأخراً عن ذكره لها بالخير المزعوم، إلا وغضبوا، ولم يسجدوا؛ لأن العبرة بالكلام الأخير، مع أنه قد دلت آيات قرآنية على بطلان هذا القول، وهي الآيات الدالة على أن الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على النبي ﷺ وإخوانه من الرسل، وأتباعهم المخلصين كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩١) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].^(٢)

وزاد السمعاني جواباً آخر، وضعفه، وهو:

(١) قصة الغرائق رواها ابن جرير في تفسيره محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وأبي العالية، وسعيد بن جبير، مرفوعاً إلى النبي ﷺ. انظر تفسير ابن جرير (١٦/٦٠٢-٦٠٨). قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/٤٤١). وقال ابن عطية: وهذا الحديث الذي فيه هن الغرائق وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب أهل الحديث أن «الشيطان ألقى» ولا يعينون هذا السبب ولا غيره. انظر تفسير ابن عطية (٤/١٢٨)، وقال الشوكاني: "ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: "ولو تقول علينا بعض الأقاويل - لأخذنا منه باليمين - ثم لقطعنا منه الوتين" وقوله: "وما ينطق عن الهوى"، وقوله: "ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم" فنفي المقاربة للركون فضلاً عن الركون. قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل". انظر فتح القدير للشوكاني (٣/٥٤٦)

(٢) أضواء البيان (٥/٢٨٤)

الجواب الرابع: أن هذا ألقاه بعض المنافقين في قراءته، وكان المنافق هو القارئ فظن المشركون أن الرسول قرأ، وسمى ذلك المنافق شيطانا؛ لأن كل كافر متمرد بمنزلة الشيطان.^(١)

❖ الترجيح:

يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الأول، وهو أن الرسول ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه. وكما تقدم فينزه مقام النبي ﷺ عن أن يقول عن آلهة المشركين "وإن شفاعتهن لترتجى" خصوصاً مع ضعف الروايات التي وردت في ذلك، فالأصل أنها لا تثبت، ومخالفة لعصمة النبوة، فلا تثبت سنداً وممتناً، ويدل على هذا التفسير سياق الآيات كما في قوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾، كما قرره ابن جرير أنفاً.

(١) انظر تفسير السمعاني (٣/٤٤٨)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ... الآية﴾ [الحج: ٧٨]

قال البغوي: "فإن قيل: فما وجه قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟

قيل: خاطب به العرب، وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال النبي ﷺ: "إنما أنا لكم مثل الوالد لولده"^(١) "^(٢)".

ذكر الإمام البغوي جوابين على التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أن الله تعالى خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. قال ابن عاشور: "لأن غالب الأمة يومئذ من العرب المضرية، وأما الأنصار فإن نسبهم لا ينتمي إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم من العرب القحطانيين، على أن أكثرهم كانت لإبراهيم عليهم ولادة من قبل الأمهات"^(٣).

الجواب الثاني: أن الخطاب للمسلمين، وإبراهيم أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وشبه ذلك بقوله تعالى عن زوجات النبي

(١) أخرجه النسائي في سننه (٤١ / ١) كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث، برقم (٤٠)، وابن ماجه (٢٠٨ / ١) كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة، برقم (٣١٣)، والمصنف في شرح السنة: (٣٥٦ / ١) باب أدب الخلاء برقم (١٧٣)، وقال هذا حديث صحيح. وقد حسنه الأرثووط في تخريجه لابن ماجه (٢٠٨ / ١).

(٢) معالم التنزيل (٤٠٣ / ٥)

(٣) التحرير والتنوير (٣٥٠ / ١٧)

ﷺ: ﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقد روي عن ابن عباس أنه قرأ "وهو أب لهم" (١)، ويعضد هذا المعنى قول النبي ﷺ: "إنما أنا لكم مثل الوالد لولده". قال النسفي: "وسماه أبا وإن لم يكن أبا للأمة كلها لأنه أبو رسول الله ﷺ فكان أبا لأمة لأن أمة الرسول في حكم أولاده". (٢) وذكر البيضاوي توجيهها قريبا من هذا التوجيه، حيث قال: "وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمة من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة". (٣) فجعل أبوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للمسلمين بواسطة أبوته للنبي ﷺ. واختار هذا الوجه الزمخشري. (٤)

وذكر بعض العلماء جوابا ثالثا، وهو:

الجواب الثالث: أن الخطاب للنبي ﷺ على طريقة التعظيم كأنه قال: ملة أبيك إبراهيم. (٥) واختار هذا الجواب ابن الجوزي حيث قال: "والذي يقع لي أن الخطاب لرسول الله ﷺ؛ لأن إبراهيم أبوه، وأمة رسول الله ﷺ داخلة فيما خوطب به رسول الله". (٦)

الترجيح: ح

الأقرب - والله أعلم - هو الجواب الثاني، وهو أن الخطاب للمسلمين، وإبراهيم أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وذلك لعموم الخطاب، وإعمال العموم أولى من إهمال بعضه دون دليل، وقد دلت الأدلة على أن

(١) رواه البيهقي في سننه (٦٩ / ٧)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٤٥٠)، وصححه وخالفه الذهبي ففيه طلحة بن عمرو، قال عنه: ساقط.

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٢ / ٤٥٧)

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٤ / ٨٠)

(٤) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣ / ١٧٣)

(٥) انظر التحرير والتنوير (١٧ / ٣٥٠)

(٦) زاد المسير في علم التفسير (٣ / ٢٥٣)

إطلاق لفظ الأبوة للأنبياء وعظماء الأمة من باب احترامهم وحفظ حقهم.



سورة المؤمنون

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠١].

قال البغوي: "فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث: "كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي"^(١).

قيل: معناه لا يبقى يوم القيامة سبب ولا نسب إلا نسبه وسببه، وهو الإيمان والقرآن.

فإن قيل: قد قال هاهنا ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ [الصافات: ٢٧].

الجواب: ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن للقيامة أحوالاً ومواطن، ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل؛ فلا يتساءلون، وفي موطن يفتقون إفاقة؛ فيتساءلون^(٢).

ذكر الإمام البغوي تساولين، وهما:

التساؤل الأول:

الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ وحديث: "كل سبب ونسب ينقطع

إلا نسبي وسببي"، وأجاب عن هذا التساؤل بجواب واحد بناء على صحة الحديث، وهو:

الجواب الأول: أن المعنى أنه لا يبقى يوم القيامة سبب ولا نسب إلا نسبه وسببه،

وهو الإيمان والقرآن.

وقد أجاب بعض العلماء بجواب آخر، وهو:

(١) سبق تخريجه.

(٢) معالم التنزيل (٥/٤٢٩)

الجواب الثاني: أن نسب النبي ﷺ وسببه أي مصاهرته مما ينتفع به أهله المؤمنون به، ويكون هذا خاصاً بالنبي ﷺ. ورجحه ابن كثير حيث قال عن خصائص النبي ﷺ: ومن الخصائص: أن كل نسب وسبب ينقطع نفعه وبره يوم القيامة إلا نسبه وسببه وصهره (١) ﷺ.

❖ الترجيح: ح:

الأظهر - والله أعلم - أن الحديث مخصص للآية، فالآية عامة، ويخص النبي ﷺ بأن سببه ونسبه نافع يوم القيامة بإذن الله تعالى، وأما الجواب الأول فهو مخالف لظاهر معنى السبب والنسب كما دلت عليه الأحاديث الواردة فيه.

التساؤل الثاني:

الجمع بين قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) [الصافات: ٢٧]، وأجاب بجواب واحد، وهو: الجواب الأول: هو ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن للقيامة أحوالاً ومواطن، ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل؛ فلا يتساءلون، وفي موطن يفتقون إفاقة؛ فيتساءلون. (٢)

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: ما ذكره الرازي، وهو أن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ صفة للكفار لشدة خوفهم، وأما قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) [الصافات: ٢٧] فهو صفة أهل الجنة إذا دخلوها. (٣) لكن هذا الجواب يرد عليه أن المشركين يقع منهم التساؤل كما

(١) الفصول في سيرة الرسول ﷺ (ص: ١٦١)

(٢) سبق تخريجه في الموضع الرابع من سورة الحجر.

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٨/ ٢٩٤)

أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، فدللت الآية على حصول التساؤل.

الجواب الثالث: أن المراد: لا يتساءلون بحقوق النسب^(١).

الجواب الرابع: أن نفي التساؤل في الآية هو أن يسأل بعضهم من بعض العفو، فيما بينهم من الحقوق^(٢). وقد روى ابن جرير أن زاذان، قال: أتيت ابن مسعود، فقال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى مناد من عند الله: «ألا من كان يطلب مظلمة، فليجئ إلى حقه فليأخذه» قال: فيفرح والله الصبي أن يذوب له الحق على والده أو ولده أو زوجته، فيأخذه منه وإن كان صغيراً. ومصدق ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فيقال له: آت هؤلاء حقوقهم^(٣).

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - هو أن الآية تحتمل الجواب الأول، فالنفي يحمل على موضع، والإثبات على موضع، فهو تفسير صحابي، ويوم القيامة يوم شديد الأحوال، طويل فيه المقام، وتحتمل الآية كذلك الجواب الرابع، وهو أن المراد بالنفي هو أن يسأل بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من الحقوق، فذلك يوم كل يقول فيه نفسي نفسي، ويؤيده تفسير ابن مسعود. والله المستعان.

(١) انظر المصدر نفسه (٨/ ٢٩٤)

(٢) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٣/ ٩١)

(٣) جامع البيان (٧/ ٣٢)

سورة النور

وفيها موضعان



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

قال البغوي: "فإن قيل: إذا قبلتم شهادته بعد التوبة؛ فما معنى قوله ﴿أَبَدًا﴾؟

قيل: معناه لا تقبل شهادته أبداً ما دام مصراً على قذفه؛ لأن أمد كل إنسان مدته على ما يليق بحاله. كما يقال: لا تقبل شهادة الكافر أبداً، يراد ما دام كافراً".^(١)

في هذا الموضع طرح الإمام البغوي تساؤلاً لا يناه على الرأي القائل بجواز شهادة القاذف بعد توبته، وأن الشهادة دارجة تحت الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٥]، وهذا القول هو قول الجمهور^(٢) خلافاً لأبي حنيفة^(٣) الذي يرى عدم قبول شهادة القاذف حتى لو تاب لذكر الأبدية في الآية، وقصر الاستثناء على نفي الفسق. فعلى قول الجمهور يلزم توجيه قوله تعالى: ﴿أَبَدًا﴾، وقد أجاب البغوي بجواب واحد، وهو: أن معنى لا تقبل شهادته أبداً أي ما دام مصراً على قذفه، وعلل ذلك بقوله: إن أمد كل إنسان مدته على ما يليق بحاله، وضرب لذلك مثالا بعدم قبول شهادة الكافر أبداً؛ أي ما دام كافراً. ولم أر جواباً عند المفسرين غير هذا الجواب، ومن ذلك ما قاله أبو جعفر النحاس: "والفائدة في قوله جل وعز: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ أن أبداً مقدار مدة حياة الرجل ومقدار انقضاء قصته، فإذا قلت الكافر لا تقبل له شهادة أبداً فمعناه ما دام كافراً، وإذا قلت القاذف لا تقبل له شهادة أبداً فمعناه ما دام قاذفاً، وهذا من جهة اللغة، وكلام العرب يؤكد قبول شهادته، وألا يكون أسوأ حالاً من القائل"^(٤). وقال القرطبي: "وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ أي ما دام قاذفاً؛ كما يقال: لا تقبل شهادة

(١) معالم التنزيل ١١/٦

(٢) انظر المغني لابن قدامة (٧٥/١٢)

(٣) انظر البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني الحنفي (١٣٦/٩)

(٤) معاني القرآن للنحاس (٥٠٣/٤ - ٥٠٤)

الكافر أبداً؛ فإن معناه ما دام كافراً".^(١)

✽ الترجيح:ح:

الأقرب للصحة ما ذكره البغوي وهو قول الجمهور بأن معنى قوله تعالى: ﴿أبداً﴾ أي مادام مصراً على قذفه بلا توبة. والله أعلم.



(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١٨١)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء، ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟

قيل: "عند الله" أي: في حكم الله، وقيل: معناه كذبوهم بأمر الله، وقيل: هذا في حق عائشة، ومعناه: أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي" (١).

أجاب الإمام البغوي عن التساؤل الذي طرحه بثلاثة أجوبة، وهي:

الجواب الأول: أن المراد بقوله تعالى: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي في حكمه. وقال بهذا المعنى كثير من المفسرين، فقد قال به الزمخشري (٢) وابن كثير (٣) والنسفي (٤) وابن الجوزي (٥) والبيضاوي (٦) والقرطبي (٧) وابن القيم (٨) وأبو حيان (٩) وغيرهم، وعللوا ذلك بترتيب الحد عليه (١٠). وقال القرطبي: "وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه، ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله تعالى، وهو سبحانه إنما رتب الحدود على حكمه، الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان

(١) معالم التنزيل (٦/٢٤)

(٢) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/٢١٩)

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم (٦/٢٧)

(٤) انظر مدارك التنزيل (٢/٤٩٣)

(٥) انظر زاد المسير في علم التفسير (٣/٢٨٤)

(٦) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/١٠١)

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢٠٣)

(٨) انظر مدارج السالكين (١/٣٦٥)

(٩) انظر البحر المحيط في التفسير (٨/٢٢)

(١٠) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/١٠١)

على ما هو عليه، فإنما يبني على ذلك حكم الآخرة".^(١) ورده الطاهر ابن عاشور فقال: "وليس المراد ما ذكره كثير من المفسرين أن معنى عند الله في شرعه؛ لأن ذلك يصيره قيذا للاحتراز. فيصير المعنى: هم الكاذبون في إجراء أحكام الشريعة. وهذا ينافي غرض الكلام، ويجافي ما اقترن به من تأكيد وصفهم بالكذب، على أن كون ذلك هو شرع الله معلوم من قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، فمسألة الأخذ بالظاهر في إجراء الأحكام الشرعية مسألة أخرى لا تؤخذ من هذه الآية".^(٢)

الجواب الثاني: أن المعنى: كذبوهم بأمر الله. ويظهر فيه التكلف في هذا المعنى.

الجواب الثالث: أن المعنى كاذبون في علم الله تعالى، وقالوا: لأن الآية نزلت في براءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي بلا شك بريئة مما قيل فيها^(٣). ونصر هذا القول الطاهر ابن عاشور حيث قال: "والتقييد بقوله: عند الله لزيادة تحقيق كذبهم، أي هو كذب في علم الله؛ فإن علم الله لا يكون إلا موافقا لنفس الأمر"^(٤).

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - قوة الجوابين الأول والثالث، وهما أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي في حكمه، أو يكون المعنى: كاذبون في علم الله تعالى، فالآية تحتمل المعنيين، فكل من رمى مسلماً ولم يحضر البينة فهو كاذب، وكذلك من رمى بريئاً كعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فهو كاذب في علم الله تعالى وشريعته.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٣/١٢)

(٢) التحرير والتنوير (١٧٦/١٨)

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٣٤٢/٨)

(٤) التحرير والتنوير (١٧٦/١٨)

سورة الفرقان

وفيها موضع واحد



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٢)

[الفرقان: ١٢].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف يسمع التغيظ؟

قيل: معناه رأوا وعلوموا أن لها تغيظاً، وسمعوا لها زفيراً، كما قال الشاعر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

أي وحاملاً رمحاً. وقيل: سمعوا لها تغيظاً، أي: صوت التغيظ من التلهب

والتوقد".^(١)

ذكر الإمام البغوي جوابين في هذا الموضع، وهما:

الجواب الأول: أن المعنى أنهم رأوا وعلوموا أن لها تغيظاً، وسمعوا لها زفيراً.

واستشهد بقول الشاعر: ورأيت زوجك في الوغى .: متقلداً سيفاً ورمحاً^(٢)؛ أي وحاملاً

رمحاً. فهناك فعل مقدر في الآية تقديره علموا أو رأوا.^(٣)

الجواب الثاني: أن المعنى: سمعوا صوت التغيظ من التلهب والتوقد. فيكون على

حذف مضاف تقديره "صوت". قال الزجاج: "أراد غليان تغيظ أي صوت غليان".^(٤)

وقال ابن عاشور: "والمراد به هنا صوت المتغيظ، بقرينة تعلقه بفعل: سمعوا فهو تشبيهه

(١) معالم التنزيل (٦/ ٧٥)

(٢) البيت مشهور، ذكره كثير من العلماء غير منسوب، إلا أنه قد قال محققاً شرح كتاب سيبويه للسيراني

(٧٠ / ١): البيت لعبدالله بن الزبير، وأحالا إلى خزانة الأدب، ولم أجده فيه منسوبا. انظر خزانة

الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢ / ٢٧٥)، وذكر محقق كتاب الكامل للمبرد محمد أبو

الفضل إبراهيم أنه لابن الزبير حيث قال: "هو عبد الله بن الزبير". انظر الكامل في اللغة والأدب

(١ / ٢٦٤).

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٨٧)

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٥٩)

بليغ^(١). واختار هذا القول ابن جرير^(٢) والنحاس^(٣) والبيضاوي^(٤) والقرطبي^(٥) والشنقيطي^(٦).

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثالث: أن يضمن فعل "سمعوا" معنى يشمل الشئيين، أي: أدركوا لها تغيظاً وزفيراً.^(٧) واستشهدوا بالبيت السابق، حيث ضمنوا "مقلداً" معنى "متسلحاً"، فهنا ضمنوا "سمعوا" معنى أدركوا التغيظ والزفير.^(٨)

الجواب الرابع: يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم، حكاه ابن قتيبة، وقال: "واعتبروا ذلك بقول الله جل ثناؤه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]". ثم رده بأن الله تعالى قد قال: ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾؛ ولم يقل: سمعوا فيها، ولا منها.^(٩)

الجواب الخامس: ذكره الزمخشري بقوله: ويجوز أن يراد: "إذا رأتهم زبانتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم".^(١٠) وفي هذا صرف لظاهر اللفظ دون دليل.

(١) التحرير والتنوير (٣٣٣ / ١٨)

(٢) انظر جامع البيان (٤٠٩ / ١٧)

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس (١٢ / ٥)

(٤) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١١٩ / ٤)

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٩ / ٤)

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٤ / ٦)

(٧) انظر اللباب لابن عادل (٤٨٨ / ١٤)

(٨) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٨٧ / ٨)

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣١٠)

(١٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٦٧ / ٣)

✿ الترجيح:

أقوى الأجوبة هي الجواب الأول والثاني والثالث، وهي أن يكون المعنى أنهم رأوا وعلموا أن لها تغيظًا، وسمعوا لها زفيرًا، أو يكون المعنى: صوت التغيظ من التلهب والتوقد، أو أن يضمن فعل "سمعوا" معنى يشمل الشئيين؛ أي: أدركوا لها تغيظًا وزفيرًا، فكلها محتملة، والله أعلم.



سورة الشعراء

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ أَتَقَدَّمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟

قيل: معناه فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨٢]. وقال الفراء: "هو من المقلوب"، أراد: فإنني عدو لهم، لأن من عاديته فقد عاداك. وقيل: ﴿فَأِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ على معنى إني لا أتولاهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً، كما لا يتولى العدو، ولا يطلب من جهته النفع"^(١).

ذكر الإمام البغوي ثلاثة أجوبة للتساؤل الذي ذكره في الآية، وهي:

الجواب الأول: أن المعنى فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، فجعل العداوة في حال افتراض عبادته لهم في يوم القيامة، وذكر دليل من قال بهذا القول، وهو قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨٢]. وهذا الجواب قال عنه النحاس: "إنه من أصح ما قيل في الآية"^(٢). وقال به الطبري^(٣) وأبو حيان^(٤) والزمخشري^(٥).

الجواب الثاني: قول نسبه للفراء^(٦): وهو أن كلام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من المقلوب،

(١) معالم التنزيل (١١٧/٦)

(٢) معاني القرآن للنحاس (٨٧/٥)

(٣) انظر جامع البيان (٥٩١/١٧)

(٤) انظر البحر المحيط في التفسير (١٦٤/٨)

(٥) انظر الكشاف (٣١٨/٣)

(٦) لم أجد في "معاني القرآن" للفراء رغم إحالة محقق الكتاب إليه بالجزء والصفحة، وإنما الذي وقفت عليه هو قوله "أي لو عبدتهم كانوا لي يوم القيامة ضِدًّا وَعَدُوًّا". معاني القرآن للفراء (٢٨١/٢) فيكون قول الفراء موافقاً للجواب الأول.

فالمعنى: إني عدو لهم. ونسبه ابن الجوزي لابن قتيبة.^(١) ورد هذا القول أبو حيان حيث قال: "وذهاب من ذهب إلى أن قوله: فإنهم عدو لي، من المقلوب والأصل: فإني عدو لهم، لأن الأصنام لا تعادي لكونها جمادا، وإنما هو عاداها ليس بشيء ولا ضرورة تدعو إلى ذلك".^(٢)

الجواب الثالث: أن قوله تعالى: "فإنهم عدو لي" على معنى إني لا أتولاهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً، كما لا يتولى العدو، ولا يطلب من جهته النفع. واختاره ابن عاشور حيث قال: "أن قوله فإنهم عدو لي من قبيل التشبيه البليغ، أي هم كالعدو لي في أني أبغضهم وأضرهم. وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، أي عاملوه معاملة العدو عدوه"^(٣).

وذكر بعض العلماء جواباً رابعاً، وهو:

الجواب الرابع: أن في الآية تقدير وهو: فإن عبادهم عدو لي^(٤). لكن الذي يظهر أن هذا تقدير ليس له داع.

الترجيح:

يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الأول، وهو أن المعنى فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، فجعل العداوة في حال افتراض عبادته لهم في يوم القيامة، ويعضده قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢].

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٤١)

(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٦٤)

(٣) التحرير والتنوير (١٩/ ١٤٠)

(٤) انظر البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٦٤) ومفاتيح الغيب (٨/ ٥١٠)

سورة النمل

وفيها موضعان



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟ قيل: كان جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم. وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان".^(١)

في هذا الموضع ذكر الإمام البغوي جوابين، وهما:

الجواب الأول: أنه كان جنود سليمان ركبانا، وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم.
الجواب الثاني: أن ذلك قبل تسخير الله الريح لسليمان.

وذكر ابن عطية جوابين آخرين، وهما:

الجواب الثالث: أن ظاهر هذه الآية أن سليمان وجنوده كانوا مشاة في الأرض، وبذلك يتفق حطم النمل.^(٢) وقال أبو حيان: "بل الظاهر إسناد الحطم إليه وإلى جنوده، وهو على حذف مضاف، أي خيل سليمان وجنوده".^(٣)

الجواب الرابع: يحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح وأحست النمل بنزولهم في واد النمل.^(٤)

(١) معالم التنزيل (١٥١/٦)

(٢) انظر المحرر الوجيز (٢٥٤/٤)

(٣) البحر المحيط (٢٢١/٨)

(٤) انظر المحرر الوجيز (٢٥٤/٤)

❖ الترجيح:ح:

الذي يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الثالث، وهو أن سليمان وجنوده كانوا مشاة في الأرض، وبذلك يتفق حطم النمل؛ حيث إنه ظاهر الآية، والعمل بالظاهر أولى مادام لم يدل دليل على التأويلات الأخرى.



الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ

[النمل: ٨٠].

قال البغوي: "فإن قيل ما معنى قوله: ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ وإذا كانوا صمًا لا يسمعون سواء ولوا أو لم يولوا؟

قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. وقيل: الأصم إذا كان حاضراً فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولي لم يسمع ولم يفهم".^(١)
ذكر البغوي جوابين على التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: أنه ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. واختاره الزمخشري^(٢)، وابن جزري^(٣)، والشوكاني حيث قال: "فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلاً، فكيف إذا كان معرضاً عنه مولياً مدبراً".^(٤)

الجواب الثاني: إن الأصم إذا كان حاضراً فقد يسمع برفع الصوت، ويفهم بالإشارة، فإذا ولي لم يسمع ولم يفهم. واختار ابن عاشور هذا الجواب، وقال: "وتقييد الصم بزمان توليهم مدبرين لأن تلك الحالة أوغل في انتفاء إسماعهم؛ لأن الأصم إذا كان مواجهاً للمتكلم قد يسمع بعض الكلام بالصراخ، ويستفيد بقيته بحركة الشفتين، فأما إذا ولي مدبراً فقد ابتعد عن الصوت، ولم يلاحظ حركة الشفتين؛ فذلك أبعد له عن السمع".^(٥) واختاره كذلك السمعاني^(٦) والبيضاوي، وقال: "قيد الحكم به - أي إذا ولوا

(١) معالم التنزيل (١٧٦/٦)

(٢) انظر الكشاف (٣٨٣/٣)

(٣) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٧/٢)

(٤) فتح القدير للشوكاني (١٧٣/٤)

(٥) التحرير والتنوير (٣٥/٢٠)

(٦) انظر تفسير السمعاني (٢٢١/٤)

مدبرين - ليكون أشد استحالة، فإن الأصم المقبل وإن لم يسمع الكلام يفتن منه بواسطة الحركات شيئاً".^(١)

❖ الترجيح:ح:

الجوابان متقاربان؛ إذ يجتمعان في أن القيد للتأكيد، والله أعلم.



(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢١٠)

سورة العنكبوت

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢٣) [العنكبوت: ٢٢].

قال البغوي: "فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ والخطاب مع آدميين وهم ليسوا في السماء؟

قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز، كقول حسان بن ثابت:

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

أراد: من يمدحه ومن ينصره، فأضمر "من"، يريد: لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كقول الرجل: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة؛ أي: ولا بالبصرة لو كان بها".^(١)

ذكر الإمام البغوي جوابين للتساؤل الذي طرحه في هذا الموضع، والجوابان هما:

الجواب الأول: ونسبه للفراء^(٢)، وهو أن في قوله تعالى: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إضمار "من"، فيكون المعنى: لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء. ومثل لذلك بيت حسان بن ثابت الذي يقول فيه:

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء^(٣)

والمعنى: ومن يمدحه ومن ينصره. وهو قول عبدالرحمن بن زيد كما رواه عنه ابن جرير حيث قال: "لا يعجزه أهل الأرض في الأرضين، ولا أهل السماوات في السماوات إن عصوه".^(٤) وقد اختار هذا القول ابن قتيبة.^(٥)

(١) معالم التنزيل (٦/٢٣٧)

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٢/٣١٥)

(٣) البيت لحسان بن ثابت. انظر العقد الفريد (٦/١٤٦)

(٤) جامع البيان (١٨/٣٧٨)

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن (ص: ١٣٨)

الجواب الثاني: ونسبه لقطرب، وهو: أن الآدميين ليسوا بمعجزين في السماء لو كانوا فيها. ومثل لذلك بقول الرجل: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة؛ أي: ولا بالبصرة لو كان بها. واختاره النسفي^(١).

وزاد الزمخشري جوابين، وهما:

الجواب الثالث: أن المعنى: لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الأرض وأعماقها، أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].^(٢) وذكره ابن عطية.^(٣)

الجواب الرابع: أن المعنى هو أنكم لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم، فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء.^(٤) وفي هذا الجواب صرف عن ظاهر اللفظ.

❖ الترجيح:ح:

الذي يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الأول، وهو أن في قوله تعالى: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إضمار "من"، فيكون المعنى: لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء، وكذلك الجواب الثاني فيه وجاهة وهو أن الآدميين ليسوا بمعجزين في السماء لو كانوا فيها، فالآية تحتملها.

(١) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٧١)

(٢) انظر الكشاف (٣/ ٤٤٩)

(٣) انظر المحرر الوجيز (٤/ ٣١٢)

(٤) انظر الكشاف (٣/ ٤٤٩)

سورة الأحزاب

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال البغوي: "فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم، وكذلك: الحسن والحسين؛ فإن النبي ﷺ قال للحسن: "إن ابني هذا سيد"؟^(١)

قيل: هؤلاء كانوا صغاراً ولم يكونوا رجالاً.

والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم^(٢).

ذكر الإمام البغوي جوابين في هذا الموضع، وهما:

الجواب الأول: أن الآية أتت بكلمة "رجالكم"، وأبناء النبي ﷺ ماتوا صغاراً، ولم يكونوا رجالاً، وهذا قول الشعبي^(٣). ومال إلى هذا التفسير ابن كثير حيث قال: "فإنه صلوات الله عليه وسلامه لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم"^(٤)، واختاره البيضاوي^(٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/٩٦٢). باب قول النبي ﷺ للحسن (ابني هذا سيد) برقم (٢٥٥٧)

(٢) معالم التنزيل (٦/٣٥٨). وقد قال البغوي في تفسير الآية: أي: ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلد لهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها.

(٣) رواه عنه الترمذي في سننه (٥/٢٠٧). باب ومن سورة الأحزاب، برقم (٣٢١٠). الشَّعْبِيُّ هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: تابعي من أئمة الحديث والفقهاء، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبدالعزيز. توفي (٥١٠٣). انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢٤٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٣٠٦)، والأعلام للزركلي (٣/٢٥١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/٤٢٨)

(٥) انظر أنوار التنزيل (٤/٢٣٣)

الجواب الثاني: أن المراد بالآية أنه ليس أبا لرجال لم يلد لهم. وقد رجح البغوي هذا الجواب، وذلك بالنظر إلى سياق الآية، فإنها وردت في سياق إباحة زواجه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من زينب بنت جحش، بعد تطليق زيد بن حارثة لها، وقد كان ابنه بالتبني، فبين الله تعالى أن النبي ﷺ ليس أبا لأحد لم يكن ولد له، وهو قول قتادة^(١)، واختاره ابن جرير^(٢) وابن عطية^(٣).

وقد جمع بين الجوابين النسفي^(٤) وكذلك القرطبي، وقال: "واعلم أن محمداً ﷺ لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة، ولم يقصد بهذه الآية أن النبي ﷺ لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور: إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلاً"^(٥).

وزاد الزمخشري جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: أنه قد أضاف الرجال إليهم، وهؤلاء رجاله لا رجالهم^(٦).

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الآية تحتمل الجوابين الأول والثاني، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس أبا أحداً من الرجال لأن أولاده ماتوا صغاراً، وليس أبا أحد بالتبني فقد أبطل التبني، والجواب الأول يؤيده سياق الآية، وأنها وردت في نفي الأبوة بالتبني.

(١) رواه عنه ابن جرير في تفسيره (١٩/١٢٢)

(٢) انظر المصدر نفسه (١٩/١٢١)

(٣) انظر المحرر الوجيز (٤/٣٨٨)

(٤) انظر مدارك التنزيل (٣/٣٤)

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٩٥)

(٦) انظر الكشاف (٣/٥٤٤)

سورة سبأ

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١].

قال البغوي: "فإن قيل لهم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾؟

قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله: ﴿يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: يطيعون الجن، وقوله: ﴿أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ يعني: مصدقون للشياطين" (١).

ذكر الإمام البغوي جواباً واحداً على التساؤل الذي طرحه، وهو:

الجواب الأول: أن المراد بـ "يعبدون" أي يطيعون، فالمشركون يطيعون الجن في عبادة الملائكة. والطاعة من معاني العبادة. قال الأزهري: "ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع" (٢). واختار هذا الجواب ابن الجوزي (٣) وابن كثير (٤) والشنقيطي حيث قال: "ولم يبين في هذه الآيات ما وجه عبادتهم للشيطان، ولكنه بين في آيات أخر أن معنى عبادتهم للشيطان إطاعتهم له واتباعهم لتشريعه وإيثاره على ما جاءت به الرسل من عند الله تعالى، كقوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] (٥)". وقال ابن عطية: "لم تنف الملائكة عبادة البشر إياها وإنما قررت أنها لم تكن لها في ذلك مشاركة، ثم ذنبت الجن، وعبادة البشر للجن هي فيما نعرفه نحن

(١) معالم التنزيل (٦/٤٠٤)

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٢/١٣٨)

(٣) انظر زاد المسير (٣/٥٠٢)

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم (٦/٥٢٤)

(٥) أضواء البيان (١/٣٠٧)

بطاعتهم إياهم، وسماعهم من وسوستهم وإغوائهم، فهذا نوع من العبادة".^(١)

وذكر بعض العلماء أجوبة أخرى، وهي:

الجواب الثاني: أن المشركين يخلطون بين الملائكة والجن، ويجعلون بينهم نسبة، فكانوا يقولون: الملائكة بنات الله من سراوات الجن.^(٢)

الجواب الثالث: أنهم صوروا صور الجن، وقالوا: هؤلاء الملائكة فاعبدوهم. ذكره السمعاني.^(٣)

الجواب الرابع: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت؛ فيعبدون بعبادتهم. ذكره الخازن^(٤)، والنسفي.^(٥)

❖ الترجيح: ح:

الأظهر - والله أعلم - أن الجواب الأول هو الأقرب، وهو أن المراد بـ "يعبدون" أي يطيعون، فالآية كانت في سؤال الله تعالى الملائكة عن عبادة الكفار لهم، فبينت الملائكة أن الكفار وقعوا في ذلك بسبب طاعتهم للجن، والملائكة بريئة من عبادتهم إياهم، فكما قال ابن عطية: "إن الملائكة لم تنف عبادة البشر إياها". وسؤال الله تعالى الملائكة - وهو أعلم بهم - قال عنه الزمخشري: "هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وارد على المثل السائر: إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جاره"^(٦)، ونحوه قوله تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ

(١) المحرر الوجيز (٤/٤٢٣-٤٢٤)

(٢) انظر التحرير والتنوير (٢٢/٢٢١)

(٣) انظر تفسير السمعاني (٤/٣٣٨)، وانظر كذلك البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥٥٧)

(٤) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/٤٥٠)

(٥) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/٦٨)

(٦) هو عجز لبيت قاله سهل بن مالك الفزاري حيث يقول: أصبح يهوى حرة معطاره... إِيَّاكَ أَعْنِي

فاسمعي يا جارة. انظر المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (١/٤٥٠)

أَتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ [المائدة: ١١٦]. وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريرهم أشد، وتعيرهم أبلغ، وخجلهم أعظم^(١).



سورة فاطر

وفيها موضع واحد



الموضع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

قال البغوي: "فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم هاهنا؟

قيل: لأن السماوات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار؛ فأمسكهما الله تعالى عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعالجهن بالعقوبة".^(١)

في هذا الموضع ذكر البغوي هذا الجواب، وهو ما ذكره العلماء عن مناسبة ذكر اسم "الحليم" الدال على صفة "الحلم" له سبحانه، قال ابن كثير: "أي لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور؛ أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم؛ فيؤخر، وينظر، ويؤجل، ولا يعجل، ويستر آخرين، ويغفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾"^(٢). وقال القرطبي: "ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ لأن المعنى فيما ذكره بعض أهل التأويل: أن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا من كفر الكافرين، وقولهم "اتخذ الله ولدا"^(٣). وقال النسفي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهد هذا لعظم كلمة الشرك؛ كما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [مریم: ٩٠]^(٤)". وقال ابن القيم: "فأخبر سبحانه أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السماوات والأرض، فالحلم وإمسكهما أن تزولا هو الصبر، فبحلمه صبر عن معالجة أعدائه. وفي الآية إشعار بأن السماوات والأرض تهتم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد؛ فيمسكهما بحلمه

(١) معالم التنزيل (٦/٤٢٦)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٥٥٧)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٣٥٧)

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/٩٢)

ومغفرته".^(١) ولم أقف على غير هذه الإجابة في كتب المفسرين التي رجعت إليها.
والله أعلم.



(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٧٨)

سورة الصافات

وفيها ثلاثة مواضع



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾ [الصافات: ٥].

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال في موضع: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] وقال في موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وقال في موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩]، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

قيل: أما قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩]، أراد به الجهة، فالمشرق جهة، والمغرب جهة.

وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] أراد: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف.

وقوله: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق، وثلاثمائة وستين كوة في المغرب، على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى الكوة التي تطلع منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغرب. وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق، وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب؛ كأنه أراد رب جميع ما أشرقت عليه الشمس وغربت".^(١)

هذا الجواب الذي ذكره البغوي رَحِمَهُ اللهُ هو الذي ذكره المفسرون، فقد قال الطبري: "يعني بالمشرقين: مشرق الشمس في الشتاء، ومشرقها في الصيف، وقوله: ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾. يعني: ورب مغرب الشمس في الشتاء، ومغربها في الصيف"^(٢). وروى هذا التفسير بإسناده عن ابن أبيزى، ومجاهد، وقتادة.^(٣) وقد روى ابن حاتم عن ابن عباس

(١) معالم التنزيل (٧/٣٤)

(٢) جامع البيان (٢٢/١٩٧)

(٣) المصدر نفسه (٢٢/١٩٨)

هذا التفسير حيث قال في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] قال: "للشمس مطلع في الشتاء، ومغرب في الشتاء، ومطلع في الصيف، ومغرب في الصيف غير مطلعها في الشتاء، وغير مغربها في الشتاء"^(١). وقال الشنقيطي: "والجواب: أن قوله هنا: والله المشرق والمغرب المراد به جنس المشرق والمغرب، فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التي هي ثلاثمائة وستون، وكل مغرب من مغاربها التي هي كذلك، كما روي عن ابن عباس وغيره. ثم قال: قال ابن جرير في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه: "وإنما معنى ذلك: والله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم، فتأويله إذا كان ذلك معناه: والله ما بين قطري المشرق وقطري المغرب إذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشرقها منه إلى الحول الذي بعده، وكذلك غروبها"^(٢). انتهى منه - أي من ابن جرير - بلفظه. وقوله: رب المشرقين ورب المغربين، يعني مشرق الشتاء، ومشرق الصيف ومغربهما، كما عليه الجمهور. وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما، وقوله: برب المشارق والمغرب أي: مشارق الشمس ومغربها كما تقدم. وقيل: مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغربها، والعلم عند الله تعالى"^(٣). انتهى من كلام الشنقيطي.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٢٣/١٠)

(٢) انظر نص ابن جرير في جامع البيان (١٩٧/٢٢)

(٣) أضواء البيان (٣٠٤/٦)

الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿وَوَدَّيْنَهُ أَنْ يَأْتِيَنَّاهُ بِرَبِّهِمْ ۗ﴾ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَبْنَا كَذِبًا كَرِيمًا ﴿١٠٥﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال: صدقت الرؤيا، وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل: جعله مصدقاً لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى، وقد فعلا.

وقيل: كان قد رأى في النوم معاجلة الذبح، ولم ير إراقة الدم، وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم؛ فلذلك قال له: "قد صدقت الرؤيا".^(١)

أجاب البغوي بجوابين عن التساؤل الذي طرحه، وهما:

الجواب الأول: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد فعل ما أمكنه، من الذبح لكنه لم يحصل ذلك لأن الله تعالى افتداه بذبح عظيم، فالمطلوب تسليمهما لأمر الله تعالى، وحصل منهم ذلك. فحصل نسخ الأمر قبل التمكن من الفعل^(٢). قال القرطبي: "وقوله تعالى: ﴿صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ أي حققت ما نبهناك عليه، وفعلت ما أمكنتك ثم امتنعت لما منعناك. هذا أصح ما قيل به في هذا الباب".^(٣) وقال ابن عاشور: "والمراد: أنه صدق ما رآه إلى حد إمرار السكين على رقبة ابنه، فلما ناداه جبريل بأن لا يذبحه كان ذلك الخطاب نسخاً لما في

(١) معالم التنزيل (٧/ ٥٠)

(٢) اختلف الأصوليون في جواز النسخ قبل التمكن من الفعل. قال الشنقيطي: التحقيق هو جواز وقوع نسخ الأمر قبل التمكن من الامتثال، فإن قيل: فما حكمة الأمر الأول إذا كان ينسخ قبل التمكن من الفعل؟ فالجواب: أن الحكمة في الأمر الأول هي الابتلاء، هل يتهيأ للامتثال ويظهر الطاعة فيما أمر به أولاً، ودليل هذين الأمرين قصة أمر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبح ابنه، فإنه نسخ عنه ذبحه قبل التمكن من فعله، وبين الله تعالى أن الحكمة في ذلك هي ابتلاؤه: هل يتهيأ لذبح ولده؟ فتهيأ لذلك وتله للجبين؛ ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَوَدَّيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾. مذكرة في أصول الفقه (ص: ٨٧). وانظر

المسألة في المستصفى للغزالي (١/ ٢١٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٠٢)

الرؤيا من إيقاع الذبح، وذلك جاء من قبل الله لا من تقصير إبراهيم، فإبراهيم صدق الرؤيا إلى أن نهاه الله عن إكمال مثالها، فأطلق على تصديقه أكثرها أنه صدقها، وجعل ذبح الكبش تأويلاً لذبح الولد الواقع في الرؤيا".^(١) وقال القاسمي: "قوله تعالى: ﴿قَدَّصَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾ أي لا تذبحه وقد قمت بمصدقها في بذل الوسع من الأخذ بامضاء ما تشير إليه وكمال الطاعة في هذا الشاق"^(٢). وقال به الخازن.^(٣)

الجواب الثاني: إن إبراهيم رأى معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم، وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم؛ فلذلك قال له: ﴿قَدَّصَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾. وهذا القول فيه ضعف؛ لأن الله تعالى أمره بالذبح صراحة، فقد قال إبراهيم ﴿أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾، والذبح يقتضي إراقة الدم لا مقدماته.

الترجيح: ح

يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الأول، وهو: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد فعل ما أمكنه من الذبح لكنه لم يحصل ذلك؛ لأن الله تعالى افتداه بذبح عظيم، فإبراهيم امتثل أمر الله تعالى، وعزم على ذبح ولده، لكنه نسخ الأمر قبل أن يتم الذبح.

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ١٥٤)

(٢) محاسن التأويل (٨/ ٢١٨)

(٣) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٢٤)

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

قال البغوي: "فإن قيل: قال هاهنا: "فبدنناه بالعراء وهو سقيم"، وقال في موضع آخر: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ [القلم: ٤٩]، فهذا يدل على أنه لم ينبذ؟ قيل: "لولا" هناك يرجع إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركه النعمة فنبذ، وهو غير مذموم".^(١)

طرح البغوي التساؤل هنا، وهو توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ [القلم: ٤٩]، وأجاب بجواب واحد وهو: أن "لولا" راجعة إلى الذم، وليس إلى النبذ، فيكون المعنى: لولا رحمتنا ونعمتنا لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركه النعمة؛ فنبذ وهو غير مذموم.^(٢) وبهذا الجواب يزول الإشكال. وقد قال به عامة المفسرين، فقد قال به أبو جعفر النحاس^(٣) وابن جزى^(٤) والرازي^(٥) وأبو حيان^(٦) والقرطبي^(٧) والشوكاني^(٨) والشنقيطي^(٩) وغيرهم. والله أعلم.

(١) معالم التنزيل (٦١ / ٧)

(٢) انظر تفسير السمعاني (٤١٧ / ٤)

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس (٢٩٦ / ٣)

(٤) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (٤٠٣ / ٢)

(٥) انظر مفاتيح الغيب (٢٢٥ / ١٠)

(٦) انظر البحر المحيط في التفسير (٢٤٩ / ١٠)

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢٩ / ١٥)

(٨) انظر فتح القدير للشوكاني (٤٧٢ / ٤)

(٩) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٤٢ / ٤)، ودفع إيهام الاضطراب (١٩٨)

سورة ص

وفيها موضعان



الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: ٢٢].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قالوا: ﴿بَغِي بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهما ملكان لا يبغيان؟

قيل: معناه: أرايت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما".^(١)

طرح البغوي هذا التساؤل بناء على القول بأن الذي أتى داود ملكان لينبهاه على خطئه في تزوج أوريا، وقد سار على هذا التفسير كثير من العلماء، ومنهم من قال بأصل القصة دون تفاصيلها التي وردت بها روايات إسرائيلية، رأوا فيها إساءة لمقام النبوة، ومنهم من روى القصة بتفاصيلها بأسانيدها. وأنكر بعض المفسرين القصة من أصلها، ومنهم ابن حزم^(٢) والقاضي عياض^(٣) وابن كثير^(٤) والشنقيطي^(٥) وغيرهم. قال ابن كثير: "قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده"^(٦)؛

(١) معالم التنزيل (٧/ ٨٠)

(٢) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤)

(٣) انظر الشفا (٢/ ١٣٦)

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم (٧/ ٦٠)

(٥) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣٣٩)

(٦) يشير إلى ما رواه ابن أبي حاتم والطبري من حديث يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك سمعه يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود النبي ﷺ حين نظر إلى المرأة فأهم، قطع على بني إسرائيل بعثا، فأوصى صاحب البعث، فقال: إذا حضر العدو فاقرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده فلم أحص من الرقاشي إلا

لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد الرقاشي ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عزَّجَلَّ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً^(١). وبناء على قول المنكرين للقصة لا يرد التساؤل الذي طرحه، فتكون القصة على ظاهرها. وقد أجاب البغوي على التساؤل الذي طرحه بجواب واحد، وهو:

الجواب الأول: أن قول الملكين من معاريض^(٢) الكلام، لا على تحقيق البغي. قال البيضاوي عن هذا الجواب: "هو المشهور"^(٣).

وزاد بعض العلماء جواباً آخر، وهو:

الجواب الثاني: أن الكلام هنا فيه تقدير وهو: ما قولك في خصمين بغى أحدهما على الآخر؟ ذكره السمعاني، وقال: "وهذا قريب من الأول"^(٤). قال الماوردي: "وتقدير كلامها: ما تقول إن أتاك خصمان وقالوا بغى بعضنا على بعض"^(٥). واختار هذا القول القرطبي حيث قال: "فالجواب عنه أنه لا بد في الكلام من تقدير؛ فكأنهما قالوا: قدرنا كأننا

= هؤلاء الكلمات: رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب، إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه، جعلت ذنبه حديثاً في الخلوف من بعده. انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٢٣٩)، وجامع البيان للطبري (٢٠/٧٤)، ويزيد الرقاشي قال عنه أحمد بن حنبل: كان منكر الحديث. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/٢٧١)

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٦٠)
 (٢) معاريض الكلام الذي هو كذب من حيث يظنه السامع، وصدق من حيث يقوله القائل. لسان العرب (١/٧٠٩)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/٢٧)

(٤) تفسير السمعاني (٤/٤٣٢)

(٥) النكت والعيون (٥/٨٦)

خصمان بغى بعضنا على بعض؛ فاحكم بيننا بالحق".^(١) واختاره كذلك ابن القيم حيث قال: "ولكن تخريج هذا الكلام على المعارض لا يكاد يتأتى، وإنما وجهه أنه كلام خرج على ضرب المثال أي إذا كان كذلك فكيف الحكم بيننا".^(٢) قال ابن عاشور: "وليس في قول الخصمين: هذا أخي، ولا في فرضهما الخصومة التي هي غير واقعة؛ ارتكاب الكذب لأن هذا من الأخبار المخالفة للواقع التي لا يريد المخبر بها أن يظن المخبر وقوعها إلا ريثما يحصل الغرض من العبرة بها، ثم ينكشف له باطنها؛ فيعلم أنها لم تقع. وما يجري في خلالها من الأوصاف والنسب غير الواقعة؛ فإنما هو على سبيل الفرض والتقدير، وعلى نية المشابهة"^(٣).

❖ الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الجوابين متقاربان كما قال السمعاني؛ فهو من معارضض الكلام، أو على تقدير: ما قولك في خصمين بغى أحدهما على الآخر؟ فكلاهما خبر عن أمر لم يحدث، وإنما كان المراد منه تنبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٠ / ١٥)

(٢) إعلام الموقعين (٢١٥ / ٣)

(٣) التحرير والتنوير (٢٣٥ / ٢٣)

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْنِكَ إِلَىٰ تِجَارِهِ... الآية﴾

[ص: ٢٤].

قال البغوي: "فإن قيل: كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟

قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه

بما يقول"^(١).

أجاب البغوي عن التساؤل الذي طرحه بجوابين، وهما:

الجواب الأول: أنه قال "لقد ظلمك" على فرض صدق كلامه في ادعائه. وذكر

القول كذلك البيضاوي^(٢) والقرطبي^(٣).

الجواب الثاني: أنه قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول. نقله الماوردي عن

السدي^(٤)، واختار هذا الجواب الثعلبي، وقال: "فحذف الاعتراف، لأن ظاهر الآية دال

عليه، كقول العرب: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال.

وقال الشاعر:

تقول ابنتي لما رأته شاحبا كأنك سعيد يحميك الطعام طيب

تتابع أحداث تخرم من إخوتي فشيبن رأسي والخطوب تُشيب^(٥)"

والبيتان لكعب بن سعد الغنوي^(٦)، والشاهد أنه أخبر عن حزنه على تقدير أنها

(١) معالم التنزيل (٧ / ٨١)

(٢) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥ / ٢٧)

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥ / ١٧٧)

(٤) انظر النكت والعيون (٥ / ٨٧)

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨ / ١٨٩)

(٦) انظر مختارات شعراء العرب لابن الشجري (١ / ٢٥)

سألته، فكأنه قال: تتابع أحداث فأحزني؛ لأن ظاهر كلامها يدل على ذلك، حيث ذكرت لازمه، وأثره. واختاره النسفي وقال: "وإنما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم"^(١). وهو قول ابن الأنباري^(٢).

وزاد بعض العلماء جواباً ثالثاً، وهو:

الجواب الثالث: أن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال ذلك قبل أن يتبين ذكره النحاس حيث قال: "فيقال إن هذه كانت خطيئة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه قال: لقد ظلمك من غير تثبت بيينة، ولا إقرار من الخصم؛ هل كان هذا كذا أولم يكن"^(٣). وهو اختيار ابن عثيمين^(٤).

❖ الترجيح ————— ح:

الذي يظهر - والله أعلم - قوة الجواب الثاني، وهو أنه قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول، وذلك لأن الإيجاز قد ورد في لغة العرب كما في الشواهد التي ذكرت آنفاً. وأما الجواب الأول، وهو أنه قال: "لقد ظلمك" على فرض صدق كلامه، فهو على تقدير، والتقدير هنا لا حاجة له. وأما الجواب الثالث أن النبي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال ذلك قبل أن يتبين؛ ففيه بُعد لأنه لا يمكن أن يحكم قاضٍ فضلاً عن نبي دون أن يسمع الطرف الآخر، وقد قال ابن العربي عن الآية: "فيه الفتوى في النازلة بعد السماع من أحد الخصمين، وقبل أن يسمع من الآخر بظاهر القول؛ وذلك مما لا يجوز عند أحد ولا في ملة من الملل، ولا يمكن ذلك للبشر"^(٥).

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ١٥١)

(٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٩/ ٣٨٤)

(٣) نقله القرطبي عن النحاس. انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٧٥)

(٤) انظر تفسير العثيمين (سورة ص) (ص: ١١٢)

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٧/ ٢١)

الخاتمة

الخاتمة

يعد الإمام البغوي من أئمة الإسلام، وقد كان متفنناً في علوم الشريعة، فهو إمام في العقيدة، والتفسير، والفقه، والحديث، والقراءات، وتفسيره المسمى (معالم التنزيل) من التفاسير التي اهتمت بالمأثور، وهو من التفاسير المتوسطة، فليس بالطويل الممل، ولا المختصر المخل. وقد عملت في هذه الرسالة على إبراز الأسئلة التي طرحها البغوي في تفسيره، وأجاب عنها، وقد بلغت أربعة وعشرين ومائة تساؤل، وأوردت إجاباته عليها، وحرصت على جمع ما ذكره، وذكره غيره من العلماء من الإجابات، مع التدليل على كل إجابة، وإبراز منهج البغوي في ذلك، وقد توصلت إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

- ١- أسلوب طرح السؤال والإجابة عنه قد اتبعه العلماء في مختلف تخصصاتهم، ومنهم علماء التفسير.
- ٢- الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ استعمل أسلوب السؤال والجواب في تفسيره.
- ٣- أنه كان يطرح السؤال باختصار.
- ٤- أنه لم يكن يرجح كثيراً بين الأجوبة التي يطرحها.
- ٥- أنه لم يكثر من ذكر الأدلة على الأجوبة التي يطرحها.
- ٦- أن الأدلة التي أوردها في الأجوبة متنوعة، وكانت على منهج مدرسة التفسير بالمأثور.
- ٧- تنوعت مواضيع الأسئلة التي طرحها البغوي؛ فمنها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالتفسير، ومنها ما يتعلق باللغة.
- ٨- أنه لم يكن يحرص على ذكر كل الأجوبة كثيراً، فقد يورد إجابة واحدة في المسألة رغم وجود أجوبة أخرى.

ثانياً: التوصيات:

١- تفسير البغوي يحتاج إلى دراسات تبرز الجوانب العلمية للإمام البغوي، فالدراسات فيه قليلة.

٢- امتلأت كتب التفسير بأسلوب السؤال والجواب، وتنوع طرح المفسرين للإجابات، ومن أبرز التفاسير التي أكثرت من هذا الأسلوب:

أ- جامع البيان لابن جرير الطبري.

ب- تفسير السمعاني.

ج- مفاتيح الغيب للفخر الرازي.

د- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

ولذلك أقترح بدراسة مناهج العلماء في استعمالهم لأسلوب السؤال والجواب في كتبهم.

هذا، والله أسأل أن يجعل هذه الدراسة في موازين حسناتي وحسنات من أشرف عليها، وناقشها، وأفاد فيها، واستفاد منها.

* وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *

الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٤- فهرس الأبيات الشعرية.
- ٥- فهرس المصادر والمراجع.
- ٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٨٣، ٧٧	١	الفاتحة: ٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾
٥٩	١	الفاتحة: ٦	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾
٣٥	١	الفاتحة: ٧	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾
٤٠	٢	البقرة: ٣	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿٣﴾﴾
٣٥٣	٢	البقرة: ٧	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴿٧﴾﴾
٨٧	٢	البقرة: ٩	﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾
٩١، ٦٨	٢	البقرة: ١٣	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴿١٣﴾﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾
٦	٢	البقرة: ٢٣	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾
١٤٧	٢	البقرة: ٢٦	﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾
٢٤٥	٢	البقرة: ٣٠	﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴿٣٠﴾﴾
٩٨، ٩٤	٢	البقرة: ٦٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٠١، ٩٩	٢	البقرة: ٧٤	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾
٩٣	٢	البقرة: ٧٦	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾
٢٨٢	٢	البقرة: ٨٠	﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَسِيَامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾
١٦٩	٢	البقرة: ٨٩	﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾
١١٧، ١١٥	٢	البقرة: ٩١	﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾
٢٠٧	٢	البقرة: ٩٣	﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾
٢٧١	٢	البقرة: ٩٦	﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾
١٠٤، ١٠٣	٢	البقرة: ١٠٢	﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾
١٠٨	٢	البقرة: ١٠٢	﴿وَيُعَلِّمُونَ مَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾
١٠٦، ١٠٦، ١٠٨	٢	البقرة: ١٠٢	﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٨٢	٢	البقرة: ١١١	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾
١١١، ١١٢، ١١٢	٢	البقرة: ١١٧	﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾
٣٣٦	٢	البقرة: ١٢٤	﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾
٢١١، ٢١٠	٢	البقرة: ١٣٧	﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾
١١٥، ١١٧، ١١٩	٢	البقرة: ١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّا بِنُورِ اللَّهِ بِالنَّاسِ لِرءٍ وَفُ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾
٥٨	٢	البقرة: ١٥٩	﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾
١٢٠	٢	البقرة: ١٦١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾
٦٠	٢	البقرة: ١٧١	﴿ صُمُّ بَيْكُم ﴾
٦٨، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨	٢	البقرة: ١٨٦	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
٤٤	٢	البقرة: ١٨٧	﴿ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ ﴾
٤٤	٢	البقرة: ١٩٦	﴿ وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾
٢٣٢	٢	البقرة: ١٩٩	﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٣١	٢	البقرة: ٢٢١	﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۗ﴾
١٣٣	٢	البقرة: ٢٣٦	﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۗ﴾
١٣٥، ٧٣	٢	البقرة: ٢٤٦	﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۗ﴾
١٧٧	٢	البقرة: ٢٥٤	﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾
٣٥٣، ١٣٨	٢	البقرة: ٢٥٧	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾
١٤١	٢	البقرة: ٢٥٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهيمَ فِي رَبِّهِ ؎ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمَلِكَ إِذْ قَالَ إِبرهيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبرهيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ﴾
١٤٣	٢	البقرة: ٢٦١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضِعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾
٧٧	٢	البقرة: ٢٨٦	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ﴾
١٤٧، ٦٨	٣	آل عمران: ٧	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۗ﴾
٣٣٠	٣	آل عمران: ٨	﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ۗ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٥١	٣	آل عمران: ١٣	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَانِ فَفَعَلْتُمْ تَفْقَهُمْ فِي سَكِينِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾
١٥٩ ، ١٥٦	٣	آل عمران: ٤٠	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾
٢٣٨ ، ٦١	٣	آل عمران: ٥٥	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ إِنَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾
١٦١ ، ١٦٠	٣	آل عمران: ٥٩	﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾
١٧٠	٣	آل عمران: ٧٠	﴿ يَتَاهَلُ الْكُتُبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾
١٦٦ ، ١٦٤	٣	آل عمران: ٨٦	﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴿٨٦﴾
١٦٧ ، ١٦٤	٣	آل عمران: ٨٩	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾
١٦٤ ، ١٦٣	٣	آل عمران: ٩٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾
١٧٠	٣	آل عمران: ١٠٥	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
١٦٩ ، ١٦٨	٣	آل عمران: ١٠٦	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾
١٩٦	٣	آل عمران: ١٢٠	﴿ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴿١٢٠﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٠	٣	آل عمران: ١٢٠	﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾
١٧١	٣	آل عمران: ١٣٣	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾
٣٢٥	٣	آل عمران: ١٣٩	﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾
١٧٤ ، ١٧٣	٣	آل عمران: ١٤٣	﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾
١٩٥	٣	آل عمران: ١٦٥	﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنِمْ أَنِّي هَذَا قُلُّ هُوَ مِن عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾
٧٢ ، ٧٤ ، ١٧٦	٣	آل عمران: ١٩٢	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾
١٦٠	٤	النساء: ١	﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿١﴾﴾
٣٩	٤	النساء: ١٣	﴿تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١٣﴾﴾
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٢	٤	النساء: ١٥	﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِّن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢	٤	النساء: ١٦	﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعْذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾
١٦٣	٤	النساء: ١٨	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ ﴿١٨﴾﴾
١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧	٤	النساء: ٤٧	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبْتِ ؕ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٨٩	٤	النساء: ٥٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾
٣٥	٤	النساء: ٦٩	﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ...﴾
١٩٣، ١٩٦، ٤٥٣	٤	النساء: ٧٨	﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾
٤١، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٦	٤	النساء: ٧٩	﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾
١٤٩	٤	النساء: ٨٢	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾
٣٦١، ٧٥، ٣٦١	٤	النساء: ٨٣	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾
١٣٢	٤	النساء: ١١٧	﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾
٢٠٠	٤	النساء: ١٣١- ١٣٢	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
٩٨	٤	النساء: ١٣٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٩٩، ١٩٨	٤	النساء: ١٣٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ (١٣٧)
٢٠٣	٥	المائدة: ٥	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾
٢٣٧	٥	المائدة: ٦	﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾
٢٠٥	٥	المائدة: ٢٩	﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٩)
٢١٤، ٢١٢	٥	المائدة: ٤١	﴿ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ
١٨٧	٥	المائدة: ٦٠	﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَٰلِكَ مُتَوَبِّعًا عِنْدَ اللَّهِ مِمَّنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾
٢٠٩	٥	المائدة: ٦٧	﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٧)
٢١٤، ٢١٢	٥	المائدة: ٩٧	﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرَبَاءَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٩٧)
٢١٦، ٢١٦، ٤٦٠	٥	المائدة: ١١٦	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ... الآية ﴾
٢١٧، ٧١، ٢٢٢، ٢١٩	٥	المائدة: ١١٨	﴿ إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ عِبَادِكُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١١٨)
٢١٧، ٢١٨	٥	المائدة: ١١٩	﴿ قَالَ اللَّهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾

الصفحة	رقم السور	السورة ورقم الآية	الآية
٦٠	٦	الأنعام: ٢٣	﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾
١٢٨، ١٢٣	٦	الأنعام: ٤١	﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٤١)
٢٢٦، ٧٩	٦	الأنعام: ٦٢	﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾ (٦٢)
١٩٥	٦	الأنعام: ٧٧	﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾
٣٥	٦	الأنعام: ٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢)
٢٣١	٦	الأنعام: ٩٢	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾
٤٥٩	٦	الأنعام: ١٢١	﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٢١)
١٤٧، ٨٠، ٢٣٣، ٢٢٨	٦	الأنعام: ١٥١	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شُرُوكِآءِي بِهِ شَيْئًا﴾
٢٣٢	٦	الأنعام: ١٥١	﴿ذَلِكَ وَمَنْ صَلَّىٰ بِهِ﴾
٢٣٢، ٢٣١	٦	الأنعام: ١٥٤	﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٤)
٢٣١	٦	الأنعام: ١٥٦-١٥٧	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴿
١٩٦	٦	الأنعام: ١٦٠	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَلَهَا﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٣٦	٧	الأعراف: ٤-٥	﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾
٢٤٠	٧	الأعراف: ٨	﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾
٢٣١	٧	الأعراف: ١١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾
١٣٥	٧	الأعراف: ١٢	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾
١٣٦، ٢٢٨، ٢٢٩	٧	الأعراف: ١٢	﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾
٢٤٤، ٦٩	٧	الأعراف: ١٧	﴿ثُمَّ لَآتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾
٤٠٣	٧	الأعراف: ٢٠	﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾
٤٠٣	٧	الأعراف: ٢١	﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾
١٨	٧	الأعراف: ٥٤	﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾
٢٤٧	٧	الأعراف: ٧٩	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَتَلَّغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾
٢٥٠	٧	الأعراف: ٨٥	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ .. الآية﴾
٢٥٣	٧	الأعراف: ٨٨	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾
٤١٢	٧	الأعراف: ٨٩	﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٥٧، ٢٥٧	٧	الأعراف: ١٠٧	﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾
٣٩٨	٧	الأعراف: ١١١	﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾
٢٥٢	٧	الأعراف: ١٠٥-١٠٦	﴿ قَدْ جِئْنَاكُمْ بَيْنَنَا مِن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾
١٩٤	٧	الأعراف: ١٣١	﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾
٢٦٠، ٢٦٠	٧	الأعراف: ١٤٣	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنَّ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴿١٤٣﴾ ﴾
٢٦٢	٧	الأعراف: ١٤٤	﴿ قَالَ يَمُْوسَىٰ إِنَّي أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا ءَاتَيْتَكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾
١٩٦	٧	الأعراف: ١٦٨	﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾
١٦٨، ٦٥، ٢٦٤، ٢٦٤، ٢٦٦	٧	الأعراف: ١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾
٢٦٨، ٢٦٦	٧	الأعراف: ١٧٣	﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۗ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾
٥٩	٧	الأعراف: ١٩٨	﴿ وَتَرَدَّهُمْ ينظرون إليك ﴾
٣٢٩	٨	الأطفال: ٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ ﴾
٨٧	٨	الأطفال: ٤١	﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ ﴾
١٥٢، ١٥١، ١٥٣	٨	الأطفال: ٤٤	﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩٦	٩	التوبة: ٦٤-٦٥	﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقِينَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ أَيْدِي اللَّهِ وَأَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾
٢٧٠	٨	الأفال: ٧٢-٧٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ ءَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾
٥٠	٩	التوبة: ٢	﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٧٤، ٦٦	٩	التوبة: ٣	﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَنَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيَوْمٍ ﴿٣﴾﴾
٢٧٦، ٦٦	٩	التوبة: ٥	﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾
٢٧٨	٩	التوبة: ٨	﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٨١	٩	التوبة: ٢٩	﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾
٢٨٦، ٢٦٩، ٣٠٢	٩	التوبة: ٣١	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
١٩٦، ١٩٦	٩	التوبة: ٥٠	﴿ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُؤِهِمْ وَإِن تَصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾
١٩٦	٩	التوبة: ٥١	﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴿٥١﴾
٢٨٨	٩	التوبة: ٥٤	﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾
٢٩٠	٩	التوبة: ٥٥	﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾
٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٦	٩	التوبة: ٦٦	﴿ لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعَفَ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾
٢٩٦	٩	التوبة: ٧٤	﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴿٧٤﴾
٢٩٧	٩	التوبة: ٧٤	﴿ بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴿٧٤﴾
٣٩٠	٩	التوبة: ١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴿١٠٣﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٣٩ ، ٣٣٨	٩	التوبة: ١١٤	﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤)
١٤٩	١٠	يونس: ١	﴿ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِنَانِ الْحَكِيمِ ﴾ (١)
٣٧٦ ، ٣٧٥	١٠	يونس: ٢٤	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾
٢٢٦ ، ٢٩٩	١٠	يونس: ٣٠	﴿ هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣٠)
٣٠١	١٠	يونس: ٣٤	﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعْبِدُوهُ ﴾ (٣٤)
٣٠٠ ، ٦٦	١٠	يونس: ٣٥	﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٥)
٣٠١	١٠	يونس: ٣٥	﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾ (٣٥)
٣٠٧ ، ٦٦	١٠	يونس: ٣٨	﴿ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (٣٨)
٢٣٤	١٠	يونس: ٤٦	﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ (٤٦)
٣٠٤	١٠	يونس: ٩٤	﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (٩٤)
١٤٧	١٠	يونس: ١٠٠	﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٠)
٣٠٤	١٠	يونس: ١٠٤	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٤)
١٤٧	١١	هود: ١	﴿ الرَّكَنُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ (١)

الصفحة	رقم السور	السورة ورقم الآية	الآية
٣٠٧، ٦٦	١١	هود: ١٣	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَّادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾
٣١٢، ٣١١	١١	هود: ٣٨	﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾
٣٣٦	١١	هود: ٤٦	﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾
٢٦١	١١	هود: ٤٦	﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾
٤١٧	١١	هود: ١٠١	﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ ﴿١٠١﴾﴾
٤٤١	١١	هود: ١٠٦	﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾
٥٩	١٢	يوسف: ٤	﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾
٣١٥	١٢	يوسف: ١٣	﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾
٣١٥، ٣١٥	١٢	يوسف: ١٧	﴿قَالُوا يَتَّابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَآكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾
٣٥٦	١٢	يوسف: ٣٥	﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾
١١١	١٢	يوسف: ٣٦	﴿إِنِّي أَرِنِّي أَحْمِرُ خَمْرًا﴾
١٣٩، ١٣٨	١٢	يوسف: ٣٧	﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
٧٢	١٢	يوسف: ٧٣	﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾
٣١٨	١٢	يوسف: ٧٣	﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾
٣٢٠، ٧٤	١٢	يوسف: ٨٢	﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤١١، ٤١٠	١٢	يوسف: ٨٦	﴿تَمَّأَ أَشْكُوا بَنِيَّ وَحَرَّيْنَا إِلَى اللَّهِ﴾
٣٢٣	١٢	يوسف: ٨٩	﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾
٣٢٥	١٢	يوسف: ٩٩	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾
٣٣٠، ٣٢٩	١٣	الرعد: ٢٨	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا فُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾
٤٤	١٣	الرعد: ٣٥	﴿أَكْثَرُهَا دَائِمٌ وَظُلْمًا﴾
٣٣٣	١٤	إبراهيم: ٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ﴿فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ﴿الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤﴾
٣٣٥	١٤	إبراهيم: ٣٥	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ ﴿أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا الصَّامِتَ﴾ ﴿٣٥﴾
٣٣٦	١٤	إبراهيم: ٣٦	﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾
٤١٧	١٤	إبراهيم: ٣٦	﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾
٣٣٨	١٤	إبراهيم: ٤١	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٤١﴾
١٩٠	١٤	إبراهيم: ٤٨	﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾
١٨٩	١٤	إبراهيم: ٥٠	﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾
٣٤٩، ٣٤٨	١٥	الحجر: ٩٢-٩٣	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾
٣٤١	١٥	الحجر: ١	﴿الرَّءِ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١﴾
٣٤٥، ٣٤٣	١٥	الحجر: ٢	﴿رُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٥٨	١٥	الحجر: ٢٧	﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾
٣٤٦	١٥	الحجر: ٣٠	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾
١٣٥، ٧٣، ١٣٦	١٥	الحجر: ٣٢	﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾
٢١١، ٢١٠	١٥	الحجر: ٩٥	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾
١٢٧	١٦	النحل: ٢٠	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾
٦٠	١٦	النحل: ٢٨	﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴿٢٨﴾﴾
٣٥٣، ١٠١، ٣٥٤	١٦	النحل: ٤٨	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾
٦٠	١٦	النحل: ٨٤	﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾
٤٢٥	١٦	النحل: ٩٩-١٠٠	﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
٣٥٦	١٦	النحل: ١٠٥	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾
٣٦٩، ٧٢، ٣٦٩	١٧	الإسراء: ٨٦-٨٧	﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾
١٤٧	١٧	الإسراء: ٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾﴾
٩٩	١٧	الإسراء: ٤٤	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِمَجْدِهِ ﴿٤٤﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٥٩	١٧	الإسراء: ٦٤	﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾
٣٦١، ٧٥	١٧	الإسراء: ٧٤	﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَفَدَكْتَ تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾
٣٦٧	١٧	الإسراء: ٧٨	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴿٧٨﴾﴾
٣٦٤، ٤٣	١٧	الإسراء: ٧٩	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾
٣٧١	١٧	الإسراء: ٩٧	﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنْفِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَ وَبُكْمًا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾
٣٧٥	١٨	الكهف: ٧	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾
٣٧٧	١٨	الكهف: ١٨	﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴿١٨﴾﴾
٣٧٨	١٨	الكهف: ٢٥	﴿وَلِيَتَوَفَّيَ كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾
٣٨١، ٨٠	١٨	الكهف: ٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾
٣٨٣	١٨	الكهف: ٣٦	﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾
٣٧٢	١٨	الكهف: ٤٧	﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾
٣٧١	١٨	الكهف: ٥٣	﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ ﴿٥٣﴾﴾
١٠١	١٨	الكهف: ٧٧	﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴿٧٧﴾﴾
٣٨٥	١٨	الكهف: ٩٣	﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٥، ٧١	١٨	الكهف: ٩٤	﴿قَالُوا يَنْذُ الْقُرَيْبِينَ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾
٣٨٨	١٩	مريم: ١٨	﴿قَالَتْ إِنْ يَئِجُودُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾
٣٩٠	١٩	مريم: ٣١	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾
١٣٢	١٩	مريم: ٤٤	﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾
٢٦٠	١٩	مريم: ٥٢	﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾
٤٤٥، ٤٤٤	١٩	مريم: ٨٢	﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾
٣٧٢	١٩	مريم: ٨٥	﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾
٤٦٣	١٩	مريم: ٩٠	﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ﴿٩٠﴾﴾
١٠١	١٩	مريم: ٩٠-٩١	﴿وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾
٢٥٧	٢٠	طه: ٢٠	﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ﴿٢٠﴾﴾
١٨	٢٠	طه: ٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾
٤٧	٢٠	طه: ٣٦	﴿أَوْتَيْتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾﴾
٣٩٣	٢٠	طه: ٤٤	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ أَعْلَاهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾﴾
٣٩٨	٢٠	طه: ٦١	﴿وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴿٦١﴾﴾
٣٩٨	٢٠	طه: ٦٣	﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ﴿٦٣﴾﴾
٣٩٧، ٣٩٦	٢٠	طه: ٧٣	﴿إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾﴾
٣٩٩، ٧١	٢٠	طه: ٩٦	﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٥٠	٢٠	طه: ١٠٨	﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨)
٤٠٢، ٤٠١	٢٠	طه: ١١٥	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥)
٣٥٧	٢٠	طه: ١٢١	﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (١٢١)
٤٠٨، ٧٤	٢١	الأنبياء: ٨١	﴿وَلَسُلَيْمَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ (٨١)
٤٠٥، ٤٠٥، ٤٠٦	٢١	الأنبياء: ٣٠	﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠)
١٩٦	٢١	الأنبياء: ٣٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥)
٤١١، ٤١٠	٢١	الأنبياء: ٨٣-٨٤	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٤)
٤١٢	٢١	الأنبياء: ١١٢	﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢)
٤١٥	٢٢	الحج: ١٣	﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيُبْسَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُبْسَ الْعَشِيرُ﴾ (١٣)
٣٨١	٢٢	الحج: ١٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ الآية
٩٩	٢٢	الحج: ١٨	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾
٣٥٠	٢٢	الحج: ٤٧	﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٢٢، ٤٢٣، ٤٧٧	٢٢	الحج: ٥٢	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْقَيُّ السَّيِّطُنُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي السَّيِّطُنُ ثُمَّ يَمْحِكُمُ اللَّهُ عَيْنَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾
٤٢٧، ٧٠	٢٢	الحج: ٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ لِإِبْرَاهِيمَ﴾
٢٤٠، ٢٤٠	٢٣	المؤمنون: ٥١	﴿يَتَأْتِيَهَا الرُّسُلُ﴾
٣٣٠	٢٣	المؤمنون: ٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾
٤٣١، ٦٥، ٤٣٣	٢٣	المؤمنون: ١٠١	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾
٣٧١، ٦٠، ٣٧٢	٢٣	المؤمنون: ١٠٨	﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾
٤٣٥، ٤٣٥، ٤٣٨	٢٤	النور: ٤	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾
٤٣٨، ٤٣٧	٢٤	النور: ١٣	﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾
٣٢٦	٢٤	النور: ٣٣	﴿إِنْ أَرَدْنَا نَحْنُ نَحْصَنًا﴾
٩٩	٢٤	النور: ٤١	﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدْعَةٍ صِلَانَهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾
٤٤٠، ٣٧١	٢٥	الفرقان: ١٢	﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾
٣٧١	٢٥	الفرقان: ١٣	﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾
١٢٧	٢٥	الفرقان: ٧٧	﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾
١٩٥	٢٦	الشعراء: ٢٢	﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾

الصفحة	رقم السور	السورة ورقم الآية	الآية
٣٥٧	٢٦	الشعراء: ٢٩	﴿قَالَ لِيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾
٣٩٧	٢٦	الشعراء: ٣٦	﴿وَبَعَثَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾
٤٤٤	٢٦	الشعراء: ٧٥-٧٧	﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾
٢٤٠	٢٦	الشعراء: ١٠٥	﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾
٢٤٠	٢٦	الشعراء: ١٢٣	﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾
٢٥١	٢٦	الشعراء: ١٨٧	﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾
٦	٢٦	الشعراء: ١٩٥	﴿يَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾
٢٥٧	٢٧	النمل: ١٠	﴿كَانَتْهَا جَانٌّ ﴿١٠﴾﴾
٤٤٧	٢٧	النمل: ١٨	﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادَّخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾
١٩٤	٢٧	النمل: ٤٧	﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمِّنُ مَعَكَ قَالِ طَيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾
٤٤٩	٢٧	النمل: ٨٠	﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾
٦٠	٢٧	النمل: ٨٥	﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾
٣٥١	٢٨	القصص: ٦٥	﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾
٤٥٢، ٧٣	٢٩	العنكبوت: ٢٢	﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾
١٢٠، ١٢٠	٢٩	العنكبوت: ٢٥	﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿٢٥﴾﴾
٢١٤	٢٩	العنكبوت: ٦٧	﴿أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُحِطُّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿٦٧﴾﴾

الصفحة	رقم السور	السورة ورقم الآية	الآية
١١٢	٣٠	الروم: ٢٥	﴿وَمَنْ آيَنَهُ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾﴾
١٩٦	٣٠	الروم: ٣٦	﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
٤٠٦	٣٠	الروم: ٥٠	﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾
١٧٧	٣١	لقمان: ١٣	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾
٢٠٧	٣١	لقمان: ١٠	﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾
٣٥	٣١	لقمان: ١٣	﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾
٤٢٨ ، ٤٢٧	٣٣	الأحزاب: ٦	﴿وَأَرْوَجُهُمْ لَمَمَّهِمْ﴾
٦٠	٣٣	الأحزاب: ١٩	﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ﴾
٤٥٥	٣٣	الأحزاب: ٤٠	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾
٨٧	٣٣	الأحزاب: ٥٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾
١٠١	٣٣	الأحزاب: ٧٢	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾
٤٠٨	٣٤	سبأ: ١٢	﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾
٢٤٥	٣٤	سبأ: ١٣	﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾
٢٤٤ ، ٦٩ ، ٢٤٥	٣٤	سبأ: ٢٠	﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾
١٢٧	٣٤	سبأ: ٢٢	﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤١٩، ١١٩	٣٤	سبأ: ٢٤	﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾
٤٥٩	٣٤	سبأ: ٤١	﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِجِنِّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾
٤٤٥	٣٥	فاطر: ٦	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾
٥٥	٣٥	فاطر: ٣٢	﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴿٣٢﴾﴾
٤٦٣، ٧٩	٣٥	فاطر: ٤١	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾
٤٣٣	٣٦	يس: ٥٢	﴿قَالُوا يَا بُولَاقَآءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾
١٣٢	٣٦	يس: ٦٠	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾
٤٦٦	٣٧	الصفات: ٥	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾﴾
٣٧٢	٣٧	الصفات: ٢٢-٢٣	﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾
٣٥٠	٣٧	الصفات: ٢٤	﴿وَقَفُّهُمْ إِلَيْهِمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾
٣٥٠، ٦٦، ٤٣٢، ٤٣١، ٤٣٢	٣٧	الصفات: ٢٧	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾
٤٦٨	٣٧	الصفات: ١٠٤-١٠٥	﴿وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْنِي أَتَابِعْهُمُ ﴿١٠٤﴾﴾ فَدَّ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾
٤٧٠، ٤٧٠	٣٧	الصفات: ١٤٥	﴿فَبَدَّدْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٠١	٣٨	ص: ١٧-١٨	﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾
٤٧٢	٣٨	ص: ٢٢	﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾
٤٧٥	٣٨	ص: ٢٤	﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ... الآية﴾
٤١٠	٣٨	ص: ٤١	﴿أَبَى مَسَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾
٢٦٣	٣٨	ص: ٤٧	﴿وَأَنْتُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾
١٤٧	٣٩	الزمر: ٢٣	﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَدِّهَا﴾
٣٣٠	٣٩	الزمر: ٢٣	﴿نَفْسَعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾
٣٤٨	٣٩	الزمر: ٣١	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾
١٢٣	٤٠	غافر: ٦٠	﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾
٦٠	٤٠	غافر: ٧٤	﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾
٥٩	٤١	فصلت: ٢١	﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾
٣٥٩	٤١	فصلت: ٤٠	﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾
٤٢٢، ٧٨	٤١	فصلت: ٤٢	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾
١٢٧	٤٢	الشورى: ٢٦	﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾
١٩٣، ٤١، ١٩٥	٤٢	الشورى: ٣٠	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٣٦	٤٣	الزخرف: ٢٨	﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨)
٣٣٦	٤٣	الزخرف: ٢٩	﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَاتُولَاءَ﴾
٣٣٦	٤٣	الزخرف: ٢٩	﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾
٣٣٦	٤٣	الزخرف: ٣٠	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٠)
٤١	٤٥	الحجاثية: ٦	﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)
٢٢٦، ٧٩، ٢٩٩	٤٧	محمد: ١١	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (١١)
٤٨	٤٧	محمد: ٣٦	﴿وَلَا يَسْئَلُكُمْ ءَمْوَالَكُمْ﴾ (٣٦)
٣٦٨، ٣٦٦	٤٨	الفتح: ٢	﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢)
٣٢٦، ٣٢٥	٤٨	الفتح: ٢٧	﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾
٤١٩، ٤١٥	٥٠	ق: ٣	﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (٣)
١٤٩	٥١	الذاريات: ٨-٩	﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ (٨) ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ ءُفِكَ﴾ (٩)
١٧٢، ١٧١	٥١	الذاريات: ٢٢	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢)
١٧٢	٥٣	النجم: ١٣-١٤	﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٤)
٤٢٥	٥٣	النجم: ٢٣	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾
١٠١	٥٥	الرحمن: ٦	﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ (٦)
٤٦٧، ٤٦٦	٥٥	الرحمن: ١٧	﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (١٧)
٣٤٩، ٣٤٨، ٣٥٠	٥٥	الرحمن: ٣٩	﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (٣٩)
٣٥٠	٥٥	الرحمن: ٤١	﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُرَخِّدُ بِالنَّوْصَىٰ وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٧	٥٦	الواقعة: ١	﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾
١٣٥، ٧٣	٥٧	الحديد: ٨	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾
٥٠	٥٨	المجادلة: ٧	﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَاِعُهُمْ ﴿٧﴾﴾
٣٣٨	٦٠	الممتحنة: ٤	﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَعِفِرَنَّ لَكَ ﴿٤﴾﴾
١٨٦	٦٢	الجمعة: ٥	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴿٥﴾﴾
٢٩٦	٦٣	المنافقون: ١	﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ ﴿١﴾﴾
٢٩٦	٦٣	المنافقون: ٢-٣	﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَهَنَّمَ فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾
٦٠	٦٣	المنافقون: ٤	﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴿٤﴾﴾
٧٢	٦٦	التحريم: ٨	﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴿٨﴾﴾
٥٠	٦٧	المالك: ١٦	﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾﴾
٤٧٠	٦٨	القلم: ٤٩	﴿تَوَلَّى أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِءَ لَنُبْدِيَ بِالْعَرَاءِ ﴿٤٩﴾﴾
٣٥٠	٦٩	الحاقة: ١٩	﴿هَاقُمُ اقْرَءْ وَكُنَّيَّةَ ﴿١٩﴾﴾
٣٤٩	٧٠	المعارج: ٤	﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾
٤٦٦	٧٠	المعارج: ٤٠	﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿٤٠﴾﴾
٤٦٦	٧٣	المزمل: ٩	﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿٩﴾﴾
٩١	٧٦	الإنسان: ٧	﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِئْرِ ﴿٧﴾﴾
٩١	٧٦	الإنسان: ٩	﴿إِنَّمَا نُنْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾

الصفحة	رقم السور	السورة ورقم الآية	الآية
٣٤٩، ٣٤٨	٧٧	المرسلات: ٣٥	﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾
١٧٠	٨٠	عبس: ٣٨-٤٢	﴿ وَجْهٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوَجْهٌ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾
٣٧٢	٨١	التكوير: ٥	﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾
٣١٣	٨٣	المطففين: ٢٤	﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾
٢٣٢	٩٠	البلد: ١٣-١٧	﴿ فَكَ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بَيْنَمَا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿١٧﴾ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾
٢٣٤، ١٦١	٩٠	البلد: ١٧	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٢٤١	١٠١	الفرارعة: ٦-٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾
٣٦٦	١١٠	النصر: ١	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾
٣٦٧، ٣٦٦	١١٠	النصر: ٢	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾ ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق	١٣٣
٢	أجدني مغموماً وأجدني مكروباً	٤١٠
٣	إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس	١٧١
٤	ألست تقرأ: يا أيها المزمّل؟ قلت: بلى	٣٦٥
٥	أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه	٦٩
٦	أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها	١٩٩
٧	أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام	١٨٧
٨	إن ابني هذا سيد؟	٤٥٥
٩	إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان وما استكرهوا عليه	٤٠١
١٠	إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق	٢٤٣
١١	إن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه	٢٦٥
١٢	أن الله مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته	٢٦٤
١٣	إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى فلما سمع النداء	١٥٧
١٤	إن الله يدخل قوماً النار ثم يخرجون منها	١٧٦
١٥	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	١٦٣
١٦	إن الميت ليغذب ببكاء أهله عليه	٢٩٢
١٧	أن علياً قال: لما نزلت عشر آيات من "براءة"	٢٧٤
١٨	أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا	١٦٤

م	طرف الحديث	الصفحة
١٩	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها	٦
٢٠	إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا	٣٧٢
٢١	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي	٣١٦
٢٢	إنما أنا لكم مثل الوالد لولده	٧٠، ٤٢٧، ٤٢٨
٢٣	أنه يقتل الدجال بباب لد	٦٢
٢٤	إنني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي	٩٩
٢٥	البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الرجم	٥٢
٢٦	بينما رجل يسوق بقرة إذ عيي فركبها فضربها	٩٩
٢٧	خمس صلوات فرضهن الله على العباد	٣٦٥
٢٨	ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم	٢٧٧
٢٩	السفر قطعة من العذاب	٢٩٢
٣٠	فرجع الحارث فأسلم، فحسن إسلامه	١٦٤
٣١	فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة	٣٦٧
٣٢	قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترحم والبكر تجلد	١٨٢
٣٣	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	٨٥
٣٤	كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي	٦٥، ٤٣١
٣٥	كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان	٢٤٠
٣٦	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان	٢٤٢
٣٧	كم ينحرون كل يوم؟ قال: يوماً تسعاً ويوماً عشراً	١٥٤
٣٨	كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل	٢٠٦
٣٩	لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا	٤٠١

م	طرف الحديث	الصفحة
٤٠	لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور	٢٣٧
٤١	ليهبطن عيسى بن مريم حكماً مقسطاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير	٦٢
٤٢	ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة	١٢٦
٤٣	ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثلها	٢٥٠
٤٤	من آوى محدثاً	٣٢٦
٤٥	من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه	٢٩٢
٤٦	هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم	٦
٤٧	هذا جبل يحبنا ونحبه	٩٩
٤٨	والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم	٢٤٧
٤٩	والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد	٢٤٢
٥٠	ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر	١٩٩
٥١	يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟	٣٥
٥٢	يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك	٢٨٦
٥٣	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	٣٣٠
٥٤	يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب	٣٦٩
٥٥	يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم	١٢٥

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العالِم	الصفحة
١	إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج	٤٣
٢	أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي	٢٢١
٣	أحمد بن الحسين بن مهران، أبو بكر الإصبهاني	٣٧
٤	أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني	٣١
٥	أحمد بن علي، أبو بكر الرازي (الجصاص)	٢٣٤
٦	أحمد بن علي بن محمد الكناني (ابن حجر)	٦
٧	أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين الرازي	١٣١
٨	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي	٣١
٩	أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس (النحاس)	٥٣
١٠	أحمد بن محمد بن بكر الهزاني (أبو روق)	٢١٦
١١	أحمد بن أبي نصر الكوفاني	٢١
١٢	أسعد بن أحمد بن يوسف، أبو الغنائم البامنجي	٢٢
١٣	إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي	٣٣
١٤	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو القرشي	٢٧
١٥	أصحمة بن أبحر النجاشي	٩٥
١٦	أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي	١٤٣
١٧	بحيرا الراهب	٩٥
١٨	ثابت بن ثوبان العنسي	١٢٥

م	اسم العُلم	الصفحة
١٩	جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي	١٢٦
٢٠	جذيمة بن مالك بن تيم الأزدي	٣٤٣
٢١	جمال الدين بن محمد بن سعيد القاسمي	١٨٥
٢٢	حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني	٢٢٣
٢٣	حسن المنيعي	٢١
٢٤	الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي	٣٧٨
٢٥	الحسن بن الحسن بن محمد الحلبي	٣٥١
٢٦	الحسن بن مسعود البغوي	٢٢
٢٧	الحسين بن الفضل بن عمير البجلي	٣٩٣
٢٨	حمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي	١١١
٢٩	حمزة بن حبيب الزيات	٣٩
٣٠	حميد بن زنجويه ابن مخلد الأزدي	١٢٣
٣١	حيي بن أخطب اليهودي	١٣٨
٣٢	خلف بن هشام بن ثعلب البزار	٤٠
٣٣	خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب الهذلي	٤٨
٣٤	خويلد بن مرة أبو خراش الهذلي	١٩٥
٣٥	الربيع بن أنس بن زياد البكري	٦٢
٣٦	ربيع بن زيد، أبو شعيب الإيادي	١٢٤
٣٧	رئاب بن السني	٩٤
٣٨	زيان بن العلاء المازني	٣٨
٣٩	زيد بن أسلم، أبو عبدالله العدوي	٣٢

م	اسم العُلم	الصفحة
٤٠	زيد بن عمرو بن نفيل القرشي	٩٤
٤١	سعيد بن مسعدة المجاشعي (الأخفش)	٤٣
٤٢	سقراط بن سقرونقس	٧
٤٣	سلمى بن عبدالله بن سلمى، أبو بكر الهذلي	٢٦٠
٤٤	سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني	٤٠
٤٥	سويد بن أبي كاهل بن حارثة الذبياني	٨٨
٤٦	الضحاك بن مزاحم البلخي الهلالي	٣٢
٤٧	طاهر بن علي بن الحسين الصيرفي	٣٧
٤٨	طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري	٣٠٠
٤٩	عائذ الله بن عبدالله بن عمرو، أبو إدريس الخولاني	١٢٥
٥٠	عاصم بن أبي النجود الأسدي	٣٩
٥١	عَامر الخَصْفِي المحاربي	٢٢٧
٥٢	عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي	٤٥٥
٥٣	عبدالحق بن غالب بن تمام بن عطية	٩٢
٥٤	عبدالرحمن بن أبزي الخزاعي	١٠٤
٥٥	عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامي	٥١
٥٦	عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي	٢٧
٥٧	عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي	١٢٥
٥٨	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري	١٨١
٥٩	عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي	٥٤
٦٠	عبدالرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي الموقفي	٢٢

م	اسم العُلم	الصفحة
٦١	عبدالرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي	١٢١
٦٢	عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، ابن أبي حاتم الرازي	١١٦
٦٣	عبدالرحمن بن محمد الدَّاودي	٢٠
٦٤	عبدالرحمن بن محمد، أبو القاسم السرخسي	٢٣
٦٥	عبدالعزيز بن أبان بن محمد بن العاص الأموي	٣٩٦
٦٦	عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز الكناني	١٨٩
٦٧	عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني	٢٧٤
٦٨	عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي	١٢٨
٦٩	عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني	١٢٤
٧٠	عبدالله بن عامر الشامي	٣٨
٧١	عبدالله بن كثير الداري المكي	٣٨
٧٢	عبدالله بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي	٥٣
٧٣	عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	٨٨
٧٤	عبدالواحد المليحي	٢٠
٧٥	عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي	٢٥
٧٦	عبد بن أبي لبابة، أبو القاسم الأسدي	١٣٩
٧٧	عبد بن حميد بن نصر	٣٤٩
٧٨	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري	٥٠
٧٩	علي بن أحمد بن محمد بن متوية الواحدي	١٩٨
٨٠	علي بن إسماعيل المرسي (ابن سيده)	٢٨٠
٨١	علي بن حمزة الكسائي	٣٩

م	اسم العلام	الصفحة
٨٢	علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي	١٤٨
٨٣	علي بن محمد بن إبراهيم الشحي (الخان)	٣٠
٨٤	علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي	٢٨١
٨٥	علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني	٤٩
٨٦	علي بن يوسف الجويني	٢١
٨٧	عمر بن الحسين الرازي	٢٣
٨٨	عمر بن علي بن عادل الحنبلي	١٦٠
٨٩	عمرو بن حممة بن رافع الدوسي	١١٣
٩٠	عمرو بن عبيد بن باب التيمي	٤٣
٩١	عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي	٢٥٣
٩٢	الفضل بن قدامة، أبو النجم العجلي	١١٣
٩٣	فضل الله بن محمد النوقاني	٢٢
٩٤	قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك	٩٤
٩٥	كعب بن الأشرف الطائي	١٣٨
٩٦	كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني	١٠٧
٩٧	لبيد بن ربيعة بن مالك العامري	٢٧٩
٩٨	الليث بن سعد بن عبدالرحمن	١٩
٩٩	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي	٥٥
١٠٠	محمد بن أحمد الأزهري	٦١
١٠١	محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي	٥٣
١٠٢	محمد بن أحمد الشربيني	١٧١

م	اسم العلام	الصفحة
١٠٣	محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبي	١٧
١٠٤	محمد بن أحمد بن علي، أبو نصر المروزي	٣٦
١٠٥	محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي	١٥٤
١٠٦	محمد بن أسعد العطارى	٢٢
١٠٧	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	٥٨
١٠٨	محمد بن بحر الأصفهاني	١٦١
١٠٩	محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية)	٨٩
١١٠	محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي	٥٢
١١١	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري	٥٤
١١٢	محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي	١٤٨
١١٣	محمد حسين الذهبي	٣٦
١١٤	محمد بن الحسين الزاغولي	٢٣
١١٥	محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبى	٣٢
١١٦	محمد بن صالح بن محمد العثيمين الوهيبي	١١٦
١١٧	محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي	٥٥
١١٨	محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلاني	١٥٦
١١٩	محمد بن عبدالرحمن بن أحمد النسوي	٢١
١٢٠	محمد بن عبدالله بن حمدويه الضبي (الحاكم)	١٥٧
١٢١	محمد بن عبدالله بن أبي عون الرياني	١٢٣
١٢٢	محمد بن عبدالله بن محمد المعافري (ابن العربي)	٤٢٤
١٢٣	محمد بن عبدالله المري (ابن أبي زمنين)	٢٥٧

م	اسم العُلم	الصفحة
١٢٤	محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني	١٦٥
١٢٥	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الفخر الرازي	٥٦
١٢٦	محمد بن عمر الوراق الترمذي	٣٩٣
١٢٧	محمد بن القاسم بن بشار، ابن الأنباري	٤٢
١٢٨	محمد بن كعب بن سليم القرظي	٣٢
١٢٩	محمد بن محمد بن سمعان الحيري	١٢٣
١٣٠	محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة	٣٤
١٣١	محمد بن محمد الطائي	٢٢
١٣٢	محمد بن محمد بن عرفة الورغمي	٨٤
١٣٣	محمد بن محمد بن محمد الغزالي	٥٢
١٣٤	محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود العمادي	٩١
١٣٥	محمد بن المستنير بن أحمد (قطرب)	١٠٦
١٣٦	محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري	٤٧
١٣٧	محمد بن أبي الهيثم الثرابي	٢١
١٣٨	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي (المبرد)	١٨٤
١٣٩	محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي	٣٠٨
١٤٠	محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان الغرناطي	١١٧
١٤١	محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي	٣٠٢
١٤٢	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	١٤٤
١٤٣	محمود بن محمد بن علي الزركلي	٢٨
١٤٤	معاوية بن صالح بن حدير الحضرمي	١٢٤

م	اسم العَلم	الصفحة
١٤٥	معمر بن المثنى، أبو عبيدة التيمي	٤٢
١٤٦	مقاتل بن حيان، أبو بسطام البلخي	٣٣
١٤٧	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي	٣٣
١٤٨	مكحول الدمشقي	١٢٦
١٤٩	منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني	٥٦
١٥٠	نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي	٣٤٩
١٥١	نافع بن عبدالرحمن المدني	٣٧
١٥٢	ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزيز	٩٤
١٥٣	وهب بن منبه الأبنوي الصنعاني	٦٢
١٥٤	ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي	٢٥
١٥٥	يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي (الفراء)	٦١
١٥٦	يزيد بن رومان، أبو روح المدني	١٥٤
١٥٧	يزيد بن الققعاع المخزومي	٣٧
١٥٨	يعقوب بن أحمد الصيرفي	٢١
١٥٩	يعقوب بن إسحاق الحضرمي	٣٨
١٦٠	يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري	٢٨

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت	الصفحة
١	أبيض اللون لذيذ طعمه ... طيب الريق إذا الريق خدع	٨٩
٢	إذا حضرائي قلت لو تعلموا به ... ألم تعلموا أي من الزاد مرمل	١٠٧
٣	أساءلت رسم الدار، أم لم تسائل ... عن السكن، أم عن عهده بالأوائل؟	٤٨
٤	امتلاً الحوض وقال قطني ... مهلاً زويداً قد ملأت بطني	١١٣
٥	إن الخليفة إن الله ألبسه ... سربال ملك به ترجى الخواتيم	٣٨٢
٦	إن عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضرة	٢٥٤
٧	إن من ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده	٢٣٢
٨	أيقنني والمشرقي مضاجعي ... ومسئونة زرق كانياب أحوال	١٤٣
٩	تتابع أحداث تخرمن إخوتي ... فشيبي رأسي والخطوب نشيب	٤٧٥
١٠	ترأك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يعنق بعض النفوس حمامها	٢٧٩
١١	تقول ابنتي لما رأتي شاحبا ... كأنك سعيد يحميك الطعام طيب	٤٧٥
١٢	تلك المكارم لا فعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا	٢٥٤
١٣	تمنى كتاب الله أول ليله ... وأخرها لاقى حمام المقادر	٤٢٢
١٤	ربما أوفيت في علم ... ترفعن ثوبي شمالات	٣٤٤
١٥	رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم	١٩٥
١٦	على لاحب لا يهتدى بمناره ... إذا سافه العود النباطي جرجرا	١٦٦
١٧	فأصبحت مثل النسر طارت فراخه ... إذا رام تطيارا يقال له قع	١١٣

م	البيت	الصفحة
١٨	فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لَدَيْكَ وأوصالي	٢٠٧
١٩	فما النَّاسُ بالنَّاسِ الذين عهدتهم ... ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كنتُ أعرفُ	١٩٠
٢٠	فمن يهجو رسولَ الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء	٧٣، ٤٥٢
٢١	فقد قالتِ الأنساعُ للبطنِ الحقي ... قدماً، فأضتْ كالْفَنِيْقِ المُخْنِقِ	١١٣
٢٢	كسا اللؤمُ تيمًا خضرةً في جلودها ... فويلُ لتيمٍ من سراييلها الخضر	١٩١
٢٣	لا تحرمني هداك الله مسألتي ... ولا أكونن كمن أودى به السفر	٥٩
٢٤	للفتى عقل يعيش به ... حيث تهدي ساقه قدمه	٣٠١
٢٥	ملكٌ تقوُّمُ الحادِثاتُ لِعَدْلِهِ ... فلِكُلِّ حادِثَةٍ لَهَا مِيزَانُ	٢٤٢
٢٦	هُمُ المَوْلَى، وَإِنْ جَنَفُوا عَلَيْنَا ... وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمْ لَزُورُ	٢٢٧
٢٧	الوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فِي ذُرَا سَبَاٍ ... قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ	٣٥٣
٢٨	ورأيتُ زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحا	٤٤٠
٢٩	يَقُولُ إِذَا أَقْلَوْلَى عَلَيْهَا وَأَقْرَدَتْ ... أَلَا هَلْ أَخُو عَيْشٍ لَدِيدٍ بِدَائِمِ	١٣٦

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

(١) الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد، الطبعة: الأولى

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ)، المحقق: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

(٤) أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ

(٥) أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٦) أحكام القرآن، المؤلف: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكنيا الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

- (٧) أحكام أهل الذمة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- (٨) أدب الكاتب، المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة، السنة: عام ١٤٠٢هـ.
- (٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت
- (١٠) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- (١١) أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- (١٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٨هـ.
- (١٣) الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلی محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- (١٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

(١٥) أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ للإمام الدارقطني، المؤلف: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (المتوفى: ٥٠٧هـ)، المحقق: جابر بن عبد الله السريع، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

(١٦) إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار الإمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

(١٧) إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

(١٨) الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

(١٩) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٥هـ.

(٢٠) إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، المؤلف: محمد بن عبدالغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)، المحقق: د. عبدالقيوم عبد ريب النبي، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢١) الأنساب، المؤلف: عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

- (٢٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ
- (٢٣) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (المتوفى سنة ٧٩٤هـ)، تحقيق: د. محمد محمد تامر، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (٢٤) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ.
- (٢٥) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٢٦) بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا - عادل عبدالحميد العدوي - أشرف أحمد. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٦.
- (٢٧) البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- (٢٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- (٢٩) البغوي ومنهجه في التفسير، إعداد الطالبة: عفاف عبدالغفور حميد، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة، عام ١٤٠٠هـ.

(٣٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

(٣١) البناية شرح الهداية، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ

(٣٣) تاج التراجم، المؤلف: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السوداني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٣٤) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٣٥) التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٣٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

- (٣٧) تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (٣٨) تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (٣٩) تأويل مشكل القرآن، المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- (٤٠) تنمة الأعلام للزركلي، المؤلف: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.
- (٤١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- (٤٢) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المؤلف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزني (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: عبدالصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٤٣) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- (٤٤) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- (٤٥) التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- (٤٦) التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
- (٤٧) تفسير الإمام ابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م
- (٤٨) التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، حققه مجموعة من الطلاب في جامعة الإمام، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ
- (٤٩) تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى
- (٥٠) تفسير السراج المنير، المؤلف: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٥١) تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ
- (٥٢) تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

(٥٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ

(٥٤) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

(٥٥) تفسير القرآن الكريم - سورة ص، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، حالة الفهرسة: غير مفهرس، سنة النشر: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م.

(٥٦) تفسير القرآن لابن المنذر، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المائر - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

(٥٧) تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٥٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

(٥٩) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م

(٦٠) تفسير روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

- (٦١) تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبدالله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ
- (٦٢) التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- (٦٣) تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٦٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.
- (٦٥) تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (٦٦) تهذيب التهذيب، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٦٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزني (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (٦٨) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٦٩) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، المؤلف: محمد بن عبدالله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

(٧٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧١) التيسير في القراءات السبع، المؤلف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (المتوفى: ٤٤٤هـ)، دراسة وتحقيق: د. خلف حمود سالم الشغدلي، قدم له وأشرف عليه: علي بن عبدالرحمن الحذيفي، وعبدالرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي، الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٧٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبدالسند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٣) جامع الرسائل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٤) الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

- (٧٥) الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ
- (٧٦) الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- (٧٧) جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- (٧٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبدالعزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م
- (٧٩) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- (٨٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة الناشر: ١٤١٦هـ
- (٨١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المؤلف: عبدالقادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- (٨٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- (٨٣) درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
- (٨٤) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، المؤلف: سعود بن عبدالعزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- (٨٥) دراسات في علوم القرآن الكريم، المؤلف: أ. د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة: الرابعة عشرة، ١٤٢٦هـ.
- (٨٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبدالمعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد / الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- (٨٧) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
- (٨٨) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.
- (٨٩) ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمد محمود الشنقيطي، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

- (٩٠) ديوان امرئ القيس، المؤلف: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م)، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٩١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، المحقق: د. نعمان محمد أمين طه، الناشر: دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة: الثالثة.
- (٩٢) ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه: علي فاعور، الناشر: دار الكتب العلمية، طبعة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٩٣) ديوان لييد بن ربيعة العامري، المؤلف: لييد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، اعتنى به: حمدو طماس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٩٤) ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- (٩٥) ذيل وفيات الأعيان المسمى «درة الحجال في أسماء الرجال»، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشَّهير بابن القاضي (٩٦٠ - ١٠٢٥هـ)، المحقق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، الناشر: دار التراث (القاهرة) - المكتبة العتيقة (تونس)، الطبعة: الأولى، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- (٩٦) الرائد (معجم لغوي عصري)، المؤلف: جبران مسعود، الناشر: دار العلم للملايين، سنة النشر: ١٩٩٢م.
- (٩٧) الرد على الجهمية، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المحقق: بدر بن عبدالله البدر، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- (٩٨) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.
- (٩٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبدالباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- (١٠٠) الروح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: كمال بن محمد قالمي، الناشر: دار عالم الفوائد.
- (١٠١) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- (١٠٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (١٠٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، عام ١٤١٥هـ.
- (١٠٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- (١٠٥) سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المؤلف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧هـ)، المحقق: محمود عبدالقادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة إرسیکا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠م.
- (١٠٦) سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ
- (١٠٧) سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ -
- (١٠٨) سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، حسن عبدالمنعم شلبي، عبداللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
- (١٠٩) السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- (١١٠) السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (١١١) سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١١٢) السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

(١١٣) السيرة النبوية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

(١١٤) شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(١١٥) شرح شواهد المغني، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيّل وتعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ التركي الشنقيطي، الناشر: لجنة التراث العربي، الطبعة: ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(١١٦) شرح كتاب سيبويه، المؤلف: أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبدالله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨هـ)، المحقق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

(١١٧) شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوِجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بمومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(١١٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٩٨٨هـ - ١٤٠٩م.

- (١١٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (١٢٠) صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧،
- (١٢١) صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي
- (١٢٢) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى: ٢٦١هـ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ
- (١٢٣) الصفدية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.
- (١٢٤) طبقات الحفاظ، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.
- (١٢٥) طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبدالفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- (١٢٦) طبقات الشافعيين، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- (١٢٧) الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (١٢٨) طبقات المفسرين العشرين، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- (١٢٩) طبقات المفسرين، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عام ١٤٠٣هـ
- (١٣٠) طبقات النحويين واللغويين، المؤلف: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثانية، عام ١٩٨٤م.
- (١٣١) طبقات علماء الحديث، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزبيدي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (١٣٢) طريقة المناقشة والمحاضرة - محاضرة لحسين. البياتي - جامعة بابل
<http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=13&lcid=38638>
- (١٣٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تأليف: الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- (١٣٤) عشر رسائل في التفسير وعلوم القرآن، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: د. عبدالحكيم الأنيس، الناشر: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، سنة النشر: ١٤٣١هـ

- (١٣٥) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، المؤلف: تقي الدين محمد بن أحمد الحسن بن الفاسي المكي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
- (١٣٦) العقد الفريد، المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- (١٣٧) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، المحقق: طلعت الحلواني، الناشر: دار الفاروق الحديثة، عام ١٤٢٢هـ.
- (١٣٨) العقيدة الطحاوية، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.
- (١٣٩) العلو للعلي الغفاري في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمتها، المؤلف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- (١٤٠) عمدة الكتاب، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: بسام عبدالوهاب الجابي، الناشر: دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (١٤١) غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
- (١٤٢) الغاية في القراءات العشر للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: محمد بن غياث، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(١٤٣) الغاية في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، المحقق: محمد غياث الجنباز، الناشر: دار الشروق- الرياض، الطبعة الثانية: عام ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

(١٤٤) غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م

(١٤٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، الناشر: شركة الرسالة العالمية- دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٣٤- ٢٠١٣م

(١٤٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(١٤٧) فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

(١٤٨) فتح الرحمن في تفسير القرآن، المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧هـ)، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م

(١٤٩) فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ

(١٥٠) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

- (١٥١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم نصر - عبدالرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ.
- (١٥٢) الفصول في السيرة، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- (١٥٣) القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (١٥٤) الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (١٥٥) الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبدالفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (١٥٦) كتاب الأفعال، المؤلف: سعيد بن محمد المعافري القرطبي ثم السرقسطي، أبو عثمان، ويعرف بابن الحداد (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ)، المحقق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، الناشر: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- (١٥٧) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

- (١٥٨) الكتاب، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- (١٥٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الرزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ
- (١٦٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد.
- (١٦١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م
- (١٦٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ
- (١٦٣) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- (١٦٤) لسان الميزان، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.
- (١٦٥) مجاز القرآن، المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، طبعة عام ١٣٨١هـ

(١٦٦) مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان.

(١٦٧) مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار، المؤلف: محمد طاهر الصديقي الفتنى (المتوفى: سنة ٥٨٦هـ)، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند، سنة النشر: ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

(١٦٨) مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، سنة النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م

(١٦٩) محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(١٧٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٧١) المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(١٧٢) مختار الصحاح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، طبعة عام ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(١٧٣) مختارات شعراء العرب لابن الشجري، المؤلف: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

(١٧٤) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان البعلبي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١٧٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتمم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(١٧٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(١٧٧) المدخل إلى شرح السنة للإمام البغوي، المؤلف: د. علي بن عمر بادحدح، الناشر: دار الأندلس الخضراء - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(١٧٨) مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١م.

(١٧٩) مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، لمحمد بن عبدالقادر الرازي الحنفي، تحقيق: إبراهيم عطوة، الطبعة الأولى، عام ١٣٨١هـ مطبعة الحلبي.

(١٨٠) المستدرک على الصحيحين، المؤلف: أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- (١٨١) المستصفى في علم الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: محمد بن سليمان الأشقر، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (١٨٢) المستقصى في أمثال العرب، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.
- (١٨٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (١٨٤) مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايمار بن عثمان البوصيري الكناي الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد الممتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- (١٨٥) المعارف، المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م.
- (١٨٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- (١٨٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: محمد عبدالله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- (١٨٨) معاني القرآن، المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- (١٨٩) معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- (١٩٠) معاني القرآن، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- (١٩١) معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبدالفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.
- (١٩٢) معاني القرآن، المؤلف: علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة (١٨٩هـ)، أعده: عيسى شحاتة عيسى، الناشر: دار قباء - القاهرة، سنة النشر: ١٩٩٨م
- (١٩٣) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المؤلف: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- (١٩٤) معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
- (١٩٥) معجم الرائد لجبران مسعود، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة عام ١٩٩٢م.
- (١٩٦) معجم الشعراء، المؤلف: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤هـ)، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- (١٩٧) معجم الشيوخ الكبير للذهبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- (١٩٨) معجم الصواب اللغوي، المؤلف: الدكتور أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- (١٩٩) معجم القراءات، المؤلف: عبداللطيف الخطيب، الناشر: دار سعد الدين - دمشق، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.
- (٢٠٠) المعجم الكبير، المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى: ٣٦٠هـ، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م
- (٢٠١) معجم المفسرين، المؤلف: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- (٢٠٢) المعجم المفصل في شواهد العربية، المؤلف: د. إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- (٢٠٣) معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبدالغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٢٠٤) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- (٢٠٥) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- (٢٠٦) معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- (٢٠٧) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشر: مكتبة طبرية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- (٢٠٨) المغني، المؤلف: موفق الدين ابن قدامة، المحقق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي - عبدالفتاح الحلو، حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرئيسية، الناشر: دار عالم الكتب، سنة النشر: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٢٠٩) مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤١٧هـ.
- (٢١٠) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (٢٤)، منظمة المؤتمر الإسلامي - مجمع الفقه الإسلامي - جدة - مطبوعات المجمع، تأليف: الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)، تحقيق: عبدالرحمن حسن قائد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- (٢١١) مقدمات في علم القراءات، المؤلف: محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، الناشر: دار عمار - عمان (الأردن)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- (٢١٢) مقدمة في أصول التفسير، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، عام: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٢١٣) الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي، عام ١٣٨٧هـ.

(٢١٤) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، المؤلف: تقي الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد بن محمد العراقي، الصرّيفيّني، الحنبلي (المتوفى: ٦٤١هـ)، المحقق: خالد حيدر، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، سنة النشر ١٤١٤هـ

(٢١٥) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، المؤلف: عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، دراسة وتحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢١٦) منهاج السنة النبوية، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٢١٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤.

(٢١٨) منهج الإمام البغوي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره، إعداد الطالب: طلحة محمد توفيق ملا حسين، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، عام ١٤٢٢هـ

(٢١٩) موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م

(٢٢٠) موقع الدرر السنوية المسألة الأولى: المراد بالمحكم والمتشابه <https://dorar.net/aqadia/>

- (٢٢١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- (٢٢٢) نتائج الفكر في النحو، المؤلف: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (٢٢٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- (٢٢٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة
- (٢٢٥) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان، عام ١٩٩٧م.
- (٢٢٦) النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٢٢٧) نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- (٢٢٨) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- (٢٢٩) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ
- (٢٣٠) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبدالغني الجمل، الدكتور عبدالرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م
- (٢٣١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، عام ١٣٩٨هـ.
- (٢٣٢) اليهود واليهودية، المؤلف: د. على وافي، الناشر: دار نهضة مصر، القاهرة.
- (٢٣٣) تاريخ الأدب العربي، المؤلف: كارول بروكلمان (المتوفى سنة ١٩٥٦م)، ترجمه: عبدالحليم النجار، الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة.
- (٢٣٤) تاريخ الأمم والملوك، لمؤلف: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧
- (٢٣٥) تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين (المتوفى ١٤١٠هـ)، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- (٢٣٦) شرح نقائض جرير والفرزدق، المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، الناشر: المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات، الطبعة: الثانية، ١٩٩٨م
- (٢٣٧) ديوان طرفة بن العبد (المتوفى: ٥٦٤م)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

(٢٣٨) ديوان أبي النجم الفضل بن قدامة، جمعه: محمد أديب عبدالواحد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٤٢٧-٢٠٠٦.

(٢٣٩) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت

(٢٤٠) طبقات الشافعية، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٥	المقدمة
٨	مشكلة البحث
٨	حدود البحث
٨	أسباب اختيار الموضوع وأهميته
٩	الدراسات السابقة
١٠	منهج البحث
١٠	إجراءات البحث
١١	خطة البحث
١٥	التمهيد
١٦	المبحث الأول: ترجمة الإمام البغوي
٣٠	المبحث الثاني: بيان مكانة كتاب "معالم التنزيل" للإمام البغوي
٤٥	الباب الأول: الدراسة النظرية
٤٦	الفصل الأول: تعريف التساؤل ووجوده
٤٧	المبحث الأول: تعريف التساؤل لغةً واصطلاحًا
٥٠	المبحث الثاني: استعمال العلماء له في كتبهم، ومنهم المفسرون
٥٧	المبحث الثالث: أسباب إيراد التساؤل عند المفسرين

الصفحة	الموضوع
٥٨	المطلب الأول: حل الإشكالات العقدية، واللغوية، والتفسيرية
٦٠	المطلب الثاني: الجمع بين الآيات التي قد يفهم أن بينها تعارضاً
٦١	المطلب الثالث: دفع الشبه التي قد يوردها المخالفون
٦٤	الفصل الثاني: منهج البغوي في إيراد التساؤلات والإجابة عنها
٦٥	المبحث الأول: منهج البغوي في إيراد التساؤلات
٦٨	المبحث الثاني: منهج البغوي في الإجابة عن التساؤلات
٧٦	المبحث الثالث: أنواع التساؤلات التي أوردها البغوي في تفسيره
٧٧	المطلب الأول: التساؤلات العقدية
٧٩	المطلب الثاني: التساؤلات التفسيرية
٨٠	المطلب الثالث: التساؤلات اللغوية
٨١	الباب الثاني: الدراسة التطبيقية للتساؤلات التي أوردها الإمام البغوي في تفسيره
٨٢	سورة الفاتحة، وفيها موضع واحد
٨٣	الموضع: قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]
٨٦	سورة البقرة، وفيها ستة عشر موضعاً
٨٧	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].
٩١	الموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

الصفحة	الموضوع
٩٤	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ مَنَ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].
٩٩	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّن الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].
١٠٣	الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].
١٠٦	الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].
١١١	الموضع السابع: عند قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].
١١٥	الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].
١٢٠	الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كٰفِرًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].
١٢٣	الموضع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].
١٣١	الموضع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَا مُمْمِنَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١].

الصفحة	الموضوع
١٣٣	الموضع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦].
١٣٥	الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ﴾ [البقرة: ٢٤٦].
١٣٨	الموضع الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].
١٤١	الموضع الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِيمَ فِي رِيهٍ أَن ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ قَالِ أَنَا أَحْيَىٰ وَأُمِيتُ قَالِ إِبرهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].
١٤٣	الموضع السادس عشر: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].
١٤٦	سورة آل عمران، وفيها تسعة مواضع
١٤٧	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].
١٥١	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِيهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].
١٥٦	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].
١٦٠	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

الصفحة	الموضوع
١٦٣	الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠]
١٦٨	الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦].
١٧١	الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].
١٧٣	الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نُظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران: ١٤٣].
١٧٦	الموضع التاسع: عند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٢].
١٧٩	سورة النساء، وفيها ستة مواضع
١٨٠	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَلْحَشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَادَّوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النساء: ١٥-١٦].
١٨٤	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧].
١٨٩	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّكُ اللَّهُ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

الصفحة	الموضوع
٢١٩	الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَاثِمُّوا عِبَادَتِي وَإِنْ تَعَفَّرْتُمْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨].
٢٢٥	سورة الأنعام، وفيها ثلاثة مواضع
٢٢٦	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢].
٢٢٨	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ تَكَالُفُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَنِ الْكُفْرَانِ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].
٢٣١	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَنَفَصَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام: ١٥٤].
٢٣٥	سورة الأعراف، وفيها عشرة مواضع
٢٣٦	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف: ٤-٥].
٢٤٠	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف: ٨].
٢٤٤	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَبِغْتُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧].
٢٤٧	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧٩].
٢٥٠	الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥].

الصفحة	الموضوع
٢٥٣	الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَفَرِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨].
٢٥٧	الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿قَالَ قَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف: ١٠٧].
٢٦٠	الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ... الآية ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].
٢٦٢	الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْؤِسِي إِلَىٰ اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً مَاتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤].
٢٦٤	الموضع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].
٢٦٩	سورة الأنفال، وفيها موضع واحد
٢٧٠	الموضع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٤].
٢٧٣	سورة التوبة، وفيها ثمانية مواضع
٢٧٤	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ بُتِمْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنكُمْ عِزٌّ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة: ٣].

الصفحة	الموضوع
٢٧٦	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥].
٢٧٨	الموضع الثالث: عند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: ٨].
٢٨١	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].
٢٨٦	الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].
٢٨٨	الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].
٢٩٠	الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].
٢٩٥	الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٦].
٢٩٨	سورة يونس، وفيها ثلاثة مواضع
٢٩٩	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُغُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٣٠].

الصفحة	الموضوع
٣٠٠	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].
٣٠٤	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].
٣٠٦	سورة هود، وفيها موضعان
٣٠٧	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].
٣١١	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالِ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].
٣١٤	سورة يوسف، وفيها خمسة مواضع
٣١٥	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَجِنَا فَاكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].
٣١٨	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣].
٣٢٠	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ الْقُرَيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢].
٣٢٣	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].
٣٢٥	الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].
٣٢٨	سورة الرعد، وفيها موضع واحد

الصفحة	الموضوع
٣٢٩	الموضع: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].
٣٣٢	سورة إبراهيم، وفيها ثلاثة مواضع
٣٣٣	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤﴾ [إبراهيم: ٤].
٣٣٥	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥].
٣٣٨	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].
٣٤٠	سورة الحجر، وفيها أربعة مواضع
٣٤١	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١﴾ [الحجر: ١].
٣٤٣	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الحجر: ٢].
٣٤٦	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الحجر: ٣٠].
٣٤٨	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].
٣٥٢	سورة النحل، وفيها موضعان
٣٥٣	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيئُوا ظُلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ [النحل: ٤٨].
٣٥٦	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥].

الصفحة	الموضوع
٣٥٨	سورة الإسراء، وفيها خمسة مواضع
٣٥٩	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [٦٤].
٣٦١	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا﴾ [٧٤].
٣٦٤	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِ فَتَاهُ بِهِ نَافِلَةٌ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [٧٩].
٣٦٩	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَايِنًا وَكَيْلًا﴾ [٨٦].
٣٧١	الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنصِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَيَكْفُرُ مَا وَوَدَّعُهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [٩٧].
٣٧٤	سورة الكهف، وفيها ستة مواضع
٣٧٥	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [٧].
٣٧٧	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَكَبَّهُمْ بِسِطِّ ذُرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [١٨].
٣٧٨	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [٢٥].
٣٨١	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [٣٠].

الصفحة	الموضوع
٣٨٣	الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦].
٣٨٥	الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤].
٣٨٧	سورة مريم، وفيها موضعان
٣٨٨	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨].
٣٩٠	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].
٣٩٢	سورة طه، وفيها أربعة مواضع
٣٩٣	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ بِتَذَكُّرٍ وَخَشْيٍ ﴾ [طه: ٤٤].
٣٩٦	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧٣].
٣٩٩	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه: ٩٦].
٤٠١	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥].
٤٠٤	سورة الأنبياء، وفيها أربعة مواضع
٤٠٥	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].
٤٠٨	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨١].

الصفحة	الموضوع
٤١٠	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].
٤١٢	الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢) [الأنبياء: ١١٢].
٤١٤	سورة الحج، وفيها ثلاثة مواضع
٤١٥	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيَسَسَ الْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنَةُ وَالْعَشِيرَةُ﴾ (١٣) [الحج: ١٣].
٤٢٢	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢) [الحج: ٥٢].
٤٢٧	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّمَّا أَيْكُمُ الْبُرْهَانُ... الآية﴾ [الحج: ٧٨].
٤٣٠	سورة المؤمنون، وفيها موضع واحد
٤٣١	الموضع: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١) [المؤمنون: ١٠١].
٤٣٤	سورة النور، وفيها موضعان
٤٣٥	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) [النور: ٤].
٤٣٧	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا جَاءُ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣) [النور: ١٣].
٤٣٩	سورة الفرقان، وفيها موضع واحد

الصفحة	الموضوع
٤٤٠	الموضع: قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرَأَيْتُمْ مَنِ مَكَانَ بَيْعِهِ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ [الفرقان: ١٢].
٤٤٣	سورة الشعراء، وفيها موضع واحد
٤٤٤	الموضع: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].
٤٤٦	سورة النمل، وفيها موضعان
٤٤٧	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادِ الثَّمَلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [النمل: ١٨].
٤٤٩	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَقْفَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ [النمل: ٨٠].
٤٥١	سورة العنكبوت، وفيها موضع واحد
٤٥٢	الموضع: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [العنكبوت: ٢٢].
٤٥٤	سورة الأحزاب، وفيها موضع واحد
٤٥٥	الموضع: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].
٤٥٨	سورة سبأ، وفيها موضع واحد
٤٥٩	الموضع: قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [سبأ: ٤١].
٤٦٢	سورة فاطر، وفيها موضع واحد
٤٦٣	الموضع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١].

الصفحة	الموضوع
٤٦٥	سورة الصافات، وفيها ثلاثة مواضع
٤٦٦	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ [الصافات: ٥].
٤٦٨	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كُنَّا بِكُنُوزِكِ بَجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥].
٤٧٠	الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّدْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٥].
٤٧١	سورة ص، وفيها موضعان
٤٧٢	الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ص: ٢٢].
٤٧٥	الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ... الآية ﴾ [ص: ٢٤].
٤٧٧	الخاتمة
٤٨٠	الفهارس
٤٨١	فهرس الآيات القرآنية
٥٠٩	فهرس الأحاديث النبوية
٥١٢	فهرس الأعلام المترجم لهم
٥٢٠	فهرس الأبيات الشعرية
٥٢٢	فهرس المصادر والمراجع
٥٥٤	فهرس الموضوعات